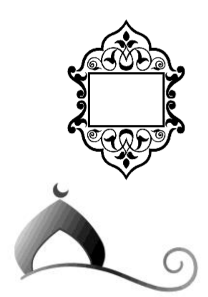
هل العهد الجديد
كلمة اللّه ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



E

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٧/١٥٦٦٥

رقم الإيداع بالمملكة العربية السعودية

١٤٢٦/٥٥٤٣هـ

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

٩٩٦٠-٤٩-٥٢٧-٢

دار الإسلام

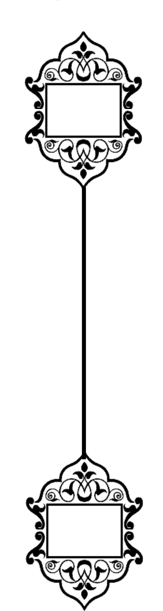
للطبع والنشر والتوزيع

dar_alislam@yahoo.com

٠١٠٠٣٣٦٣٢٤٦ (٢+)

الطبعة الرابعة

١٤٤٢هـ/٢٠٢١م



سلسلة الهدى والنور　٢

هل العهد الجديد كلمة الله؟

الدكتور

منقذ بن محمود السقار

دكتوراه في مقارنة الأديان

مُقدِّمة

أرسل الله رسله ـ رسولًا تلو رسول ـ بالبينات والهدى والنور ، يتعاقبون على بلاغ الحق وتبيانه للمؤمنين .

وكان من أواخر هؤلاء الأنبياء الأبرار النبي العظيم المسيح عيسى عليه السلام ، وقد آتاه الله الإنجيل ﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة : ٤٦] .

ودعا الله المؤمنين للإيمان بكل ما أنزله على أنبيائه من الهدى والنور ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة : ١٣٦] .

وقال واصفًا المؤمنين : ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام ليس هو بالضرورة ما يقدسه النصارى من أسفار العهد الجديد والتي كتبها أصحابها من تلاميذ المسيح أو من بعدهم بعد رفع المسيح عليه السلام، فتلك القصص والسير والرسائل البشرية ، ليست وحي الله تبارك وتعالى المنزل على عيسى عليه السلام .

فكيف يعمد البشر إلى كتابات بعضهم ، فينسبوه إلى الله زورًا وبهتانًا ﴿**فَوَيْلٌ**

لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

والآية كما رأينا بيان إلهي واضح يعلن فيه القرآن أن أهل الكتاب من يهود ونصارى قد حرفوا كلمة الله ، وأضافوا فيها ما ليس منها ، فما بين أيديهم من أسفار العهد القديم والجديد ليس هو كلمة الله المنزلة على أنبيائه.

ولا يمنع أن تكون بعض فقرات العهد الجديد صادقة ، وهي تخبرنا عن بعض سيرة السيد المسيح ﷺ أو تنقل إلينا بعض هديه وقوله وفعله .

هذا مجمل اعتقاد المسلمين في هذه المسألة .

أما المسيحية فهي تؤمن أن أسفار العهد الجديد هي كلمة الله التي كتبها رجال الله القديسون بإلهام من الروح القدس .

ويبقى السؤال : هل تؤيد الشواهد العلمية والأدلة التاريخية بل والنصوص الكتابية ، ما قاله القرآن عن تحريف هذه الكتب وزور نسبتها إلى الله أم أن العهد الجديد سلُم من التحريف والتبديل والعبث البشري كما يؤمن النصارى ؟

كنا في حلقتنا الأولى قد أثبتنا أن أسفار العهد القديم ليست كلمة الله .

وفي هذه الرسالة ، وهي رسالتنا الثانية من سلسلة الهدى والنور نجيب عن سؤالنا الثاني: هل العهد الجديد كلمة الله ؟

وفي إجابتنا نستنطق ثانية الكتاب المقدس ورجال الكهنوت والمحققين من أهل العلم والتاريخ ، نستنطقهم جميعًا ، لنجيب عن هذا السؤال بموضوعية ومنهجية علمية رصينة .

هذا الجهد نهديه إلى كل باحث عن الحقيقة ، ظامئ إليها ، سائلين الله أن يفتح

قلوبنا للحق وأن يهدينا إليه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

د . منقذ بن محمود السقار

مكة المكرمة ـ ذو الحجة ـ ١٤٢٣هـ

mongezss@gmail.com

إنجيل المسيح عليه السلام

يؤمن المسلمون بإنجيل الله المنزل على المسيح، ولا يؤمنون بكتابات غيره ، سواء كانوا من تلاميذ المسيح أم لم يكونوا، فالكتب السماوية هي هبة الله لأنبيائه، وليس لأصحابهم وتلاميذهم.

والأناجيل والرسائل التي بين أيدي النصارى اليوم هي بحسب معتقدهم كتابات كتبها تلاميذ المسيح، وليست من إنشاء المسيح، ولا مما نزل عليه، وهنا يقفز السؤال: أين هو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ، والذي يؤمن به المسلمون ؟

لو ألقينا هذا السؤال على النصارى، فإننا نتلقى جوابًا وحيدًا يدور حول إنكار وجود هذا الإنجيل، والادعاء بأنه من ابتداع المسلمين، وأن التاريخ لم يحمل إلينا أي خبر عنه، فنقطة البدء عندهم للإنجيل أو العهد الجديد تبدأ من الحواريين وهم يسطرون الرسائل والأناجيل، وفيها يحكون أقوال المسيح وأفعاله الشخصية ، وهي ما يسمى عندهم «الإنجيل» .

وهكذا ينكر النصارى وجود إنجيل حقيقي هو إنجيل المسيح ، وقالوا : لم ينزل على المسيح شيء، وهذا متسق مع قولهم بألوهية المسيح ، إذ لا يليق بالإله أن يؤتى كتابًا، فهذا حال الأنبياء؛ لا الآلهة .

نصوص تتحدث عن إنجيل المسيح :

لكن رسائل بولس التي أُلفت في النصف الثاني من القرن الأول تتحدث في نصوص كثيرة عن «**إنجيل المسيح**» ، ولا تذكر شيئًا عن الأناجيل الأربعة التي لم يكن قد خُط فيها سطرًا واحدًا ، إذ أن بولس ـ وله أربعة عشر رسالة في العهد الجديد ـ قتل سنة ٦٢م ، بينما ألف مرقس أول الأناجيل عام ٦٥م ، ثم تتابعت العشرات من

الأناجيل بعد ذلك ، وهي تشير أيضًا إلى إنجيل المسيح ﷺ أو إنجيل الله .

تحدث بولس ثم الإنجيليون عن إنجيل المسيح في نصوص كثيرة منها : قول بولس: « **إني أعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعًا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر .. يوجد قوم يريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ..** » (غلاطية ١ : ٦-٨) ، فهو يتحدث عن إنجيل حقيقي يتركه الناس إلى إنجيل آخر مزور .

ومثله قول بولس : « **بل نتحمل كل شيء ، لئلا نجعل عائقًا لإنجيل المسيح .. أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل ، من الإنجيل يعيشون** » (١ كورنثوس ٩ : ١٢-١٤) .

ويقول متوعدًا : « **الذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي** » (٢ تسالونيكي ١ : ٨-٩) .

وفي الأناجيل الأربعة التي كتبت بعد ذلك وسفر أعمال الرسل نجد حديثًا عن إنجيل حقيقي ، ففي أعمال الرسل أن بطرس قام وقال: « **أيها الرجال الإخوة : أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ، ويؤمنون** » (أعمال ١٥ : ٧).

وعندما سكبت المرأة الطيب عند قدمي المسيح ﷺ قال: « **الحق أقول لكم : حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها** » (متى ٢٦ : ١٣) ، وهو بالطبع لا يقصد إنجيل متى الذي سيؤلفه متى بعد القصة بسنوات طويلة .

ويقول مرقس : « **من يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها** » (مرقس ٨: ٣٥) .

والملاحظ أن هذه النصوص تتحدث عن إنجيل واحد ، وليس الأناجيل الأربعة أو السبعين التي رفضتها الكنيسة ، وتسمي النصوص هذا الإنجيل ، إنجيل

الله، وإنجيل المسيح .

كما ورد الحديث عن «إنجيل المسيح» في ثنايا ما ذكره البشيرون عن «وحي الله» الذي أوتيه المسيح ، وهو (كلمة الله) ، فالجموع ازدحمت عليه عند شاطئ البحيرة لتسمع منه الإنجيل الذي ينزل عليه من الله « **وإذ كان الجمع يزدحم عليه، ليسمع كلمة الله** » (لوقا ٥ : ١) .

وحين دخل كفر ناحوم « **اجتمع كثيرون ، حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب ، فكان يخاطبهم بالكلمة** » (مرقس ٢ : ٢) ، وبحسب نسخة الرهبانية اليسوعية : « **فألقى إليهم كلمة الله** »، فالكلام الإلهي الذي كان يفوه به المسيح عليه السلام هو ما كانت تزدحم الجموع لسماعه، وهو ما يؤمن به المسلمون ، إنه كلمة الله التي نزلت على المسيح ، المسماة في القرآن بـ«الإنجيل» .

كما أشار المسيح عليه السلام إلى وحي الله الذي يؤتاه، فقال: « **أنا أتكلم بما رأيت عند أبي**» (يوحنا ٨: ٣٨) . وكذا قال مثبتًا نزول الوحي عليه ، بما أسماه وصية الله التي أعطاه الله إياها : « **لأني لم أتكلم من نفسي ، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية : ماذا أقول وبماذا أتكلم ، وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية . فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب ، هكذا أتكلم** » (يوحنا ١٢ : ٤٩-٥٠) ، ومثله قوله : « **أتكلم بهذا كما علمني أبي** » (يوحنا ٨: ٢٨) .

ويثبت المسيح في مواضع أُخر أنه يوحى إليه كسائر الأنبياء ، وأن التلاميذ آمنوا به كرسول ، وصدقوا أن ما يقوله لهم إنما هو بوحي من الله ، فيقول : « **وقد حفظوا كلامك ، والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك ، لأن الكلام الذي أعطيتني قد أعطيتهم ، وهم قبلوا وعلموا يقينًا أني خرجت من عندك ، وآمنوا أنك أنت أرسلتني** » (يوحنا ١٧ : ٦-٨) .

لذا لما جاءته أمه وإخوته ووقفوا ببابه ، أعرض عنهم وأقبل على تلاميذه الذين يسمعون منه كلام الله ويعملون به « **فأجاب وقال لهم : أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ، ويعملون بها** » (لوقا ٨: ٢١) ، فكلام الله ليس مجرد بشارة يؤمن بها المؤمنون ـ كما يزعم القائلون بأن إنجيل المسيح هو البشارة بخلاصه ـ ، بل هو عمل ينصاعون إليه وينفذونه .

وكذا يقول مؤكدًا وحي الله إليه فيما يقوله ويبلغ عنه : « **الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي ، والكلام الذي تسمعونه ليس لي ، بل للآب الذي أرسلني** » (يوحنا ١٤ : ٢٤) .

وهذا الوحي الذي آتاه الله سيحاسب الناس بحسبه يوم القيامة « **من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه ، الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير ، لأني لم أتكلم من نفسي** » (يوحنا ١٢ : ٤٨-٤٩) .

الإقرار بوجود إنجيل المسيح وفقده :

ونقل العلامة رحمة الله الهندي في كتابه الماتع إظهار الحق عن بعض علماء النصرانية إقرارهم بوجود إنجيل يسوع قبل ضياعه واختفائه ، ومنهم مارش وليكرك وكوب وإيخوهورن وغيرهم، يقول إيخهورن: (*Johann Gottfried Eichhorn*): «إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال رسالة المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هي الإنجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب » .

ويصف الدكتور هارناك هذا الإنجيل فيقول : «والإنجيل الذي قام بتبليغه المسيح إنما كان يتعلق بالأب وحده ، ولا يتعلق بالابن ، وليس ذلك أمرًا متضادًا ، كما أنه ليس عقلانية ، وإنما هو عرض بسيط ساذج للحقائق التي بينها مؤلفو الأناجيل»[1] .

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٣٧٩) .

وعنه يقول الناقد ماك بيرتون: «ذات يوم، أي قبل أن يكون هناك أناجيل .. كتب أتباع يسوع كتابًا من نوع آخر، كان كتابهم ذاك يضم تعاليمه فقط ..كان بالأحرى إنجيلاً لأقوال يسوع .. وقد خدمهم كتابهم هذا جيدًا ككتاب إرشاد وتوجيه طوال معظم القرن المسيحي الأول، لكن هذا الكتاب فُقِد .. لقد ضاع الكتاب في طيات التاريخ في مكان ما في أواخر القرن الأول»[١].

وما ذكره الآباء الأوائل من أقوال للمسيح لم تسجلها الأناجيل القانونية[٢] شهادة على وجود تراث مواز للأناجيل، ولربما أقدم منها، كما في حالة المصدر (Q) الذي يكاد إجماع النقاد ينعقد على أنه كان مصدرًا ملهمًا لاثنين من الإنجيليين، وهما متى الذي نقل عنه زهاء ٦٠٠ فقرة ولوقا الذي نقل ٣٥٠ فقرة.

وقد توصل العلماء إلى وجود هذا المصدر بعد تفحصهم للأناجيل الإزائية (مرقس ومتى ولوقا) للبحث عن العلاقة بينها، وتوصلوا إلى أن مرقس كان أول الأناجيل تأليفًا، وأن كلاً من متى ولوقا قد نقلا عنه، كما نقلا معطيات مشتركة أخرى عن مصدر مشترك لهما، وهو الذي أسماه العلماء المصدر (Q)، وكما يقول محررو دائرة المعارف الكتابية: «الاتجاه العام هو قبول نظرية المصدرين في صورة من الصور لتعليل الظواهر الموجودة في هذه الأناجيل»، والمصدر (Q) هو صورة أقرب إلى المسيح وإنجيله من الأناجيل الأربعة، وأكثر تعبيرًا عن المسيحية في جيلها الأول»[٣] .

وإذا ابتعدنا عن المصدر (Q) فإنا واجدون في أسفار العهد الجديد إحالتين إلى هذا الإنجيل المفقود.

---

(١) الإنجيل المفقود، ماك بيرتون، ص (٥).

(٢) كلمة (قانونية) استخدمها البابا أثناسيوس والكنيسة من بعده ، لتدل على الأسفار التي تعترف بها الكنيسة أنها من وحي الله . انظر : المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف، ص(٣١) .

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٤٣)، والإنجيل المفقود، ماك بيرتون، ص (٥-٩)

أولهما: قول المسيح : « **من آمن بي ـ كما قال الكتاب ـ تجري من بطنه أنهار ماء حيّ**» (يوحنا ٧: ٣٧) ، وهذه الإحالة مفقودة من العهد الجديد، وتتحدث عن جزاء الإيمان بالمسيح عند الله تعالى.

الأخرى: ما نقله بولس من هذا الإنجيل، وهو يقول: « **هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال: (مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ)**» (أعمال ٢٠: ٣٥)، وهي جملة من التراث المسيحي الأقدم تعود إلى عهد ما قبل الأناجيل.

كذلك نجد في كتب الآباء الأوائل نقولات عن تراث قديم مواز للأناجيل في أهميته، قد يكون بعضه من أناجيل الأبوكريفا التي كانت معتبرة عند البعض في المسيحية الأولى، وقد يكون الآخر من التراث الشفوي الأقدم الذي كان يتناقله المسيحيون من محفوظاتهم عن المسيح[1] ، «فقد كان التعليم للكنيسة في البداية شفهيًا، فلا شك في هذه الحقيقة مطلقًا .. يحتمل أنه ظل هكذا طيلة وجود الرسل معًا في أورشليم»، وهذا التعليم الشفوي يعتبره محررو دائرة المعارف المصدر الذي اعتمد عليه مرقس في تأليفه لأول الأناجيل، فقد «اكتشف مصدرًا محتملاً يشتمل أساسًا على (أقوال يسوع)»[2] .

وفي اقتباسات الآباء في عصور المسيحية الأولى نجد إضاءات أو اقتباسات مهمة على هذا التراث القديم الذي غفلت الأناجيل عن تسجيله، من ذلك :

* قول القديس إكليمندس الروماني (ت ١٠١م) في الرسالة الثانية المنسوبة

---

(١) في دراسته الهامة «أقوال المسيح غير المدونة في البشائر» خلص يواكيم إرميا إلى وجود ١٨ نصًا (أغرافا) من الممكن أن يقال عنها بأنها أقوال حقيقية ليسوع، وانظر: يسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبرت فورست، ص (٢٢٢).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٤٤).

إليه: «يقول الرب: (إن اجتمعتم معي في حضني، ولم تحفظوا وصاياي؛ أطردكم قائلاً لكم: ابعدوا عني، لا أعرفكم، من أين جئتم يا فاعلي الشر)»[1].

❋ وكتب أيضًا: «إذ يقول الرب في إنجيله: (إن لم تكونوا أمناء في القليل من يأتمنكم على الكثير؟ فإني أقول لكم: الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير)»[2]، فأين هو إنجيل «الرب يسوع» الذي ذكر هذا؟.

❋ وكتب: «علينا أيها الإخوة أن نتحمل هؤلاء الرجال، لقد كُتب: (التصقوا بالقديسين، لأن الملتصقين بهم قديسون)»[3].

❋ ونقل القديس يوستينوس الشهيد (ت ١٦٥م) قولاً للمسيح لا نجده في الأناجيل: «لذلك يحذرنا ربنا يسوع المسيح بقوله: (الحال التي آخذكم فيها سأحاسبكم عليها)»[4].

❋ وكذلك قال القديس إيريناوس (ت ٢٠٢م): «وأيضًا حينما قال [أي المسيح] : (كنت أريد أن أسمع إحدى هذه الكلمات، ولكن لم أجد أحدًا يمكن أن ينطقها) »[5] .

❋ وفي موضع آخر ينقل الأسقف إيريناوس عن المسيح أنه كان يعتريه العوارض البشرية: «اتضح كربها أيضًا حين قال: (نفسي حزينة حتى الموت)، وأظهر خوفها بهذه الكلمات: (يا أبتاه فلتعبر عني هذه الكأس)، وارتباكها أيضًا حين قال: (ماذا أقول؟ لا أعرف)»[6]، فالعبارة الأخيرة لم ترد في أي من أسفار العهد الجديد.

---

(١) رسالة إكليمندس الروماني الثانية (٤/ ٦).

(٢) رسالة إكليمندس الروماني الثانية (٨/ ٥)، والجزء الثاني منه أثبته لوقا بقوله: «الأمين في القليل، أمين أيضـًا في الكثير» (لوقا: ١٦: ١٠).

(٣) رسالة إكليمندس الروماني الثانية (٤٦/ ٢).

(٤) النصوص المسيحية في العصور الأولى، حوار مع تريفون، يوستينوس، ص (١٩٤).

(٥) ضد الهرطقات، إيريناوس (ك١ ، ف ٢٠).

(٦) ضد الهرطقات، إيريناوس (ك١ ، ف ٨).

* ونقل إكليمندس السكندري (ت ٢١٥م) نقلاً عن كتابه المقدس، فقال: «هم يستطيعون أن يزينوا أنفسهم بالجوهر المقدس، كلمة الله، والذي قال عنه الكتاب: (إنه لؤلؤة)، يسوع الطاهر النقي المضيء »[١]، وهذا الوصف للمسيح لم يرد في الأسفار القانونية للعهد الجديد.

* وفي موضع ثان يقول: «قيل عنهم في الكتاب المقدس: (يشدون السداة، ولا يغزلون شيئًا) »[٢].

* ويستشهد ترتليان (ت ٢٢٠م) بشاهد مقدس لا أثر له في الأسفار القانونية حين قال: «لأن الكتاب المقدس يقول: (إنك عندما تلاقي أخاك، فإنك تلاقي الرب إلهك، وبالأخص الغريب)»[٣].

* وفي كتاب «تفنيد كل الهرطقات» نقل هيبوليتس الروماني (ت ٢٣٥م) عن المسيح قوله: «أنا البوابة الحقيقة»[٤].

وهذه الشواهد وغيرها تشير إلى تراث مسيحي قديم ضاع في القرون اللاحقة، والعثورُ عليه قد يضعنا أمام إنجيل المسيح.

هذا التراث المسمى بالتراث الشفوي (أغرافا) جمعه الأسقف بابياس في أواسط القرن الميلادي الثاني (ت ١٦٠م) في خمسة كتب أسماها «الصوت الحي والباقي» ، واقتبس منها إيريناوس، ثم يوسابيوس، قبل أن يطويها الضياع.

يا مسلمون أحضروا إنجيل المسيح !!

كثيرًا ما نسمع مطالبة النصارى للمسلمين أن يظهروا إنجيل المسيح الذي

---

(١) المصدر السابق، ص (١٢٤).

(٢) المتفرقات، إكليمندس السكندري، ص (٦٠).

(٣) كتاب الصلاة، ترتليان، الفصل (٢٦).

(٤) يسوع المسيح خارج العهد الجديد، روبرت فورست، ص (٢١٩).

يدعونه ، فيجيب العلامة منصور حسين في كتابه الفريد (دعوة الحق بين المسيحية والإسلام) : « إنه منذ فجر المسيحية ، وبعد رفع المسيح ، وقبل الإسلام كان هناك العديد من الأناجيل ، قبل المسيحيون أربعًا منها فقط .. والباقي ـ كما وجدنا ـ طوردت وأحرقت ، والذين طاردوها هم المسيحيون أنفسهم وأحرقوها ، وليس المسلمون ، وليدلنا سيادته (أي القمّص باسيليوس ، وهو أحد المرددين لهذه العبارة) عليها ، وحينئذ أدلُّه من بينها على الإنجيل الصحيح ، أما أن يحرقها المسيحيون ، ثم يطالبون المسلمين .. فهذا غير معقول » [1] .

إذًا قد اختفى إنجيل المسيح ، وعهدة إحضاره باقية في ذمة النصارى ، لا المسلمين .



(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين ، ص (٣٣٥) .

العهد الجديد عند النصارى

العهد الجديد هو مجموعة الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ، وينسب إلى ثمانية من المحررين ينتمون إلى الجيل الأول والثاني من النصرانية ، وهم متى ومرقس ولوقا ويوحنا أصحاب الأناجيل ، ثم بولس صاحب الأربع عشرة رسالة[١] ، ثم بطرس ويعقوب ويهوذا ، تلاميذ المسيح الذين تنسب إليهم القليل من الرسائل .

وهؤلاء الكتبة الثمانية بعضهم تتلمذ على يد السيد المسيح ﷺ (متى ـ يوحنا ـ بطرس ـ يعقوب ـ يهوذا) ، بعضهم تنصر بعد المسيح ولم يلقه (بولس ، ومرقس تلميذ بطرس ، لوقا) .

وتسمية هذا الجزء من الكتاب المقدس بـ(العهد الجديد) من إبداع العلامة ترتليان [٢] في مقابل تسمية التوراة وأسفار الأنبياء (العهد القديم) كما جاء في إنجيل متى في وصف رسالة المسيح: « **لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا** » (متى ٢٦ : ٢٨) .

وتشتمل الأناجيل على سيرة مقتضبة للمسيح ﷺ ، إذ لا تكاد تذكر شيئًا عن طفولته ونشأته ، فيما تتحدث بإسهاب عن بعض الحوادث التي تلت إرساليته (معجزات وأحاديث للمسيح وعظات للتلاميذ واليهود) ، كما تحكي الأناجيل باهتمام بالغ تفاصيل قصة صلبه المزعوم ، ولا تكاد تذكر شيئًا من المعتقد الذي اهتمت به الرسائل الملحقة بها .

وكلمة (الإنجيل) كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (εὐαγγέλιον)

---

(١) إذا وافقنا بعض الشراح الذين نسبوا متشككين رسالة العبرانيين إلى بولس .

(٢) انظر : المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٢٥) .

«إفنجليون»، وتعني: «الخبر السار» أو «البشارة».

وأصول هذه الأناجيل كتب باللغة اليونانية فيما عدا (متى) الذي كتب بالعبرانية، إذا صدق فيه أنه الإنجيل الذي تحدث عنه الأسقف بابياس في القرن الثاني .

ومن المعلوم أن أيًا من اللغتين لم تكن لغة للمسيح ، الذي كان يتكلم الآرامية ـ كما دلت على ذلك الأناجيل ـ وهي تنسب إلى المسيح عبارات سريانية ، ومنه ما نقله مرقس « **أمسك بيد الصبيبة ، وقال لها : طليثا قومي . الذي تفسيره : يا صبية : لك أقول، قومي** » (مرقس ٥: ٤١) .

ويقول مرقس أيضًا : « **وقال له : إفثا . أي انفتح** » (مرقس ٧: ٣٤) .

ويذكر متى أن المسيح المصلوب ـ بزعمه ـ صرخ على الصليب : « **ايلي ايلي لم شبقتني . أي إلهي إلهي لماذا تركتني** » (متى ٢٧: ٤٦) .

وتسهيلًا على قراء العهد الجديد تم تقسيمه إلى أصحاحات في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الكاردينال «هوجو دو سنكتو كارو» ، ورُقِّمت فقرات كل أصحاح عام ١٥٥١م [1].

ويعتقد النصارى أن مؤلفي العهد الجديد كتبوا هذه الأسفار بإرشاد وإلهام من الروح القدس الذي كان يحرك ضمائرهم ويسددهم ، وفي هذا يقول مجمع الفاتيكان المنعقد عام ١٨٦٩-١٨٧٠م عن أسفار الكتاب المقدس بعهديه: « كتبت بإلهام من الروح القدس ، مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة » .

تؤكد الكنيسة بحزم ومثابرة عظمى أن الأناجيل الأربعة ـ التي أكدت دونما تردد

---

(١) انظر : دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٣٠٠).

صفتها التاريخية ـ تنقل بأمانة ما فعله وعلمه المسيح ابن الله .. فالكتاب المقدسون أَلَّفوا الأناجيل الأربعة ، بحيث يكشفون لنا دومًا عن المسيح أشياء حقيقية وصادقة»[1] ، فقد غيَّرت الكنيسة بعض الشيء ، فلم تعد تعتبر الكتاب مؤلفًا من قبل الله ، بل الإنجيليون هم مؤلفوه ، ولكن بإلهام من روح القدس .

في حين يصر بعض العلماء المحافظين على حرفية الوحي وأن « الروح القدس سيطر على الكاتبين حتى لتعتبر كلماتهم هي كلمات الروح القدس نفسه» فإن عامة المسيحيين اليوم لا يعتقدون بالوحي الحرفي الذي يعتقده المسلمون في القرآن، فهم لا يقولون بأن الأناجيل نزلت على كاتبيها من الله أو الملائكة حرفًا حرفًا ، وكلمة كلمة ، بل كان الوحي يلهمهم المعاني ، من غير أن يتدخل باختيار الكتبة للكلمات والأسلوب، فطبيعة الوحي عندهم أشبه بمفهوم المسلمين لوحي السنة النبوية .. وحي معنوي، لا لفظي،.. «عمل الروح القدس في كتبة الأسفار الإلهية بشكل عجيب، ليعلنوا حق الله بصورة معصومة من الخطأ .. كلمة الله المكتوبة يتجلى فيها العنصران: الإلهي والبشري في وحدة لا تتجزأ، فلم يكن الكُتَّاب سلبيين، أي مجرد أقلام، إذ تبرز في كتاباتهم شخصياتهم وأساليبهم المتميزة»[2] .

ويشرح المنصر كارل جوتليب بافندر اعتقاد النصارى في الوحي فيقول : «واعتقادنا : أن الأنبياء والحواريين وإن كانوا قابلي السهو والنسيان في جميع الأمور ، لكنهم معصومون في التبليغ والتحرير ، إن ظهر لأحد في موضع من المواضع في تحريرهم اختلاف أو محال عقلي ، فذلك دليل نقصان علمه وفهمه » [3] .

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٩١-٩٢) .
(٢) دائرة المعارف الكتابية (٦/ ٣٢٦).
(٣) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ٣٩ – ٤٢) .

ويتلخص الرأي النصراني باعتبار الأناجيل والرسائل كلمة الله التي ألهمها الروح القدس لبعض تلاميذ المسيح وتلاميذهم ، فكانت هذه الكتابات مقدسة بهذا الاعتبار .



تحقيق نسبة الأناجيل والرسائل إلى الحواريين

تعود أسفار العهد الجديد السبعة والعشرون إلى ثمانية مؤلفين تفاوتت مقادير كتاباتهم ، ففي حين لم تزد رسالة يهوذا التلميذ عن صفحتين فإن لبولس ما يربو على المائة صفحة .

وأيضًا يتفاوت قرب هؤلاء من المسيح ، ففي حين أن متى ويوحنا وبطرس ويهوذا ويعقوب من تلاميذه الاثني عشر ، فإن لوقا ومرقس لم يلقيا المسيح ، فيما لم يتنصر بولس إلا بعد رفع المسيح .

ولكن تواجهنا مسألة مهمة: هل تصح نسبة الكتب إلى هؤلاء الثمانية ؟ وبالذات إلى متى ويوحنا وبطرس الذين يفترض أنهم من أخص تلاميذ المسيح ؟ أم أن الكتب منحولة والنسبة إليهم زور وبهتان ؟

اهتم المحققون بدراسة وتوثيق نسبة هذه الأسفار إلى تلاميذ المسيح، ولن نتوقف طويلًا مع توثيق نسبة بعض الأسفار إلى أصحابها، لأن كتبتها ليسوا من تلاميذ المسيح ، وعليه فلا يهمنا إن كان كاتب إنجيلي مرقس ولوقا هما مرقس ولوقا أو أيًا من النصارى الذين عاشوا في نهاية القرن الميلادي الأول ، إذ أي من هؤلاء ليس بمعصوم ولا ملهم ولم يصدر بحقه ثناء واحد من المسيح عليه السلام ، ومثله نصنع في رسائل بولس عدو المسيح الذي ادعى الرسالة والعصمة ، وهو لم يلق المسيح البتة .

وأود هنا أن نستشعر ما ساد العصر الأول من انتحال الكتب ونسبتها إلى غير أصحابها، يفعل ذلك تلاميذ المنحول إليه وغيرهم، ولا أدل على سعة وانتشار هذه الظاهرة من تأمل أسماء الأناجيل والكتب التي سميت بأسماء تلاميذ المسيح وأمه،

ويجزم الجميع بقطع الصلة بين تلك الأسماء والكتب المنحولة إليهم، وعليه فلن تغرنا عناوين البشائر، فإن مؤلفي الأناجيل لم يذكروا فيها أسماءهم و «الألقاب الحالية وضعت بعد زمن ظهورها ؛ اعتمادًا على وجهة نظر الكنيسة الأولى ... هي عناوين تقليدية، وقد تكون هذه التقاليد صحيحة أو خاطئة»[1].

ويقول ريموند براون: «الحقبة التي كتب فيها المؤلفون الذين يتضمن العهد الجديد أعمالهم تحت أسماء رسل مشاهير سبقوهم (باستثناء النبي المجهول المعروف باسم يوحنا الذي يقدم نفسه ككاتب سفر الرؤيا) ، فلقد اجتهد تقليد لاحق بنسبة أسماء مؤلفين إلى الأناجيل التي لم تكن تحملها سابقًا، غير أن العلم الحديث يشك في دقة هذه النسبة التي تهدف إلى ترسيخ السلطة التي يستند إليها هذا العمل الفردي أكثر مما [يهدف] إلى التأكيد على شخصية الكاتب الحقيقي»[2]، وهكذا فالأسماء التي تسمي بها الكنيسة الأناجيل ليست إلا اجتهادًا يعوزه الاستدلال والتحقيق.

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٢١).

(٢) الكنيسة التي ورثناها، ريموند براون، ص (١٦).

أولاً : إنجيل متى :

وهو أول إنجيل يطالعك وأنت تقرأ في الكتاب المقدس ، ويتكون هذا الإنجيل من ثمانية وعشرين أصحاحًا تحكي عن حياة المسيح ومواعظه من الميلاد وحتى الصعود إلى السماء .

وتنسبه الكنيسة إلى الحواري متّى أحد التلاميذ الاثني عشر الذين اصطفاهم المسيح ، وتختلف المصادر اختلافًا كبيرًا في تحديد تاريخ كتابته ، لكنها تطبق على أنه كتب في القرن الميلادي الأول، يقول مدخل الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية : «فالكثير من المؤلفين يجعلون تاريخ الإنجيل الأول بين السنة ٨٠ والسنة ٩٠ ، وربما قبلها بقليل ، ولا يمكن الوصول إلى يقين تام في هذا الأمر » [١].

ويرجح جون فنتون مفسر الإنجيل أنه « كتب في حوالي الفترة من ٨٥-١٠٥م » [٢]، وهو يقارب ما ذهب إليه البرفسور هارنج حين قال : « إن إنجيل متى أُلف بين ٨٠-١٠٠م » [٣] .

وعلى الرغم من أن كافة مخطوطات الإنجيل باليونانية، وأن أسلوبه وصياغته لا تدلان على أنه نص مترجم، فإن ثمة اتجاهًا قويًا عند آباء الكنيسة للقول بأنه كتاب مؤلَف بالعبرانية للربط بينه وبين أقدم شهادتين كنسيتين ، وهما شهادة أسقف هرابوليس (منبج) الأسقف بابياس (ت ١٥٥م) حيث قال : « قد كتب متى الأقوال بالعبرانية ، ثم ترجمها كل واحد إلى اليونانية حسب استطاعته »، ثم شهادة إيريناوس

(١) مقدمة إنجيل متى في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٥)، وانظر دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٥٧).

(٢) **Saint Matthew. J Fenton. pp 11.**

(٣) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٨-١٢) ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٥٩) ، الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص (٢٥) .

أسقف ليون (ت ٢٠٢م) في كتابه (الرد على الهراطقة) حين ذكر بأن متى وضع إنجيلًا للعبرانيين كتب بلغتهم [1] .

ولما كانت جميع مخطوطات الإنجيل الموجودة يونانية فقد تساءل المحققون عن مترجم الأصل العبراني إلى اليونانية ، وفي ذلك أقوال كثيرة لا دليل عليها البتة ، وهي ـ كما يرى الأب متى المسكين ـ (تخمينات لا يؤيدها برهان) ، فقد قيل بأن مترجمه هو متى نفسه ، وقيل : بل يوحنا الإنجيلي ، وقيل غيرهما ، ولعل الصحيح ما قاله القديس جيروم (٤٢٠م) : « الذي ترجم متى من العبرانية إلى اليونانية غير معروف » ، بل لعل مترجمه أكثر من واحد كما قال بابياس [2] .

التعريف بمتى :

من هو متى ؟ وما صلته بالإنجيل المنسوب إليه ؟ وهل يحوي هذا الإنجيل كلمة الله ووحيه ؟

في الإجابة عن هذه الأسئلة تناقل المحققون ماذكره علماء النصارى في ترجمة متى ، فهو أحد التلاميذ الاثني عشر ، وكان يعمل عشارًا في كفر ناحوم ، وقد تبع المسيح
بعد ذلك ، وتذكر بعض المصادر أنه رحل إلى الحبشة ، وقتل فيها عام ٧٠ م.

ولم يرد للتلميذ «متى» ذكر في العهد الجديد سوى مرتين ، أما المرة الأولى فعندما نادى عليه المسيح ، وهو في مكان عمله في الجباية (انظر متى ٩ : ٩) . والثانية في سياق تعداد أسماء التلاميذ الاثني عشر . (انظر متى ١٠ : ٣ ، ولوقا ٦ : ١٥) .

---

(١) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (١٤٦ ، ٢١٤)، وانظر الإنجيل بحسب القديس متى، متى المسكين، ص (٢٥) .

(٣) انظر : الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٢٩) .

ويجدر أن نذكر أن مرقس ولوقا يذكران أن العشار الذي لقيه المسيح في محل الجباية هو لاوي بن حلفي (انظر مرقس ٢: ١٥ ، ولوقا ٥: ٢٧) ولم يذكرا اسم متَّى . وتزعم الكنيسة ـ بلا دليل ـ أن لاوي بن حلفي هو اسم آخر لمتى العشار ، وما تشكك به الأب أوريجانوس حين قال: «إنني أسلم بأن لاوي الذي تبع يسوع كان محصل ضرائب، لكنه لم يكن ضمن الرسل إلا كما ورد في إحدى نسخ إنجيل مرقس»[١].

أدلة الكنيسة على صحة نسبة الإنجيل إلى متى :

وتؤكد الكنيسة بأن متى هو كاتب الإنجيل ، وتستند لأمور ذكرها محررو قاموس الكتاب المقدس ، أهمها : « الشواهد والبينات الواضحة من نهج الكتابة بأن المؤلف يهودي متنصر » .

وأيضًا « لا يعقل أن إنجيلًا خطيرًا كهذا ـ هو في مقدمة الأناجيل ـ ينسب إلى شخص مجهول ، وبالأحرى أن ينسب إلى أحد تلاميذ المسيح » .

وأيضًا يذكر الأسقف (بابياس) في القرن الثاني الميلادي : « أن متى قد جمع أقوال المسيح » .

وأخيرًا « من المسلم به أن الجابي عادة يحتفظ بالسجلات ، لأن هذا من أهم واجباته لتقديم الحسابات ، وكذلك فإن هذا الإنجيلي قد احتفظ بأقوال المسيح بكل دقة» [٢] .

ومن خلال تأمل ما سبق رأى المحققون أنه ليس ثمة دليل حقيقي عند

---

(١) ضد كلسوس، أوريجانوس (ك١، ف ٦٢) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٣٢) ، وانظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٥٥).

النصارى على صحة نسبة الإنجيل إلى متى ، إذ ليس بالضرورة أن يكتب الجابي معلوماته الدينية كما يكتب متعلقات عمله ، كما أن كتابة التلميذ متى لأقوال المسيح أو لإنجيل؛ لا تفيد صحة نسبة هذا الإنجيل إليه ، وكذلك كون الكاتب يهودي متنصر صفة تنطبق على كثيرين في القرن الأول، وليست محصورة بمتى.

ولو تساءلنا هل هذا الإنجيل هو ما كتبه متى كما جاء في شهادة بابياس في القرن الثاني الميلادي ؟

وفي الإجابة عن السؤال نقول : ذكر بابياس أن متى كتب وجمع أقوال المسيح ، وما نراه في الإنجيل اليوم هو قصة كاملة عن المسيح ، وليس جمعًا لأقواله ، كما أن نسبة هذا الإنجيل إليه لا تمنع من وجود إنجيل آخر قد كتبه ، ولعل من المهم أن نذكر بأن في الأناجيل التي رفضتها الكنيسة إنجيلًا يسمى إنجيل متى ، فلعل بابياس عناه بقوله .

وغير بعيد عن هذا الذي انتهينا إليه ما ذهب إليه العلامة شلاير ماخر عام ١٨٣٢م ، حيث انتهى في بحثه إلى أن ما كتبه التلميذ متى هو «أقوال المسيح» التي ترجمت فيما بعد إلى اليونانية وصيغت وفق النسق التاريخي الموجود بين أيدينا حاليًا»[١] ، فالمؤلف الأصلي هو متى، وثمة من جاء بعده، فصاغه في حلته النهائية على شكل قصة[٢].

وينتهي شلاير ماخر إلى الجزم بضياع الإنجيل الذي تحدث عنه بابياس، و«أن مؤلَف متى الذي أشار إليه بابياس لا يمكن أن يكون إنجيلنا الأول، لأن هذا دُوِّن في

---

(١) انظر : الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٢٨) .
(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٢٢٢).

اليونانية، وهو يتضمن من الوقائع أكثر مما يتضمن من الخطب والأقوال»[1].

إن الأدلة تضافرت على أن كاتب هذا الإنجيل ليس من تلاميذ المسيح . إذ في الإنجيل أمورًا كثيرة تدل على أن كاتبه ليس متى الحواري ، ومن هذه الأدلة :

* أن متى اعتمد في إنجيله على إنجيل مرقس ، فقد نقل من مرقس ستمائة فقرة من فقرات مرقس الستمائة والاثني عشر ، يقول القس فهيم عزيز: اعتماد متى على مرقس حقيقة معروفة لدى جميع الدارسين [2]، فإذا كان متى التلميذ هو كاتب الإنجيل فكيف تفسر الكنيسة أن ينقل عن مرقس الذي كان عمره عشر سنوات أيام دعوة المسيح ؟ كيف لأحد التلاميذ الاثني عشر أن ينقل عمن لم يلق المسيح؟ هل ينقل الشاهد المعاين للأحداث عن الغائب الذي لم يشهدها !؟

* ثم إن إنجيل متَّى يذكر التلميذ متَّى العشار مرتين ، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى أنه الكاتب ، فقد ذكر اسمه وسط قائمة التلاميذ الاثني عشر ، ولم يجعله أولًا ولا آخرًا ، ثم لما تحدث عن اتباع متَّى للمسيح استخدم صيغة الغائب ، فقال : « **وفيما يسوع مجتاز هناك رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية اسمه متَّى فقال له : اتبعني فقام وتبعه** » (متى ٩ : ٩)، ولو كان متَّى هو الكاتب لقال : « **قال لي** » ، « **تبعته** » ، « **رآني** » ، فدل كل ذلك على أن التلميذ متَّى ليس هو كاتب الإنجيل .

* ثم إن التمعن في الإنجيل يبين مدى الثقافة التوراتية الواسعة التي جعلت منه أكثر الإنجيليين اهتمامًا بالنبوءات التوراتية عن المسيح ، وهذا لا يتصور أن يصدر من

---

(١) إزائية الأناجيل الأربعة، بولس الفغالي وآخرون، ص (٦٦٥).

(٢) انظر: المدخل إلى العهد الجديد ، فهيم عزيز، ص (٢٤٣)، والمدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٤٣).

عامل ضرائب محدود الثقافة ، فهذا الكاتب لن يكون متَّى العشار، يقول أ . تريكو في شرحه للعهد الجديد (١٩٦٠م) : إن الاعتقاد بأن متى هو عشار في كفر ناحوم ناداه عيسى ليتعلم منه ، لم يعد مقبولًا ، خلافًا لما يزعمه آباء الكنيسة [١] .

* وقد طعنت في صحة نسبة الإنجيل أو بعضه إلى متّى فرق مسيحية قديمة ، فقد كان الأبيونيون يرون البابين الأولين لإنجيل متى إلحاقيين ، ويرون أن البداية الحقيقية لهذا الإنجيل قوله : « **في تلك الأيام جاء يوحنا المعمداني** .. » (متى ٣: ١) فتكون بداية الإنجيل قصة يوحنا المعمداني كما هو الحال في مرقس ويوحنا[٢].

ويدل على ذلك أيضًا أن قوله: « **في تلك الأيام** » لا يمكن عوده على ما في الأصحاحين السابقين ، إذ كان الحديث في آخر الأصحاح الثاني عن قتل هيرودس للأطفال بعد ولادة المسيح ، وهو زمن طفولة المسيح والمعمدان الذي يكبره بستة أشهر ، بينما الأصحاح الثالث يتحدث عن دعوة المعمدان ـ أي وهو شاب ـ ، وهذا يعني وجود سقط أو حذف قبل الأصحاح الثالث ، أو أنه البداية الحقيقية للإنجيل.

* وقد أنكر كثير من علماء المسيحية في القديم والحديث صحة نسبة الإنجيل إلى متى ، يقول المانوي الهرطوقي فاوست الذي تتلمذ على يديه القديس أوغسطين في أواخر القرن الرابع : « إن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه » ، وكذا يرى القديس وليمس ، والأب ديدون في كتابه (حياة المسيح).

ويقول ج ب فيلبس في مقدمته لإنجيل متى : « نسب التراث القديم هذه البشارة إلى الحواري متى ، ولكن معظم علماء اليوم يرفضون هذا الرأي ».

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٨٠ – ٨٤) .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري (١/ ٤٩٧) .

من هو الكاتب الحقيقي لإنجيل متى ؟

وإذا لم يكن متى هو كاتب الإنجيل المنسوب إليه ، فمن هو كاتب هذا الإنجيل؟

في الإجابة عن السؤال نقول: نتائج الدراسات الغربية التي أكدت أن هذا الإنجيل قد كتبه شخص مجهول ؛ غير متى التلميذ ، ونسبه إليه منذ القرن الثاني ، ولربما يكون هذا الكاتب تلميذًا في مدرسة متى، وهو ما يميل إليه النقاد.

يقول البرفسور هارنج في كتابه «تاريخ الصحف السماوية»: إن إنجيل متى ليس من تأليف متى الحواري ، بل هو لمؤلف مجهول أخفى شخصيته لغرض ما [1].

وجاء في مقدمة الرهبانية اليسوعية لإنجيل متى : « أما المؤلِّف ، فالإنجيل لا يذكر عنه شيئًا وأقدم تقليد كنسي (بابياس أسقف هيرابوليس في النصف الأول من القرن الثاني) ينسبه إلى الرسول متى .. ولكن البحث في الإنجيل لا يثبت ذلك الرأي أو يبطله على وجه حاسم ، فلما كنا لا نعرف اسم المؤلف معرفة دقيقة يحسن بنا أن نكتفي ببعض الملامح المرسومة في الإنجيل نفسه .. » [2].

ويقول القس فهيم عزيز عن كاتب متى المجهول : « لا نستطيع أن نعطيه اسمًا ، وقد يكون متى الرسول ، وقد يكون غيره »[3] .

ويقول حبيب سعيد: «أما متَّى فلا ينعقد الإجماع على أنه مؤلف البشارة التي تحمل اسمه ... لم يذكر لنا التاريخ اسم الكاتب الحقيقي، ولكننا ندعوه «متَّى» ، وهو

---

(١) تاريخ الصحف السماوية، هارنج، ص (١١).

(٢) مقدمة إنجيل متى في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٥).

(٣) المدخل إلى العهد الجديد ، فهيم عزيز، ص (٢٤٥).

الاسم الذي عُرف به الإنجيل»[1].

يرى جون فنتون مفسر إنجيل متى وعميد كلية اللاهوت بلينشفيلد بأنه من المحتمل « أنه كانت هناك بعض الصلات بين متى التلميذ والكنيسة التي كتب من أجلها هذا الإنجيل ، ولهذا فإن مؤلف هذا الإنجيل نسب عمله إلى مؤسس تلك الكنيسة أو معلمها الذي كان اسمه متى ، ويحتمل أن المبشر كاتب الإنجيل قد اغتنم الفرصة التي أعطاه إياها مرقس عند الكلام على دعوة أحد التلاميذ ، فربطها بذلك التلميذ الخاص أحد الاثني عشر (متى) الذي وقره باعتباره رسول الكنيسة التي يتبعها»، ويضيف : « إن ربط شخصيته كمؤلف بهذا التلميذ إنما هي بالتأكيد محض خيال » [2].

ويحاول أوسكار كولمان في كتابه «العهد الجديد» وشراح الترجمة المسكونية تحديد بعض الملامح لهذا الكاتب ، فالكاتب ـ كما يظهر في إنجيله ـ مسيحي يهودي يربط بين التوراة وحياة المسيح ، وهو كما يصفه كولمان : يقطع الحبال التي تربطه باليهودية مع حرصه على الاستمرار في خط العهد القديم ، فهو كاتب يهودي يحترم الناموس ، ويعتبر بذلك من البعيدين عن مدرسة بولس الذي لا يحترم الناموس ، بينما يقول هذا الكاتب « **فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس ، هكذا يدعى أصغر في ملكوت السماوات** » (متى ٥ : ١٩) [3] .

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ، حبيب سعيد، ص (٢٢٢، ٢٤٣).

(٢) **Saint Matthew. J Fenton. pp 136.**، والترجمة بحسب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٥٨)

(٣) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٨-١٢) .

ثانيًا : إنجيل مرقس :

ثاني الأناجيل التي تطالعنا في العهد الجديد ، ويتكون من ستة عشر أصحاحًا ، تحكي قصة المسيح من لدن تعميده على يد يوحنا المعمداني إلى قيامة المسيح بعد قتله على الصليب .

وهو أقصر الأناجيل ، ويعتبره النقاد أصح إنجيل يتحدث عن حياة المسيح ، ويكاد يجمع النقاد على أنه أول الأناجيل تأليفًا ، وأن إنجيل متى ولوقا قد نقلا عنه ، يقول مؤلفو «مدخل إلى الكتاب المقدس»: «ربما كانت بشارة مرقس هي أقدم البشائر الأربع وقد كتبت فيما بين ٦٥-٧٠ ميلادية قبل تدمير هيكل أورشليم ، ويبدو أن كلًا من متى ولوقا قد استخدم إنجيل مرقس»[1] .

يقول العالم الألماني رويس : إنه كان الأصل الذي اقتبس منه إنجيلا متى ولوقا، وهذا الإنجيل هو الوحيد بين الأناجيل المسمى بإنجيل المسيح ، إذ أول فقرة فيه « **بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله** » (مرقس ١ : ١) [2] .

وأما لغة هذا الإنجيل، فالمصادر تتفق على أنها اليونانية، إذا تجاهلنا الأصوات القليلة التي زعمت أنه لاتيني أو آرامي[3] .

وتزعم المصادر أن مرقس كتب إنجيله في روما ، ولعله في الإسكندرية ، وأن كتابته تمت ـ على اختلاف في هذه المصادر ـ بين عام ٤٤-٧٥م معتمدين على شهادة

---

(١) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون، ص (٤٠٨) ، دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٦٦).

(٢) يجدر التنبيه على أن عبارة « ابن الله » لا ترد في جميع المخطوطات ، كما نبه الآباء اليسوعيون في حاشيتهم على هذه الفقرة في الرهبانية اليسوعية، ص (١٢٦).

(٣) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٦٠-٤٦١).

المؤرخ بابياس (١٤٠م) حين قال : « إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس»[1]، ومن بعده قال القديس إيرينايوس (ت ٢٠٢م) الذي قال : « إن مرقس كتب إنجيلاً بعد موت بطرس وبولس»[2].

من هو مرقس ؟

وتناقل المحققون ما رددته المصادر النصرانية في ترجمة مرقس ، والتي يجمعها ما جاء في قاموس الكتاب المقدس عنه ، فهو الملقب بمرقس ، واسمه يوحنا، وقد رافق مرقس برنابا وبولس في رحلتهما ، ثم فارقهما ، ثم عاد لمرافقة بولس .

ويتفق المترجمون له على أنه كان مترجمًا لبطرس اعتمادًا على شهادة الأسقف بابياس (١٤٠م) حين قال : « اعتاد الشيخ يوحنا أن يقول : إذ أصبح مرقس ترجمانًا لبطرس دون بكل تدقيق كل ما تذكره ، ولم يكن مع هذا بنفس الترتيب المضبوط ما رواه من أقوال وأفعال يسوع المسيح ، وذلك لأنه لم يسمع من السيد المسيح فضلًا عن أنه لم يرافقه ، ولكن بالتبعية كما قلت ، التحق ببطرس الذي أخذ يصوغ تعاليم يسوع المسيح لتوائم حاجة المستمعين ، وليس بعمل رواية وثيقة الصلة بيسوع وعن يسوع لأحاديثه »[3] .

ويذكر المؤرخ يوسابيوس أنه ـ أي مرقس ـ أول من نادى برسالة الإنجيل في

---

(١) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص (٢٦٥-٢٦٧) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٥٤) .

(٢) انظر : دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٦١).

(٣) انظر : دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٤٢)

الإسكندرية ، وأنه أسس كنيستها [١] .

ونسجل هنا أن مرقس ليس من تلاميذ المسيح ، بل هو تابع ورفيق ومترجم لبولس وبطرس . يقول المفسر دنيس نينهام في تفسيره لإنجيل مرقس (ص : ٣٩) : «لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة ، وعلاقة خاصة بيسوع ، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى » .

ويقول المفسر دنيس نينهام في تفسيره : « من غير المؤكد صحة القول المأثور الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل (١٢: ١٢ ، ٢٥) .. أو أنه مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى (٥: ١٣) .. أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس ..

لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد ، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم ، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعًا في الإمبراطورية الرومانية ، فعندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة » [٢] .

(١) انظر : تاريخ الكنيسة، يوسابيوس، ص (٧٣)، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٥٣).

(٢) **Saint Mark. D.E.Nineham. pp 39**

وانظر : المسيح في مصادرالعقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٥١-٥٢) ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٨٤) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٥٥) .

ثالثًا : إنجيل لوقا :

هو ثالث الأناجيل وأطولها ، ويتكون من أربعة وعشرين أصحاحًا يتحدث الأصحاحان الأولان عن النبي يحيى وولادة المسيح ، ثم تكمل بقية الأصحاحات سيرة المسيح إلى القيامة بعد الصلب .

وأما كتابة هذا الإنجيل فتختلف المصادر في تحديد زمنها ، والأكثر يجعلونه بين ٥٣-٨٠ م ، وقد اعتمد الكاتب في مصادره على مرقس ، فنقل عنه ثلاثمائة وخمسين من فقراته التي بلغت ستمائة وإحدى وستين فقرة ، كما نقل عن مصدر آخر مشترك بينه وبين متى، يسميه العلماء Q [(١)] .

ولن ندقق طويلًا في موضوع نسبة هذا الإنجيل إلى لوقا، فهو شخص من خارج دائرة التلاميذ، لكنا نريد فقط أن نسجل بأن الربط بين اسم لوقا والكتابين المنسوبين إليه (الإنجيل وسفر الأعمال) يفتقد إلى الدليل الحقيقي، يقول ريموند براون: «أذكر القارئ بأن لا شيء في إنجيل لوقا أو الأعمال يسمح بتشخيص دقيق لهوية المؤلف، إن الطرح القائل بأن المؤلف هو لوقا رفيق بولس المذكور في (فيلمون ٢٤، كولوسي ٤: ١٤، ٢ تيموثاوس ٤: ١١) ليس سوى استنتاج مختصين من أواخر القرن الثاني»[(٢)].

من هو لوقا ؟

وتنسب الكنيسة هذا الإنجيل إلى القديس لوقا ، ولا تذكر المصادر النصرانية

---

(١) انظر : دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٥١-٤٥٤)، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٨٧-٩٠) .

(٢) الكنيسة التي ورثناها، ريموند براون، ص (٨٠).

الكثير عن ترجمته ، لكنها تتفق على أنه لم يكن من تلاميذ المسيح كما يتضح من مقدمته، إذ يقول : « **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة** » (لوقا ١ : ١-٢) ، فهو لم يكن من خدام الكلمة، لكنه تسلم حقائق ما يكتبه منهم.

وتتفق المصادر أيضًا في أنه لم يكن يهوديًا ، وأنه رفيق بولس المذكور في كولوسي ٤ : ١٤ وغيرها ، وأنه كتب إنجيله من أجل صديقه ثاوفيلس « **أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علِّمت به** » (لوقا ١ : ٣-٤) .

وعن مهنته ، قيل بأنه كان طبيبًا ، وقال المؤرخ نيسيفورس كالستوس (ق ١٤): كان رسامًا ، لكنه على أي حال مثقف، وهو كاتب قصص ماهر، وكتب إنجيله باليونانية[1] .

ويلحظ المحققون على إنجيل لوقا ملاحظات ، أهمها :

١ - أن مقدمته تتحدث عن رسالة طابعها شخصي ، وأنها تعتمد على اجتهاده لا على إلهام وحي ، وكان قد لاحظ ذلك أيضًا عدد من محققي النصرانية ، فأنكروا إلهامية هذا الإنجيل ، منهم كدل في كتابه (رسالة الإلهام) ومثله واتسن ، ونسب هذا القول إلى القدماء من العلماء ، وقال القديس أغسطينوس : « إني لم أكن أؤمن بالإنجيل لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة »[2] .

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٢٢) ، الإنجيل بحسب القديس لوقا، متى المسكين ، ص (١٦-١٨).

(٢) الإنجيل الشريف، مقدمة إنجيل لوقا، ص (١٤٢)، كشف المغالطات السفسطية، يوسف فان هام، ص (٧).

٢- شك كثير من الباحثين في الأصحاحين الأولين من هذا الإنجيل، واعتقد النقاد أن قصة الميلاد «أسطورة» ، بل إن هذا الشك كما ذكر جيروم يمتد إلى الآباء الأوائل للكنيسة ، وكذلك فإن مرقيون الهرطوقي وأتباعه لم يكن نسختهم هذان الأصحاحان[١] .

ومما يؤكد بأن لوقا لم يكتب هذين الأصحاحين ، أنه يقول في أعمال الرسل «**الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله يعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه** » (أعمال ١: ١ -٢) ، والأصحاحان الأولان إنما يتكلمان عن ولادة المسيح ، لا عن أعماله ولا عن تعليمه، ونقل العالم الكاثوليكي توماس وارد في كتابه (Errata to the Protestant Bible) عن جيروم قوله : بأن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون أيضًا في الباب الثاني والعشرين من هذا الإنجيل [٢] .

وهكذا نرى للإنجيل أربعة من الكتاب تناوبوا في كتابة فقراته وأصحاحاته .

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٥٠-٤٥٢).

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص (٥٣٥ – ٥٣٦) ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص (٢٦١) .

رابعًا : إنجيل يوحنا :

رابع الأناجيل إنجيل يوحنا ، وهو أكثر الأناجيل إثارة وأهمية ، إذ أن هذا الإنجيل كتب لإثبات لاهوت المسيح ، يقول : « **أما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكي تكون - إذا آمنتم - حياة باسمه** » (يوحنا ٢٠ : ٣١) .

ويذكر محررو قاموس الكتاب المقدس سببًا آخر، فيقولون : « كان الداعي الآخر إلى كتابة الإنجيل الرابع تثبيت الكنيسة الأولى في الإيمان بحقيقة لاهوت المسيح وناسوته ، ودحض البدع المضلة التي كان فسادها آنذاك قد تسرب إلى الكنيسة ، كبدع الدوكينيين والغنوصيين والكيرنثيين والأبيونيين .. ولهذا كانت غايته إثبات لاهوت المسيح » [١].

ويتكون هذا الإنجيل من واحد وعشرين أصحاحًا تتحدث عن المسيح بنمط مختلف عن الأناجيل الثلاثة ، ولغة هذا الإنجيل - باتفاق - هي اليونانية ، واختلف في مكان كتابته ، والأغلب أنه في تركيا - وتحديدًا في أفسس أو أنطاكيا [٢] .

من هو يوحنا الصياد ؟

يوحنا بن زبدي الصياد ، وهو صياد سمك جليلي ، تبع وأخوه يعقوب المسيح، كما أن والدته سالومة كانت من القريبات إلى المسيح ، ويرجح محررو القاموس بأنها أخت مريم والدة المسيح ، وقد عاش حتى أواخر القرن الميلادي الأول ، ويذهب القديس جيروم إلى أنه عاش إلى سنة ٩٨م ، وتذكر المصادر أنه كتب إنجيله في أفسس قبيل وفاته [٣] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١١٠-١١١١) .

(٢) انظر : دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٧٠).

(٣) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١١٠) .

أدلة النصارى على نسبة الإنجيل إلى يوحنا :

وتستدل الكنيسة لتصحيح نسبة هذا الإنجيل بأدلة ذكرها محررو قاموس الكتاب المقدس وهي :

«(١) كان كاتب الإنجيل يهوديًا فلسطينيًا ، ويظهر هذا من معرفته الدقيقة التفصيلية لجغرافية فلسطين ، والأماكن المتعددة في أورشليم وتاريخ وعادات اليهود .. ويظهر من الأسلوب اليوناني للإنجيل بعض التأثيرات السامية .

(٢) كان الكاتب واحدًا من تلاميذ المسيح ، ويظهر هذا من استخدامه المتكلم الجمع .. وفي ذكر كثير من التفاصيل الخاصة بعمل المسيح ومشاعر تلاميذه .. ويتضح من يوحنا (٢١ : ٢٤) أن كاتب هذا الإنجيل كان واحدًا من تلاميذ المسيح .

(٣) كان كاتب الإنجيل هو التلميذ الذي كان المسيح يحبه .. وكان هذا التلميذ هو يوحنا نفسه »[1] .

وأقدم ذكر تاريخي له كان على لسان القديس إيريناوس (ت ٢٠٢م): «ثم يوحنا تلميذ الرب الذي اتكأ على صدره، فقد أصدر هو أيضًا إنجيلاً في أثناء إقامته في أفسس»[2].

وقد لقي هذا الإنجيل معارضة شديدة للإقرار بقانونيته ، فاندفع د . بوست في قاموسه للكتاب المقدس يدافع عنه ويقول: « وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل لكراهتهم تعليمه الروحي ، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح ، غير أن الشهادة بصحته كافية .

فإن بطرس يشير إلى آية منه (٢ بطرس ١ : ١٤ ، يوحنا ٢١ : ١٨) وأغناطيوس

---

(١) المصدر السابق ، ص (١١١٠) ، وانظر : مقدمة الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٢٨٦-٢٨٧).

(٢) انظر : مقدمة الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٢٨٧).

وبوليكرس يقتطفان من روحه وفحواه ، وكذلك الرسالة إلى ديوكينتس وباسيلدس ، وجوستينوس الشهيد، وتانياس ، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها إلى منتصف القرن الثاني.

وبناءً على هذه الشهادات ، وعلى نفس كتابه الذي يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه ، وإلا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم ، وهذا الأمر يعسر تصديقه ، لأن الذي يقصد أن يغش العالم لا يكون روحيًا ، ولا يتصل إلى علو وعمق الأفكار والصلوات الموجودة فيه» [1] .

إنكار صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا :

وتوجهت جهود المحققين لدراسة نسبة الإنجيل إلى يوحنا ، ومعرفة الكاتب الحقيقي له ، وتوصلوا إلى تكذيب نسبة الإنجيل إلى يوحنا الحواري ، واستندوا في ذلك إلى أمور منها :

- أن ثمة إنكار قديمًا لمصداقية هذا الإنجيل ، وقد جاء هذا على لسان عدد من الفرق النصرانية القديمة ، منها فرقة ألوجين (ألوجي) في القرن الثاني ، يقول عبد الفادي القاهراني: «وجد منكرو لاهوت المسيح أن بشارة يوحنا هي عقبة كؤود ، وحجر عثرة في سبيلهم ، ففي الأجيال الأولى رفض الهراطقة يوحنا .. لأنهم أبغضوا ما يحويه، ولم يستطيعوا أن يجعلوها توافق معتقداتهم» [2] .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « هناك شهادة إيجابية في حق أولئك الذين

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، جورج بوست ، (٢/ ٥٤٨) ، وقد أخطأ د . بوست حين ذكر أن بطرس نقل من يوحنا ، إذ تشابه الألفاظ لايعني النقل عن السابق ، ولو لزم ذلك فإن يوحنا هو الذي نقل عن بطرس الذي توفي سنة ٦٥م ، فيما كتب يوحنا إنجيله سنة ٩٥م ، ثم إن الإحالة التي قصدها د . بوست ليست في (٢ بطرس ١ : ١٤) ، بل في (١ بطرس ١ : ١٤) ، فلعله خطأ طباعي.

(٢) رب المجد، عبد الفادي القاهراني ونخبة من اللاهوتيين، ص (١٤٢)، وانظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٧٢)، والتفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس (إنجيل يوحنا)، تحرير : ميشال نجم، ص (١٨).

ينتقدون إنجيل يوحنا ، وهي أنه كانت هناك في آسيا الصغرى طائفة من المسيحيين ترفض الاعتراف بكونه تأليف يوحنا ، وذلك في نحو ١٦٥م ، وكانت تعزوه إلى كيرنثوس (الملحد) ، ولا شك أن عزوها هذا كان خاطئًا .

لكن السؤال عن هذه الطبقة المسيحية البالغة في كثرة عددها إلى أن رآه سانت ايبفانيوس جديرة بالحديث الطويل عنها في (٣٧٤-٣٧٧م) ، أسماها (ἄλογοι) «ألوجي» (أي معارضة الإنجيل ذي الكلمة).

ولو كانت أصلية إنجيل يوحنا فوق كل شبهة ، فهل كانت مثل هذه الطبقة لتتخذ نحوه أمثال هذه النظريات في مثل هذا العصر ، ومثل هذا البلد ؟ لا وكلا »[1] .

– وقد استمر إنكار المحققين نسبة هذا الإنجيل عصورًا متلاحقة ، فجاءت الشهادات تلو الشهادات تنكر نسبته إلى يوحنا . منها قول القس الهندي بركة الله في كتابه (لواء الصليب وتزوير الحقائق) : « الحق أن العلماء باتوا لا يعترفون دونما بحث وتمحيص بالنظرية القائلة بأن مؤلف الإنجيل الرابع كان القديس يوحنا بن زبدي الرسول ، ونرى النقاد بصورة عامة على خلاف هذه النظرية »، وتقول دائرة المعارف الكتابية: « وفي الجانب الآخر يمكن الإشارة إلى كتاب "الديانة الفائقة" الذي ظهرت منه عدة طبعات، وإلى كتاب موفات "مقدمة العهد الجديد"، وكتاب بيكون "الإنجيل الرابع بين البحث والحوار"، وهي جميعها ترفض نسبة الإنجيل ليوحنا» [2] .

– وعند تفحص الإنجيل أيضًا تجد ما يمتنع معه نسبته الإنجيل إلى الحواري يوحنا ، فالإنجيل يظهر بأسلوب غنوصي يتحدث عن نظرية الفيض المعروفة عند

---

(١) وانظر : تاريخ الفكر المسيحي، حنا جرجس الخضري (١/ ٤٩٩)، وحسب الخضري فإن اللالوغوسيين كانوا يعزونه إلى سرنت اليهودي.

(٢) انظر: دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٧١).

فيلون الإسكندراني ، ولا يتوقع لصائد السمك يوحنا أن يكتبه ، خاصة أن يوحنا عامي كما وصفه سفر أعمال الرسل « **فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا** » (أعمال ٤ : ١٣) [١] .

وأما ما جاء في خاتمة الإنجيل مما استدل به القائلون بأن يوحنا هو كاتب الإنجيل وهو قوله : « **هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق** » (يوحنا ٢١ : ٢٤) . فهذه الفقرة كما يقول المحققون دليل على عدم صحة نسبة الإنجيل إلى يوحنا ، إذ هي تتحدث عن يوحنا بصيغة الغائب .

ويرى ويست أن هذه الفقرة كانت في الحاشية ، وأضيفت فيما بعد للمتن ، وربما تكون من كلمات شيوخ أفسس . ويؤيده بشب غور بدليل عدم وجودها في المخطوطة السينائية .

وأما مقدمة الرهبانية اليسوعية فتقول عنها وعن الفقرة التي بعدها : « تشكلان إضافة يعترف بها جميع المفسرين » [٢] .

ويرى الدكتور برنت هلمين ستريتر في كتابه (البشائر الأربعة) أن الزيادات في متن يوحنا وآخره كان الغرض منها « حث الناس على الاعتراف في شأن المؤلف بتلك النظرية التي كان ينكرها بعض الناس في ذلك العصر » [٣] .

ثم إن بعض المؤرخين ومنهم تشارلز الفريد ، وروبرت إيزلز وغيرهما قالوا بأن يوحنا مات مشنوقًا سنة ٤٤م على يد أغريباس الأول ، وعليه فليس هو مؤلف هذا

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/ ٤٧٨).

(٢) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٥٩).

(٣) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص (١٥٥) ، ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، ص (١٥٠-١٥٢) ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص (٣٢٩) ، هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص (٧٩) .

الإنجيل ، إذ أن هذا الإنجيل قد كتب في نهاية القرن الميلادي الأول [1] .

من كتب إنجيل يوحنا ؟

وإذا لم يكن يوحنا هو كاتب الإنجيل ، فمن هو الكاتب الحقيقي ؟

يجيب القس فهيم عزيز في «المدخل»: « هذا السؤال صعب ، والجواب عنه يتطلب دراسة واسعة غالبًا ما تنتهي بالعبارة : لا يعلم إلا الله وحده من الذي كتب هذا الإنجيل » [2].

وحاول البعض الإجابة عن السؤال من خلال تحديد صفات كاتب الإنجيل دون ذكر اسم معين ، يقول جرانت : « كان نصرانيًا ، وبجانب ذلك كان هيلينيًا ، ومن المحتمل أن لا يكون يهوديًا ، ولكنه شرقي أو إغريقي ، ونلمس هذا من عدم وجود دموع في عينيه علامة على الحزن عندما كتب عن هدم مدينة لليهود » .

يقول حبيب سعيد: «وإني أستنتج الآن من مجموعة الأدلة أن الكاتب البشير هو يوحنا الشيخ، الذي كان تلميذًا مخلصًا ليوحنا الرسول، وأنه قد دوَّن تعاليم ذلك الرسول بصدق وإخلاص .. ومن المحتمل أن الرسول أملى فعلاً على الشيخ أجزاء من بشارته، وإني أميل إلى هذا الرأي»[3].

ويوحنا الشيخ هذا شخص آخر مختلف عن يوحنا الرسول أو التلميذ، وقد ذكره الأسقف بابياس (ت ١٦٠م) تلميذ يوحنا الرسول، فقال: «نظرت في كلام الشيوخ مما قاله أندرواس أو بطرس أو فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو

---

(١) انظر : إزائية الأناجيل الأربعة، بولس الفغالي وآخرون، ص (٦٤٧)، وألغاز الإنجيل، فراس السواح، ص (٢٢٩).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ، فهيم عزيز، ص (٥٤٦).

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٢٣).

أحد من تلاميذ ربنا أو إرستون أو يوحنا الشيخ»[١]، ونلحظ هنا أنه ذكر يوحنا الرسول ضمن تلاميذ المسيح ، ثم ذكر يوحنا الشيخ بما يفيد أنه من الجيل الثاني في المسيحية.

وبالعود إلى مؤلف إنجيل يوحنا فإن جون مارش مفسر إنجيل يوحنا في تفسيره يقول : « ومن المحتمل أنه خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا ، من الممكن أن يكون يوحنا مرقس خلافًا لما هو شائع من أنه يوحنا بن زبدي .. وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ، ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة ، فقام حينئذ بتسجيل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة التي كان تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان »[٢] .

وقال الناقد برطشنيدر (Bretschneider) (ت ١٨٤٨): « إن هذا الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه ، بل صنفها أحد في ابتداء القرن الثاني ، ونسبه إلى يوحنا ليعتبره الناس» .

ويوافقه استادلن ، ويرى أن الكاتب « طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية » .

وقال بعض المحققين ومنهم جيمس ماكينون، واستيريتر في كتابه (البشائر الأربعة) بأن يوحنا المقصود هو تلميذ آخر من تلاميذ المسيح ، وهو (يوحنا الأرشد) [الشيخ] ، وأن إيريناوس الذي نسب إنجيل يوحنا إلى ابن زبدي قد اختلط عليه أمر التلميذين.

وذكر جورج إيلتون في كتابه (شهادة إنجيل يوحنا) أن كاتب هذا الإنجيل أحد ثلاثة

---

(١) آباء الكنيسة الأولى، أسد رستم ، ص (٤٢).

(٢) **Saint John, John Marsh . pp 81**

: تلميذ ليوحنا الرسول أو يوحنا الشيخ (وليس الرسول) أو معلم كبير في أفسس مجهول الهوية .

لكن ذلك لم يفت في عضد إيلتون الذي ما زال يعتبر إنجيل يوحنا مقدسًا ، لأنه « مهما كانت النظريات حول كاتب هذا الإنجيل ، فإن ما يتضح لنا جليًا بأن كاتبه كان لديه فكرة الرسول ، فإذا كتبه أحد تلاميذه فإنه بلا مراء كان مشبعًا بروحه .. ».

كما ذهب بعض المحققين إلى وجود أكثر من كاتب للإنجيل ، منهم كولمان حين قال : « إن كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن النص المنشور حاليًا ينتمي إلى أكثر من مؤلف واحد ، فيحتمل أن الإنجيل بشكله الذي نملكه اليوم قد نشر بواسطة تلاميذ المؤلف ، وأنهم قد أضافوا إليه » ، ومثله يقول المدخل لإنجيل يوحنا [1] .

ومن هذا كله ثبت أن إنجيل يوحنا لم يكتبه يوحنا الحواري ، ولا يعرف كاتبه الحقيقي ، ولا يصح بحال أن ننسب العصمة والقداسة لكاتب مجهول لا نعرف من يكون .

وعند غض الطرف عن مجهولية الكاتب واستحالة القول بعصمته عندئذ ، فإن ثمة مشكلة مهمة تثار في وجه هذا الإنجيل ، وهي اختلافه عن باقي الأناجيل الثلاثة رغم أن موضوع الأناجيل الأربعة هو تاريخ وسيرة المسيح عليه السلام ، إذ تتشابه قصة المسيح في الأناجيل الثلاثة ، بينما يظهر الإنجيل الرابع غريبًا بينها .

فمثلًا : هو الإنجيل الوحيد الذي تظهر فيه نصوص تأليه المسيح ، بل هو كتب لإثبات ذلك كما يقول المفسر المطران يوسف الدبس (ت ١٨٨٣) : « وقد دونه بطلب أساقفة كنائس آسيا الصغرى وغيرها ... ، وأما ما حمل يوحنا على تحرير إنجيله

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٥-١٥٧) ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٦٩-٧١) ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٩٠-٩١).

فأمران: الأول: تفنيد آراء أبيون وكيربنتوس والأراتيكيين اللذين كانا ينكران لاهوت المسيح، ويضلان بأنه إنسان كسائر الناس ...»[1] .

ولما لم يكن في الأناجيل الثلاثة ما يدفع أقوال هذه الطوائف ، أنشأ يوحنا إنجيله ، وهذا المعنى يؤكده المعلم اللبناني الكاثوليكي جرجس زوين الفتوحي (ت١٨٩٢م) ، فيذكر عن أساقفة آسيا أنهم اجتمعوا «والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح ، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون » .

يقول الأب روغيه في كتابه (المدخل إلى الإنجيل) : « إنه عالم آخر ، فهو يختلف عن بقية الأناجيل في اختيار الموضوعات والخطب والأسلوب والجغرافيا والتاريخ ، بل والرؤيا اللاهوتية » [2].

وهكذا نصل مع القارئ الكريم إلى نتيجة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، وهي أن نسبة الأناجيل الأربعة إلى تلاميذ المسيح مسألة « تثير صعوبات من كل الأنواع ، أما اليوم فإنه ينظر إلى الأناجيل جملة ، كما لو أنها كتب مجهولة المؤلف» [3] ، وهذه هي الحقيقة .

---

(١) تحفة الجيل، يوسف الدبس ، ص (٦٩٠-٦٩١).

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٦٧).

(٣) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (٢٣٠) ، وقد نسبه إلى المؤرخ الفرنسي البرفسور فانسان مونتيه في كتابه أستاذ التاريخ في جامعة باريس في كتابه (تاريخ الكتاب المقدس) ، ص (١٥٦) .

خامسًا : رسائل العهد الجديد :

يلحق بالأناجيل الأربعة عدد من الرسائل وهي : (سفر أعمال الرسل ـ رسائل بولس الأربع عشر ـ رسالة يعقوب ـ رسالتا بطرس ـ رسائل يوحنا الثلاث ـ رسالة يهوذا ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي) .

أ ـ أعمال الرسل :

ويتكون هذا السفر من ثمان وعشرين أصحاحا ، تتحدث عن الأعمال التي قام بها الحواريون والرسل الذي نزل عليهم روح القدس يوم الخمسين (انظر ٢ : ١-٤)، من دعوة ومعجزات ، كما يتحدث بإسهاب عن شاول ودعوته ورحلاته وقصة تنصره وبعض معجزاته .

وينسب هذا السفر إلى لوقا مؤلف الإنجيل الثالث حيث جاء في افتتاحيته : « **الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ..** » (أعمال ١ : ١) .

ولكن هذه الدعوى يشكل ويمنع من التسليم بها تناقض إنجيل لوقا مع سفر الأعمال في مسألة الصعود إلى السماء إذ يفهم من إنجيل لوقا أن صعود المسيح للسماء كان في يوم القيامة (لوقا ٢٤ : ١٣-٥١) وفي أعمال الرسل يتحدث عن ظهور المسيح بعد القيامة « أربعين يومًا » (أعمال ١ : ٣) . وهذا الاختلاف يكذب الرأي القائل بأن كاتب الإنجيل والسفر واحد .

ب ـ رسائل بولس :

وتنسب هذه الرسائل إلى القديس بولس ، وتمتلئ بعبارات تدل على أنه كاتبها، وهذه الرسائل أربع عشرة رسالة .

وتصطبغ الرسائل أيضًا بالصبغة الشخصية لبولس ، فهي ليست لاهوتية الطابع ،

بل رسائل شخصية لها ديباجة وخاتمة ..

ويشكك أوريجانوس في شرحه لإنجيل يوحنا بجميع رسائل بولس المرسلة إلى الكنائس فيقول : « فإنه [أي بولس] لم يكتب إلى كل الكنائس التي علمها، ولم يرسل سوى أسطر قليلة لتلك التي كتب إليها» (١).

كان هذا رأي أوريجانوس في القديم، وهو كذلك رأي العلماء في الحديث، ففي القرن التاسع عشر «هاجم فردناند كرستيان بور رسائل بولس وقال: إنها كلها مدسوسة عليه عدا رسائله إلى أهل غلاطية، وكورنثوس، ورومية»(٢)، واليوم يشير ريموند براون إلى أن «اتجاهات واسعة بين العلماء يرى ٩٠٪ منهم بأن بولس ليس كاتب الرسائل الرعوية، و٨٠٪ بأنه لم يكتب الرسالة إلى أفسس، و٦٠٪ بأنه ليس كاتب الرسالة إلى كولوسي»(٣).

وهذا التشكك في نسبة الرسائل إلى بولس لا يقطع صلتها ببولس نهائياً ، فقد كتبها تلاميذه من بعده، نعم فـ«بعد موت بولس رغب تلاميذه في التقليد -أن يرشدوا الشعب حول ما يمكن أن يكون بفكر بولس في مواجهة الأوضاع الجيدة- ، فقد شعروا أن يكتبوا بحرية تحت عباءة بولس»(٤).

أما الرسالة إلى العبرانيين خصوصًا فكان النزاع حولها أشد ، فحين تنسبها الكنيسة الشرقية إلى بولس فإن الغربيين ينفون هذه النسبة، ومنهم القديس جيروم

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص (٢٧٤).

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٢٠٤)، وانظر: (١١/ ٢٦٧).

(٣) الكنيسة التي وثناها، ريموند براون، ص (٦٠)، وانظر : ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٩٩)، والاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٣٦).

(٤) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٩٩).

الذي قال: «إن الكنيسة اللاتينية لم تقبلها كرسالة من رسائل بولس»، وإذا ما تكلم عن الكاتب كان يكتفي بالقول: «كاتب الرسالة إلى العبرانيين أيًا كان اسمه، وشعر أغسطينوس بنفس الشعور إزاءها »[١].

وأما الدكتور جورج بوست فيقول في قاموسه : «ولم يتفق العلماء اللاهوتيون على مؤلف هذه الرسالة، فنسبها البعض إلى بولس، وآخرون إلى لوقا، أو برنابا أو أبلوس، وفي كل حال نرى فيها مظاهر عقل بولس »[٢].

ويقول مدخل الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية : « لا شك أن الأدلة التي تنقض صحة نسبة الرسالة إلى بولس هي كثيرة .. فللمرء أن يعتقد أن الرسالة من إنشاء واحد من أصحاب بولس ، أما الاهتداء إلى اسم الكاتب على نحو أفضل فلا سبيل إلى طلبه .. فلابد آخر الأمر من التسليم بأننا نجهل اسم الكاتب » [٣].

ويقول جون باكلين ورفاقه : « نحن ببساطة لا نعرف الكاتب ، فبالرغم من أن الرسالة تحمل تحيات حارة في ختامها ؛ لكنها لا تحمل عنوانًا في مقدمتها .. إلا أن الاتجاه العام هو افتراض أن بولس هو الذي كتبها .. قد يكون الكاتب هو برنابا اللاوي (أعمال ٤: ٣٦) الذي لابد كان يعرف كل شيء عن الكهنة وعملهم ، واحتمال ثالث أن يكون لوقا هو الكاتب لتشابه الأسلوب بين العبرانيين وإنجيل لوقا وسفر أعمال الرسل . هناك رابع هو أبولس الذي كان يعرف تيموثاوس معرفة جيدة

---

(١) تفسير الرسالة إلى العبرانيين، وليم باركلي، ص (١٧)، وانظر: تاريخ الكنيسة القبطية، منسى يوحنا، ص (٢٤٠).

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، جورج بوست (٢/ ٧١).

(٣) مقدمة الرسالة في الرهبانية اليسوعية، ص (٦٨٦-٦٨٧) .

(١٣: ٢٣) كما أن (أعمال ١٨: ٢٤) يخبرنا أن أبولس كان (فصيحًا ومقتدرًا في الكتب) .. ومن كتب هذه الرسالة لابد أن يكون كذلك ، وهناك أيضًا عدد آخر من التخمينات ، وفي النهاية علينا أن نقول أن لا أحد يعلم من هو كاتب هذه الرسالة » [١] .

وهذا الجواب الأخير سبق إلى الإقرار به الأب أريجانوس حين قال : « أما من كتب الرسالة يقينًا فالله يعلم ، يقول بعض من سبقونا : إن أكليمندس أسقف روما كتب الرسالة ، والآخرون : إن كاتبها هو لوقا » [٢].

وكان أوريجانوس يقول: «إن كل من يستطيع تمييز الفرق بين الألفاظ اللغوية يدرك أن أسلوب الرسالة إلى العبرانيين ليس عاميًا كلغة الرسول الذي اعترف عن نفسه بأنه عامي في الكلام، أي في التعبير، بل تعبيراتها يونانية أكثر دقة وفصاحة»[٣].

واستمر الشك في نسبة هذه الرسالة إلى القرن الميلادي الرابع، فقد كتب القديس جيروم: «إن كثيرين يعتقدون أنها ليست منه»[٤].

ولذلك «لم يعد اليوم أحد من الاختصاصيين يتبنى هذا الرأي [نسبتها لبولس]، ولا شيء في كتابات الرسول يتفق والنقد الجذري والدائم الذي نراه في صلب هذه الرسالة ضد العبادة الإسرائيلية»[٥] ، بل يذهب المفسر باركلي إلى ما هو أبعد من ذلك:

---

(١) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ص (٥٥٦) ، وتفسير الرسالة إلى العبرانيين، وليم باركلي، ص (١٧).

(٢) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢٧٦) ، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٩٩)، والمدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، ص (١٥٤).

(٣) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢٧٥).

(٤) رسائل القديس هيرونيمس (جيروم) (١/ ٩٥).

(٥) الكنيسة التي وثناها، ريموند براون، ص (٢٩).

«لم يخطر ببال أحد في كل تاريخ الكنيسة أن بولس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين»[1].

ج ـ الرسائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا اللاهوتي :

وهذه الرسائل سبع رسائل ثلاث منها ليوحنا ، وثنتان لبطرس ، وواحدة لكل من يهوذا ويعقوب ، ثم رؤيا يوحنا اللاهوتي .

وهذه الرسائل تعليمية في محتوياتها ، شخصية في طريقة تدبيجها ، تحوي في مقدمتها اسم مؤلفها غالبًا .

أ. الرسائل المنسوبة إلى يوحنا :

ينسب إلى الرسول يوحنا بن زبدي ثلاث رسائل إضافة إلى رؤيا يوحنا اللاهوتي، وهذه الرؤيا المنامية الغريبة تهدف إلى تقرير ألوهية المسيح ، وإثبات سلطانه في السماء ، وخضوع الملائكة له ، إضافة إلى بعض التنبؤات المستقبلية التي صيغت بشكل رمزي وغامض .

وهذه الرؤيا مسطرة في سبعة وعشرين صفحة!! ومثل هذا يستغرب في المنامات ولا يعهد .

وقد شكك آباء الكنيسة الأوائل كثيراً في هذا السفر. يقول الأسقف كيس ٢١٢م: « إن سفر الرؤيا من تصنيف كيرنثوس الملحد »، وأما ديونيسيوس رئيس مدرسة الاسكندرية عام ٢٥٠م فينقل في كتابه (المواعيد الإلهية) عن بعض السابقين له بأنهم درسوا سفر الرؤيا أصحاحا أصحاحا ، ووجدوه « بلا معنى وعديم البراهين ، قائلين

---

(١) تفسير الرسالة إلى العبرانيين، وليم باركلي، ص (١٧).

بأنه عنوان مزور .. ليس من تصنيف يوحنا .. لم يكتبه أي واحد من الرسل أو القديسين ، أو أي واحد من رجال الكنيسة ، بل إن كيرنثوس مؤلف الشيعة التي تدعى الكيرنثيين ، إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية ؛ نسبها إلى يوحنا » [(١)]، وذلك أن كيرنثوس كان يقول بالملك الأرضي للمسيح ، وهو ما يتفق مع فكرة السفر عن أحداث آخر الزمان .

لكن المؤلف الكبير لم يقنع بما توصل إليه السابقون ، فأمعن في دراسة السفر ، وتوصل إلى أن « السفر من كتابة شخص يدعى يوحنا .. رجل قديس ملهم بالروح القدس ، ولكنني لا أصدق بأنه هو الرسول ابن زبدي ، كاتب إنجيل يوحنا والرسائل الجامعة .. وفي اعتقادي كان هناك كثيرون بنفس اسم الرسول يوحنا » [(٢)] .

ويقول يوسابيوس: « يحتمل أن يكون يوحنا الثاني هو الذي رأى الرؤيا المنسوبة إلى يوحنا ، إن كان أحد لا يميل أن يصدق بأن يوحنا الأول [التلميذ] هو الذي رآها»[(٣)].

ويقول الآباء اليسوعيون في مقدمة هذا السفر : « لا يأتينا سفر يوحنا بشيء من الإيضاح عن كاتبه ، لقد أطلق على نفسه اسم يوحنا ، ولقب نبي ، ولم يذكر قط أنه أحد الاثني عشر . هناك تقليد على شيء من الثبوت ، وقد عثر على بعض آثاره منذ القرن الثاني ، وورد فيه أن كاتب الرؤيا هو الرسول يوحنا .. بيد أنه ليس في التقليد

---

(١) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٣٢٩) ، وانظر ص (١٢٧).

(٢) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٣٣٠-٣٣١) ، وانظر: تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسى القمص، ص (١٢٠).

(٣) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (١٤٥) .

القديم إجماع على ذلك ، وقد بقي المصدر الرسولي لسفر الرؤيا عرضة للشك .. إن آراء المفسرين في عصرنا متشعبة ، ففيهم من يؤكد أن الاختلاف في الإنشاء والبيئة والتفكير اللاهوتي تجعل نسبة الرؤيا والإنجيل الرابع إلى كاتب واحد أمرًا عسيرًا .

ويخالفهم مفسرون آخرون في الرأي .. ويرون أن سفر الرؤيا والإنجيل يرتبطان بتعليم الرسول عن يد كتبة ينتمون إلى بيئات يوحنا في أفسس »[1] .

ويقول المفسر وليم باركلي في مقدمة تفسيره للسفر : « وليس من المحتمل أن يكون الكاتب رسولًا ، فلو أنه كان رسولًا لوضع تنبيره على هذه الحقيقة أكثر من تنبيره على أنه نبي ، ثم إنه يتكلم عن الرسل كأغراب عليه .. فإن هذا أسلوب شخص يؤرخ لفترة خدمة الرسل ، بل إن عنوان السفر يوحي بهذه الفكرة ، فهو « رؤيا يوحنا اللاهوتي » ولعل لقب « اللاهوتي » أي عالم اللاهوت قد أضيف إلى اسم يوحنا الكاتب ليميزه عن يوحنا الرسول .

وهذا الشك في نسبة الرسائل إلى يوحنا يمتد إلى الرسالتين الثانية والثالثة، اللتين تصرح مقدمتهما أنهما من تأليف «يوحنا الشيخ»، بل إن مرسوم البابا جلاسيوس الأول (٤٩٦م) نص على أن الرسالة الأولى من تأليف يوحنا الرسول، وأن الرسالتين الأخريين من كتابة «يوحنا الشيخ الآخر»[2].

وهكذا فلا دلالة تثبت كتابة يوحنا لهاتين الرسالتين وسفر الرؤيا ، وغاية ما يمكن قوله أنه كتب على يد كتبة مجهولين تربوا على يد يوحنا في أفسس .

ولعل القارئ فهم مما سبق أن الرسالة الأولى تصح نسبتها جزمًا إلى يوحنا،

---

(١) مقدمة الرؤيا نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٩٦).

(٢) منشور بصورته على الشبكة العنكبوتية .

وهذا ليس بدقيق، فغاية ما يمكننا قوله، أن ثمة تشابهات بينها وبين الإنجيل الذي لا نعرف مؤلفه على وجه دقيق، هذه التشابهات جعلت المحققين يعتقدون أن كاتبها وكاتب الإنجيل واحد، ولم تمنع آخرين من أن يلحظوا تباينات أساسية بين الكتابين، فاقترحوا: «أن كاتبها كان تلميذًا ليوحنا الرسول»(١).

ب. الرسائل الكاثوليكية الأخرى:

وتنسب الرسائل المتبقية إلى ثلاثة من تلاميذ المسيح، وهم بطرس ويعقوب ويهوذا ، فأما بطرس فهو صياد سمك في كفر ناحوم ، ويعرف بسمعان ، ويرجح محررو قاموس الكتاب المقدس أنه كان من تلاميذ يوحنا المعمدان قبل أن يصحب المسيح ، ويتقدم على سائر تلاميذه ، وقد دعا في أنطاكية وغيرها ، ثم قتل في روما في منتصف القرن الميلادي الأول .

وتنسب إلى بطرس رسالتان، يقبل العلماء عادة الأولى منهما، ويتشككون جدًا في نسبة الرسالة الثانية إلى التلميذ بطرس، يقول التفسير التطبيقي عن الرسالة الثانية: «لسنا على يقين من تاريخ كتابة هذه الرسالة أو لمن كتبت ، كما أن كاتبها محل جدل كثير ، وبسبب ذلك كانت [رسالة] بطرس الثانية آخر سفر يضم إلى الأسفار القانونية للعهد الجديد » (٢) .

وعن كاتب رسالة بطرس الثانية تقول مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية: « لا يزال الرأي القائل أن كاتب الرسالة هو سمعان بطرس موضوعًا للنقاش ، يثير كثيرًا من المتاعب ، فلا يحسن من جهة أن يُجعل شأن كبير للإشارات التي أخبر فيها الكاتب

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١٢) .

(٢) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٢٧٠٦) ، وانظر قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٧٨) .

عن حياته ، والتي قال فيها أنه الرسول بطرس [أي كان المؤلف المجهول يكذب وهو يزعم أنه بطرس الرسول] ، فإنها تعود إلى الفن الأدبي المعروف بالوصايا .. لا يبدو أن الكاتب ينتمي إلى الجيل المسيحي الأول .. ولما كان لا يسوغ الإفراط في تأخير تاريخ رسالة مشبعة على هذا النحو بالتقاليد اليهودية المسيحية يسوغ اقتراح نحو السنة ١٢٥م تاريخًا لإنشاء الرسالة ، وهو تاريخ ينفي عنها نسبتها المباشرة إلى بطرس» [١].

وهذا ما يوافق عليه ريموند براون، فإن «رسالة بطرس الثانية تعود إلى الجيل الثالث أو الرابع، ومع ذلك فهي تدعي الانتساب إلى سلطة بطرس، كما أن كتابات منتحلة من القرنين الثاني والثالث تحمل أسماء رسل»[٢].

وأما الرسالة المنسوبة إلى يعقوب، فيسمي كاتبها نفسه في مطلعها «يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح (يعقوب ١ : ١)، وإذا كان لدينا في التلاميذ ثلاثة أشخاص يتسمون بهذا الاسم، فسيستبعد منهم يعقوب بن زبدي الصياد ـ أخو يوحنا الإنجيلي ـ، فقد كانت وفاته قتلًا على يد أغريباس الأول عام ٤٤م على الأرجح ، أي قبل تأليف الرسالة بزمن مديد.

ويبقى خياران معقولان: «يعقوب بن حلفي» و «يعقوب أخي الرب» المذكور في (غلاطية ١ : ٩)، وهذا الأخير «أجمع جمهرة الشراح على أنه كاتب الرسالة، وقد أطلق عليه يعقوب العادل» [٣].

لكن الآباء اليسوعيين يخبروننا أن ثمة من لا يسلم لهذه الجمهرة بصحة تعيينها

(١) مقدمة رسالة بطرس الثانية في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٥٤).
(٢) الكنيسة التي ورثناها، ريموند براون، ص (١٧).
(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٣٥٧).

للكاتب، فيعقوب يهودي مشبع بالثقافة اليهودية، «أيعقل أنه كتب مؤلفًا يونانيًا بمثل هذا الوضوح؟ .. إنها لا تبدو محتملة»، بل ثمة من يتشكك بأنها لا تنتمي إلى العصر المسيحي ، فبعض النقاد رأوا أنها «من مؤلف يهودي محض» وأما الرأي الأفضل «ويرى آخرون رأيًا احتماله أرجح، وهو أنه كان هناك تقليد فيه أقوال يعقوب .. وإن كاتبًا استعمله، فأراد أن يجعل مؤلَّفه في ظل شخص مشهور جريًا على العادات الأدبية في ذلك الزمان، فيعود تاريخ كتابة الرسالة إلى إحدى السنوات ٨٠-٩٠»[١].

وأما رسالة يهوذا فتنسب إلى «يهوذا» ولا تقدم الرسالة تعريفًا يحدد شخصه، لذا اختلف العلماء، هل هو يهوذا أخو يعقوب الصغير أي أنه ابن زبدي ، أم أنه الحواري الذي يدعى لباوس الملقب تداوس ؟ أم أنه يهوذا آخر غيرهما ؟ [٢] .

وتنسب إليه رسالة صغيرة لا تتجاوز الصفحتين يذكر كاتبها في مطلعها أنه «يهوذا عبد يسوع»، لكن من تراه هذا اليهوذا؟

لو أخذنا على محمل الجد أن اسم الكاتب هو يهوذا فإن لدينا عددًا من الأشخاص القريبين من المسيح يتسمون بهذا الاسم الشائع، يستبعد منهم الأسخريوطي الخائن، ليتبقى لنا يهوذا تداوس، تلميذ المسيح، وكذلك يهوذا أخو يعقوب، الملقب «أخو الرب»، فأيهما كاتب الرسالة؟

يحاول العلماء من خلال الرسالة الوصول إلى ملامح الكاتب، في طريق الوصول إلى تحديد اسمه، لكنهم يصطدمون مجددًا بجدار المجهولية فلا يصلون إلا إلى السراب، فالمفسر وليم باركلي يضع الاحتمالات، ثم يجد أفضلها: «يهوذا هذا

---

(١) مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٢٢).

(٢) انظر: تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا)، وليم باركلي، ص (٢٧٦).

هو يهوذا مجهول.. ولو كان هو أخا الرب لما تردد في إيضاح ذلك،.. الحقيقة المؤكدة هي أننا لا نعرف بوضوح شخصية كاتب الرسالة»[١].

ويقول الآباء اليسوعيون: «إن بعض ما ورد في الرسالة عائد إلى ما بعد الرسل، فقد ذكر في الآية ٣ الإيمان الذي سلم إلى القديسين، وذُكر على الخصوص في الآية ١٧ تعليم الرسل، وكأنهم بأجمعهم من الماضي».

وحتى لا نبعد بعيدًا عن اسم يهوذا، فإن الاقتراح الأفضل للمؤلف عند الآباء اليسوعيين أن يقال: «فلا بد للكاتب من الانتساب إلى تعليم يهوذا أخي الرب، فقد كان يعيش في حلقة يكرم فيها أخو الرب يعقوب ويهوذا، وكانت تتناقل أقوالهم، ولا يمكن من جهة أخرى تأخير تاريخ رسالة لها مثل هذه الجذور المتأصلة في بيئة يهودية قديمة، فيسوغ إذًا أن تجعل السنوات ٨٠-٩٠ تاريخًا لها»[٢]، فالكاتب واحد من تلاميذ يهوذا، وينتحل اسمه، على عادة مؤلفي القرن الأول الميلادي.

وهكذا يتبين للقارئ أننا نغوص في احتمالات لا يخرجنا منها إلا الحدس والظنون التي تصلنا إلى حقيقة سامقة، وهي أن هذه الكتب والرسائل مجهولة المؤلف، ولا يفين، بل أحيانًا لا دليل يربط بينها وبين الأسماء التي وضعت عليها.



(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا)، وليم باركلي، ص (٢٧٧).

(٢) مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٨٧)، وانظر: كيف يفكر الإنجيليون، واين جردوم، ص (٤٦).

تدوين وقانونية العهد الجديد

ويقفز إلى الأذهان أسئلة جديدة : كيف ظهرت الأناجيل بعد اختفاء إنجيل المسيح ؟ ومن الذي كتبها ؟ وما ظروف كتابتها ؟ وكيف أصبحت مقدسة؟

في الإجابة عن هذه الأسئلة نقول : يقرر عدد من مؤرخي النصرانية انتقال روايات شفاهية ، تبلورت فيما بعد بحركة دائبة في كتابة سيرة المسيح لتلبية حاجات الكنيسة المسيحية الناشئة ، فكتب في القرن الأول الكثير من الكتابات ، كما أشار لوقا في مقدمة إنجيله.

ويلخص يواكيم إرميا المشهد كاملاً بقوله: « ينبغي أن نضع نُصب أعيننا حقيقتين أساسيتين عن بشائر الإنجيل وكتابتها : أنه لمدة طويلة ، كانت كل التقاليد المعروفة عن المسيح ، كلها أقوال شفاهية متناقلة .. واستمرت على هذه الصورة ما يقرب من خمسة وثلاثين عامًا ، ولم يتغير الوضع إلا في عهد اضطهاد نيرون للمسيحيين ، حينها اجتمع شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤م ، ووجدوا أن الكثيرين من أعمدة الكنيسة قد فقدوا .. ولم يجد المجتمعون أمامهم إلا يوحنا الملقب مرقص ، زميل الرسول بطرس في الخدمة .. ليسجل كل ما يستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح وتعاليمه ، وكتب مرقص بشارته المختصرة التي تحمل اسمه ، وهي أقدم قصة كتبت عن حياة المسيح .

والحقيقة الثانية : أن قصة مرقس عن المسيح وأقواله قد دفعت غيره ليحذوا حذوه ، وينسجوا على منواله .. وتنشأ بشائر أخرى .. حتى كان هناك عدد لا يستهان

به من البشائر »[1].

وهكذا فيكاد ينعقد إجماع العلماء على أن إنجيل مرقس هو الأناجيل تأليفًا، يقول مدخل الرهبانية اليسوعية متحدثًا عن تاريخ تدوين العهد الجديد : « ويمكن تأريخ إنجيل مرقس في السنين ٦٥-٧٠م .. وأما إنجيل متى وإنجيل لوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها ، لأنهما وُجها إلى بيئات أخرى ، وقد وضعا بعد إنجيل مرقس بخمس عشر إلى عشرين سنة » [2].

ولذلك خلت كتابات القرن الميلادي الثاني قبل إيريناوس (ت ٢٠٢م) من أي ذكر للأناجيل الأربعة، إذا استثنينا سطرًا كتبه بابياس ذكر فيه أن مرقس كتب إنجيلاً من ذكريات تلقاها من بطرس ، وتحدث أيضًا عن إنجيل أقوال كتبه متى بالعبرانية[3].

وأما ما يقال عن اقتباسات إكليمندس الروماني أو أغناطيوس من الأناجيل والرسائل؛ فالعلماء يتشككون في كونها اقتباسات ، إذ لم يزعم كاتبوها ذلك، ولم يشيروا بالاسم إلى واحد من مصادرهم المفترضة ، وكما قال الآباء اليسوعيون: «يكاد أن يكون من العسير كل مرة الجزم : هل الشواهد مأخوذة من نصوص كتابية كانت بين أيدي هؤلاء؟ أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التقليد الشفهي، ومهما يكن من أمر فليس قبل السنة ١٤٠ أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة، ولا يذكر أن لمؤلَف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر ذلك إلا في النصف الثاني من القرن الثاني »[4]، فمؤلفات القرن الثاني خلت من ذكر أسماء الإنجيليين

(١) أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الأناجيل، يواكيم إرميا ، ص (؟؟) .

(٢) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٩).

(٣) انظر : آباء الكنيسة، أسد رستم، ص (٤٢).

(٤) مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (٩).

الأربعة فجوستين الشهيد (ت ١٦٥) أحد أبرز آباء الكنيسة فقد كتب في منتصف القرن الثاني مستدلًا لألوهية المسيح بأكثر من ثلاثمائة نص من العهد القديم ونحو مائة من الأناجيل المرفوضة ، ولم ينقل نصًا واحدًا من الأناجيل الأربعة ، بل لم يشر إليها البتة ، يقول البطريرك الدكتور قايلز في كتابه (السجل المسيحي) : « هذه الأسماء : متى ومرقس ولوقا ويوحنا لم يذكرها جوستين ولا أي نص منها نجده في أي من كتاباته » .

ويقول الدكتور دوود ويل في كتابه (أطروحة حول ايريناوس) : « نحن على يقين بأن كتابات كل من إكليمندس الروماني، هرماس، أغناطيوس، وبوليكارب والذين كتبوا بعد التاريخ المفروض لكتبة الأناجيل ليس بها أي ذكر لهذه الكتب الأربعة » .

وكان الأسقف إيريناوس (ت ٢٠٢م) أول من تحدث عن الأناجيل الأربعة وذكر أسماء مؤلفيها[١]، وبيَّن سر إكتفاء الكنيسة بأربعة أناجيل حين قال: «ليس من الممكن أن تكون الأناجيل أكثر أو أقل مما هي (أي أربعة) ، لأنه توجد أربع مناطق للعالم تعيش فيه، وأربعة رياح (أو أرواح) رئيسية .. فمن المناسب أن يكون للكنيسة أربعة أعمدة »[٢].

على أية حال، بقيت هذه الكتابات زهاء مائة سنة محل احترام الكنائس وعنايتها، من غير أن يفكر أحد في جعلها كتب مقدسة موازية لسلطة العهد القديم، لكن ظهور الهرطوقي مرقيون في منتصف القرن الميلادي الثاني وتجميعه لمجموعة من الأسفار ضمن كتاب يراه مقدسًا ؛ أوجد أول صيغة مسيحية لكتاب مقدس خاص، وأشعر الكنيسة بحاجتها إلى إصدار مجموعة مقننة من الكتب على غرار الأسفار اليهودية ، وقد أثمرت ما بين أيدينا من أسفار العهد الجديد ، يقول مدخل الآباء اليسوعيون للعهد الجديد : « لم يشعر المسيحيون الأولون إلا بعد وفاة آخر

---

(١) ضد الهرطقات، إيريناوس (ك٣، ف١).

(٢) المصدر السابق (ك٣، ف١١).

الرسل بضرورة تدوين أهم ما عمله الرسل وتولي حفظ ما كتبوه .. ويبدو أن المسيحيين حتى ما يقرب من السنة ١٥٠م تدرجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلا قليلًا جدًا إلى الشروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأسفار المقدسة ، وأغلب الظن أنهم جمعوا في بدء أمرهم رسائل بولس ، واستعملوها في حياتهم الكنسية ، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلفوا ملحقًا بالكتاب المقدس»[(١)].

وتواصل مقدمة الآباء اليسوعيين للعهد الجديد سرد رحلة تقنين الكتابات : «يمكن القول أن الأناجيل الأربعة حظيت نحو السنة ١٧٠م بمقام الأدب القانوني ، وإن لم تستعمل تلك اللفظة حتى ذلك الحين ..

وأما رسائل بولس فيكاد أن يكون من الأكيد أنها لم تدخل إلى القانون؛ الواحدة تلو الأخرى، بل إن مجموعتها أدخلت إليه برمتها يوم أخذ يغلب في الكنيسة الرأي القائل بأنه لابد من الحصول على قانون للعهد الجديد..

يجدر بالذكر ما جرى بين السنة ١٥٠ والسنة ٢٠٠ إذ حدد على نحو تدريجي أن سفر أعمال الرسل مؤلف قانوني ، وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى .. هناك عدد كبير من المؤلفات (الحائرة) يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونية في حين أن غيرهم ينظر إليها نظرته إلى مطالعة مفيدة .. » [(٢)] .

والمتتبع للقوائم الكنسية المتتالية يرى اتفاقًا بين الكنائس على قبول ٢٠ كتابًا من كتب العهد الجديد الـ ٢٧ (الأناجيل الأربعة، أعمال الرسل، ١٣ رسالة لبولس، رسالة بطرس الأولى، رسالة يوحنا الأولى)، بينما بقي الخلاف جليًا على قبول سبع

---

(١) مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (٨).

(٢) مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (٩)، وانظر: برهان جديد يتطلب قرارًا، جوش ماكدويل، ص (٦٩)، والمدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص (١٤٥-١٤٧)، ودائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٤٢).

من الرسائل التي ستغدو فيما بعد قانونية (العبرانيين، يعقوب، يهوذا، بطرس الثانية، يوحنا الثانية والثالثة، الرؤيا)؛ بعد أن بقيت موضع أخذ ورد طوال ثلاثة قرون[1].

وأول قائمة مسيحية للأسفار المقدسة هي القائمة التي اكتشف مخطوطتها لودوفيكو موراتوري عام ١٧٤٠م، فسميت باسمه، وتعود إلى العام ١٧٠م، ويرى البعض أنها من كتابة ترتليان أو هيبوليتوس، وقد تضمنت القائمة ٢٢ كتابًا، وخلت من رسائل العبرانيين ويعقوب ورسالتي بطرس ويوحنا الثالثة[2].

وأما قائمة أوريجانوس (ت ٢٥٤م) للكتب المقدسة، فقد اشتملت على رسالة برنابا وراعي هرماس والديداكي، وخلت من بطرس الثانية التي قال عنها: «ترك رسالة واحدة معترف بها، ولعله ترك رسالة ثانية أيضًا، ولكن هذا أمر مشكوك فيه»، وخلت أيضًا من رسالتي يوحنا الثانية والثالثة ، فقد قال عنهما أوريجانوس: «وربما [ترك] رسالة ثانية وثالثة، ولكن ليس معترفًا بصحتهما من الجميع » ، وأما رسالة العبرانيين فقال عنها أوريجانوس: «أما من كتب الرسالة يقينًا فالله يعلم»[3].

ويقدم كيرلس الأورشليمي (ت ٣٨٦م) قائمة بالأسفار المقدسة تخلو من سفر الرؤيا، فيقول: «يحتوي العهد الجديد على أربعة أناجيل فقط، أما الباقي فمزور ..، فتُقبل أعمال الرسل الإثني عشر ، ومعها الرسائل الجامعة السبع ليعقوب وبطرس

(١) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز ، ص (١٥٤) ، وقصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٣١٥).

(٢) انظر : تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفيقاه، ص (٣٨)، وتفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا)، وليم باركلي، ص (٢٦٨).

(٣) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس، ص (٢٧٤-٢٧٦)، وانظر : دائرة المعارف الكتابية (٢/ ١٤٤)، كيف يفكر الإنجيليون، واين جردوم، ص (٤٨).

ويوحنا ويهوذا، وأخيرًا رسائل بولس الأربع عشر، خاتمة الرسل وآخرهم، وألقِ بعيدًا عنك بقية الكتب باعتبارها غير قانونية»[١].

واستمر الشك بهذه الرسائل طوال القرن الرابع، ويلخص يوسابيوس القيصري المشهد في الربع الأول منه: « أما الأسفار المتنازع عليها ، المعترف بها من الكثيرين بالرغم من هذا، فبين أيدينا الرسالة التي تسمى رسالة يعقوب ورسالة يهوذا ، وأيضًا رسالة بطرس الثانية والرسالتان اللتان يطلق عليهما رسالتا يوحنا الثانية والثالثة ، سواء انتسبتا إلى الإنجيلي، أو إلى شخص آخر بنفس الاسم»[٢] .

وبخصوص رسالة العبرانيين ، فقد «مرَّ عليها زمن طويل قبل أن يعترف بها كسفر من أسفار العهد الجديد القانونية .. القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد ، وهي المعروفة بالقانون الموراتوري لم تذكر فيه هذه الرسالة .. ترتليانوس يعرف أن مكانها هو موضع نزاع»[٣].

ولاحقًا بدأ الآباء بمراجعة مواقفهم من هذه الرسائل المشكوك به، فرسالة العبرانيين المجهولة المؤلف «كانوا يقرؤونها ويحبونها، ويحسون بالحاجة إليها، لذلك لم يكن أمام الكنيسة إلا أمر واحد: كان لابد من ضمها إلى أسفار العهد الجديد .. وهكذا كسبت رسالة العبرانيين طريقها إلى العهد الجديد، على أساس مكانتها العظمى، وعرف الناس جيد المعرفة أن الأسلوب ليس أسلوب بولس، وأن مجرى الفكر ليس شبيهًا بفكر بولس»[٤]، فقد صارت مقدسة رغم مجهولية كاتبها، لأن الناس

(١) في العقائد العشر، كيرلس الأورشليمي (٤/ ٣٦).
(٢) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ، ص (١٢٧).
(٣) تفسير رسالة العبرانيين، وليم باركلي، ص (١٣).
(٤) تفسير الرسالة إلى العبرانيين ، وليم باركلي ، ص (١٧) .

أحبوها، ومحبتهم لها كافية لاعتبارها من وحي الله!!!.

وأما الرسالة الثانية لبطرس فقد كانت موضع شك منذ القديم، حتى أن جيروم قال عنها: «إن كثيرين أنكروا نسبة هذه الرسالة إلى بطرس»[١]، وتصف مقدمة الرسالة في نسخة الرهبانية اليسوعية قصتها مع التقديس ، فقد كانت « السفر الذي لقي أكثر المصاعب ليُعترف به ، فقد دخلت دخولًا بطيئًا إلى مجمل الكنائس .. ولم يعترف بها في معظم الكنائس إلا في القرن الخامس ، واعترف بها في سورية في القرن السادس »[٢].

لذا يقول يوسابيوس : « علمنا بأن رسالته الثانية الموجودة بين أيدينا الآن ليست ضمن الأسفار القانونية ، ولكنها مع ذلك إذ اتضحت نافعة للكثيرين ، فقد استُعملت مع باقي الأسفار .. فالذي أعرفه هو أن رسالة واحدة فقط قانونية ومعترف بها من الشيوخ الأقدمين » [٣] .

وهكذا تأخر الاعتراف إلى أواسط القرن الرابع الميلادي برسالة بطرس الثانية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالتي يعقوب ويهوذا ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي الذي كان موضع جدل كبير قبل إقراره[٤] .

وبخصوص رسالة يهوذا فإن القديس جيروم كان يشك في قانونيتها، وأحد أسباب تشككه فيها ؛ أنها «تشير إلى بعض الأسفار غير القانونية التي كتبت فيما بين العهدين، وعلى سبيل المثال يشير عدد ٩ إلى المحاجة التي تمت بين الشيطان وبين

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٣٦) .

(٢) مقدمة رسالة بطرس الثانية في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٥٤).

(٣) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٩٦) .

(٤) انظر: تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصري ، ص (١٢٧)، وقصة الحضارة، وليام ولديورانت (١١/ ٣١٥) .

رئيس الملائكة ميخائيل حول جسد موسى، وهذه القصة مأخوذة من كتاب رفع جسد موسى، وهو واحد من كتب الابوكريفا اليهودية، وفي عدد ١٤ يحذو يهوذا حذو غيره من كتاب العهد الجديد، فيقتبس جزءًا آخرمن نبوة مأخوذة من سفر أخنوخ لإثبات صحة كلامه، الأمر الذي يشير إلى أنه كان يعتبرها نبوءة حقيقية»[١].

ويقول أوسابيوس عن رسالتي يعقوب ويهوذا: « الرسالة [رسالة يعقوب] متنازع عليها ، أو على الأقل أن الكثيرين من الأقدمين لم يذكروها في كتاباتهم ، كما هو الحال في أمر الرسالة التي تحمل اسم يهوذا ، ومع ذلك فنحن نعلم أن هاتين الرسالتين قرئتا علنًا مع سائر الأسفار في كنائس كثيرة جدًا » [٢] .

ويكمل وليم باركلي: «لم تقبل رسالة يهوذا كأحد أسفاره القانونية إلا بعد جهد جهيد، وإلى عهد قريب كانت الرسالة في عداد الأسفار التي يدور حولها لغط كثير، ولم تحظ بالقبول الكامل كجزء من العهد الجديد إلا في عصر متأخر»[٣].

ويقول الآباء اليسوعيون: «لاشك أنها كانت تحظى ببعض الشهرة، ولا يمكن التقليل من قوة التيار اليهودي المسيحي الذي تنتسب إليه .. اعترض دخولها قانون الكتاب المقدس بعض العقبات، ولاسيما في كنائس سوريا، .. قبلت في وقت مبكر جدًا في روما والإسكندرية وقرطاجة، وقال هيرونيمس (ت ٤٢٠م): إن الشك الذي تناول الرسالة يعود إلى ما اقتبسته من مؤلفات لم تعترف بها الكنائس»[٤].

وأما رسالة يعقوب فـ «لم تحظ بمكان في العهد الجديد إلا بتدرج بطيء جدًا،

(١) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا)، وليم باركلي ، ص (٢٦٩).

(٢) تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٨٨) .

(٣) تفسير العهد الجديد (رسائل يوحنا ويهوذا)، وليم باركلي ، ص (٢٦٨).

(٤) مقدمة الرسالة في الرهبانية اليسوعية، ص (٧٨٧).

منذ أول القرن الثالث ، ولم تحصل على الصفة القانونية في الغرب إلا في آخر القرن الرابع، وبعد مناقشات طويلة »[١].

وآخر الأمر رأت الكنيسة ضرورة توحيد الرؤى بخصوص الكتاب المقدس وحسم الخلاف حول قدسية الأسفار المتنازع عليها، فمتى حصل هذا التوافق ؟

في عام ٣٩٣م انعقد مجمع هيبو لدراسة تحديد قائمة للكتاب المقدس، ثم استكملت اعماله عام ٣٩٧م في مجمع قرطاج الذي حضره الأسقف أوغسطينوس، مستحضرًا قانون الأغلبية الذي حسم الخلاف بين الكنائس المختلفة، وجمعها على قائمة واحدة مكونة من ٢٧ سفرًا كما قررت ذلك المادة ٢٤ من قرارات المجمع[٢] ، يقول فيلسيان شالي: «تكون هذا القانون بصورة نهائية في القرن الرابع ، وقد اضطروا لتكوينه بجمع الكتابات التي تقرأ في الكنائس الكبرى ، والتي اعتبرت متفقة مع الآراء المتوسطة المقبولة من المسيحية في ذلك العهد » [٣] .

ولم يمنع هذا الإجماع الذي صمد قرونًا من صدور أصوات مهمة تتشكك في قانونية هذه الرسائل، كان أهمها الراهب الألماني وأستاذ اللاهوت مارتن لوثر (ت ١٥٤٦م) مؤسس البرتستنتية، فعن رسالة يعقوب صدر الموقف الأصعب بحقها من مارتن لوثر الذي قال عنها: «إنما هي رسالة كالتبن»[٤]، ووفق ترجمة القس منيس عبد

---

(١) مقدمة الرسالة في الرهبانية اليسوعية، ص (٧٢١).

(٢) انظر تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (٣/ ٩٩) ، والوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الأنبا إيسوذوروس (١/ ٢٣٩).

(٣) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (٢٢٧) .

(٤) الكوكب الوضاح في تاريخ الإصلاح، الأب فان هام، ص (٤٢)، وانظر قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢٤/ ٧٥).

النور «من قِش»[1] ، وكان لوثر يذهب إلى القول : «إنها مؤلف يهودي تجب إزالته من قانون الكتاب المقدس»[2] ولعل سبب هذا الموقف القاسي من الرسالة تأكيدها على ضرورة الأعمال الصالحة كطريق للخلاص[3]، وهو ما يناقض آراء لوثر، والتي كان يراها معيارًا مكافئًا لمعيار قبولها عند الآخرين بسبب جودة تعليمها.

وغير بعيد عنه ما قاله عن سفر الرؤيا، يقول المفسر الدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعة جلاسكو: « أما مارتن لوثر فقد رفض أن يعطي هذا السفر [الرؤيا] مكانًا في العهد الجديد ، وأضافه إلى أسفار أخرى هي رسائل يعقوب ويهوذا وبطرس الثانية والعبرانيين ، واقترح أن يضيف هذه في نهاية العهد الجديد » [4] .

هذا السفر كان السفر الأكثر رفضًا عند العديد من الكنائس التي تأخر بعضها (الكنيسة السريانية) إلى القرن ١٢ للاعتراف به، يقول القس فهيم عزيز: «الكنيسة الغربية قبلته مباشرة من وقت ظهوره .. وأما موقف الكنيسة المصرية فكان مختلفًا بعض الشيء، فبينما قبله أكليمندس السكندري ومن بعده أوريجانوس، وقبِلوا أن يوحنا الرسول هو الذي كتبه ؛ إذ بالحال يتغير بعد سنوات قليلة من موت أوريجانوس، فقد اعترض عليه دينسيوس أسقف الإسكندرية، وتشكك كثيرًا في أصله الرسولي .. ومع ذلك فلم تتأثر الكنيسة المصرية بفكرة دينسيوس، وظلت تعتقد في أصل الكتاب الرسولي ... أما الكنيسة التي تأثرت برأي دينسيوس فهي الكنيسة

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، منيس عبد النور، ص (٤١٨)، وانظر: كيف يفكر الإنجيليون؟ واين جردوم، ص (٥٣).

(٢) مقدمة الرسالة في الرهبانية اليسوعية، ص (٧٢١).

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (١٠٧٧).

(٤) تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا) ، وليم باركلي ، ص (٩) .

اليونانية، فقد ظل فيها بعيدًا عن الكتب القانونية إلى سنة (٥٠٠م)، حتى يوسابيوس (٣٤٠م) تشكك في نسبته إلى يوحنا الرسول، وكيرلس الأورشليمي لم يضعه بين الكتب القانونية ، ثم مدرسة أنطاكيا لم تعترف به، وكُتاب القرن الرابع في آسيا الصغرى لم يتفقوا على رأي في ذلك، ولم يظهر سفر الرؤيا في الكتب المقدسة اليونانية خارجًا عن مصر سوى في أوائل القرن السادس، وأما الكنيسة السريانية فلم تضعه من ضمن الكتب المقدسة إلا في القرن الثاني عشر الميلادي»[١].

وهذا الموقف السلبي من سفر الرؤيا سببه لا ينحصر في تشكك الأولين بشخص كاتبه، بل يمتد إلى محتواه، فمارتن لوثر يرى: « أن هذا السفر لا يعلّم عن المسيح ، ولا يشير إليه بوضوح ، ولا يتضح فيه أنه من وحي الروح القدس » .

وكذلك فإن المصلح السويسري زونجلي فسَّر في عظاته كل أسفار العهد الجديد إلا سفر الرؤيا لأنه وفقًا لولديورانت «لم يكن يحبه»[٢]، بل قال : « ليس لنا شأن بسفر الرؤيا ، لأنه ليس سفرًا كتابيًا ، فليس فيه طعم كتابات يوحنا .. وفي وسعي أن أرفضه»، ويعقب المفسر باركلي: « وقد اشترك مع لوثر وزونجلي كثيرون ».

كما نقل باركلي عن بعض المفسرين قولهم : « إن عدد الألغاز الموجودة في سفر الرؤيا يساوي عدد كلماته ، وقال آخر : إن دراسة الرؤيا تصيب الإنسان بالخبل ، أو إن الذي يحاول القيام بها مخبول» [٣] ، وذلك للرمزية التي يستخدمها الكاتب، والتي يستحيل منها الخروج بنتيجة ذات بال، فالكثير من نبوءاته غير مفهومة، أو مستحيلة الحدوث.

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ، فهيم عزيز، ص (٦٣٩-٦٤٠) .

(٢) قصة الحضارة، ولديورانت (٢٤/ ١١٤) .

(٣) تفسير العهد الجديد (سفر الرؤيا) ، وليم باركلي ، ص (٩) .

لذلك أدرجه حبيب سعيد في مرتبة الخيال، لا الحقائق، فبعد أن وجد فيه «أرقامًا سرية، ورموزًا ملفوفة بالضباب، ووعودًا لم تكتمل» قال: «إن سفر الرؤيا يقف في مرتبة سامية علياء من حيث الخيالات الروحية، وإن يكن تأويله غامضًا ، ونبواته لم تتحقق .. لا نحس فيه بالواقعية التاريخية التي نراها في بشائر الأناجيل، ولا الإيمان الثابت الراسخ الذي نعيشه في رسائل بولس»[١].

معايير اختيار الأناجيل الأربعة ثم بقية الرسائل:

من بين عشرات الكتب قررت الكنيسة اختيار كتابها ، وأصدرت بذلك مراسيم وإعلانات بدأت بتشكيل رأي عام في الكنائس مع بداية عصر المجامع في القرن الرابع بمجمع نيقية ٣٢٥م ، ففي هذا العصر أمرت الكنيسة باعتماد الأناجيل الأربعة ورفض ما سواها من الكتب المتناثرة في مكتبة القرون الأولى ، من غير أن تقدم مبررًا علميًا لهذا الاختيار ، أو قاعدة صلبة تم بموجبها إقرار الكتب القانونية، واستبعاد ما رذلته الكنيسة وأسمته (أبوكريفا).

يقول يواكيم إرميا: «ولما رأت الكنيسة أن الأمر جدٌّ خطير بدأت في تقصي أسس هذه البشائر الأربعة المعروفة ، واعتبرت ما سواها (بشائر أبو كريفية) ، طوردت وجمعت وأحرقت حتى اختفت »[٢].

وفي ذلك يقول العالم الألماني تولستوي في مقدمة إنجيله الخاص الذي وضع فيه ما يعتقد صحته : « لا ندري السر في اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره ، واعتباره مقدسًا منزلًا دون سواه مع كون جميع الأشخاص الذين

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٣٧٤) .

(٢) أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الأناجيل، يواكيم إرميا ، ص () .

كتبوها في نظرها رجال قديسون .. ويا ليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل .. إن الكنيسة أخطأت خطأ لا يغتفر في اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها .. » .

ولا يرى فيلسيان شالي كبير خلاف يميز الأناجيل المعتبرة عن المرفوضة : « إن هناك نتيجة مسلمًا بها ، وليس فيها أي مجال للماراة : هي أن الكتب العائدة للكنيسة لا تختلف إطلاقًا عن الأدبيات المسيحية الأخرى ، وليس هناك من فاصل مطلق أو تمييز أساسي بين الأناجيل والرسائل والرؤى الكنسية ، وبين الأناجيل الأخرى والرسائل الأخرى والرؤى الأخرى »[1]، وهكذا لا يحق لرجال الكنيسة إعطاء صفة القانونية للأناجيل الأربعة ، كما لا يجوز لهم إبطال صحة هذه الأناجيل واعتبارها أبوكريفا (مزيفة) دون تقديم مبررات علمية مقنعة؛ خلاف الذوق والموافقة لما أرتاته من عقائد وآراء، إذ يفترض أن تصدر هذه الآراء عن الكتب المقدسة، لا أن تكون معيارًا لقبولها ورفضها.

وقد تعقب فولتير في مقاله «المعجزات» الكنيسة، وتساءل: «من خول الكنيسة سلطة الحكم بأن أربعة فقط من الخمسين إنجيلاً التي دونت في القرن الذي تلى موت المسيح، هي وحدها - أي الأناجيل الأربعة - معتمدة موحى بها من عند الله؟»[2].

والسؤال المهم: ما هي المعايير التي تبنتها الكنيسة في اختيارها للأسفار لتكون مقدسة؟

تأتينا إجابات عدة، منها الإعجاب بمضمونها، يقول القس جورج رحمة عن

---

(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي، ص (٢٣٤) .

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٣٨/ ٢٠١) .

إكليمندس السكندري: «فإن قانونية العهد الجديد في نظره لم تكن تستند إلى قول الرسل، بقدر كان محتواها هوقانونيتها الحقيقية، ولذلك نراه غالب الأحيان يعتبر بعض الكتب موحاة نظرًا لمضمونها، مثل رسالة البابا إكليمندس الروماني إلى الكورنثيين، وكتاب الراعي لهرماس، ورؤيا القديس بطرس، وغيرها من الكتب التي كانت مستعملة في ذلك الزمن»[1].

ومنها: الربط بين الكتاب واحد الرسل أو تلاميذه، يقول المفسر وليم باركلي: «وحسمًا للنزاع تقرر وضع قاعدة للسير بموجبها، وهذه القاعدة هي التأكد من أن كاتب هذا السفر هو أحد الرسل، أو ممن كانت له صلة مباشرة بواحد من الرسل»[2] ويقول الآباء اليسوعيون: «يبدو أن مقياس نسبة المؤلف إلى الرسل استعمل استعمالًا كبيرًا ، ففقد رويدًا رويدًا كل مؤلَف لم تثبت نسبته إلى رسول من الرسل ما كان له من الحظوة » [3].

ولكن هذا القول إنما يصح لو كانت هذه الأناجيل جميعًا قانونية ، ثم بدأ بعضها يفقد بريقه عند التحقيق والتدقيق ، بينما حصل العكس في تاريخ الكتاب المقدس ، إذ لم يعتبر شيء من هذه الكتب قانونيًا ، ثم بدأ في الاختيار فيما بعد.

ومنها: الشهرة والأقدمية ، وكما يقول الدكتور برنت هلمين ستريتر في كتابه "البشائر الأربعة" (The Four Gospels) : «والجماعة عادة لا تخلع الصفة القانونية الرسمية على عدد من المؤلفات إلا بعد أن يتقادم عهدها وتبلغ درجة عليا

---

(١) إكليمندس السكندري، جورج رحمة، ص (١٠٢).

(٢) تفسير الرسالة إلى العبرانيين، وليم باركلي، ص (١٧).

(٣) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٨).

من الشهرة وقوة السلطان بسبب خواصها الداخلية»[1].

وقد عبَّر ريموند براون عن الشهرة والأقدمية بمرادفاتها ، أي : الاستخدام الواسع والطويل، ففي « المجمع التريدينتي كان المبدأ التوجيهي للإقرار بقانونية السفر هو الاستخدام الطويل والواسع للأسفار في الكنيسة للقراءة العامة »[2].

لكن الإجابة الأكثر دقة، هي ما نقله الأنبا إيسوذورس في وصف ما حصل في مجمعي هيبو وقرطاج اللذين قادهما القديس أوغسطينوس، فقد «وضع القديس أوغسطينوس هذه النظرية قائلاً: لنتبع في قانونية الكتب سلطة أغلبية الكنائس الكاثوليكية»[3]، فبهذه الآلية الديمقراطية قبل الجميع قائمة موحدة من الأسفار التي كانت موضع تنازع، وانتهى مجمع قرطاج إلى اعتماد القائمة المعترف عليها حتى يومنا هذا.

ويوضح الصورة ـ بدقة أكثر ـ الدكتور واين جردوم أستاذ كلية اللاهوت في ترينتي فيقول : « علينا أن نعي أنه ليس من المستحيل أو من المستهجن أن ترتكز الكنيسة على مجموعة من العوامل ، منها الدعم الرسولي ، والتناغم مع سائر الأسفار الكتابية ، وإدراك أغلبية ساحقة من المؤمنين أن كتابة معينة هي موحى بها من الله ، لكي تقرر أن كتابة معينة هي حقًا كلمات الله ، وتندرج بالتالي ضمن القانون » [4] .

وهكذا تبين لنا من خلال استعراض مسيرة الأناجيل تأليفًا وتقديسًا ، أن تقديس

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٣٢) ومصادر الكتاب المقدس، القس صموئيل مشرقي، ص (٦٤).

(٢) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، ريموند براون، ص (٣٥).

(٣) الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، الأنبا إيسوذوروس (١/ ٢٣٩).

(٤) كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردوم ، ص (٤٩) .

هذه الكتب عمل بشري لا يستند إلى دليل من هذه الكتب ، بل هو قرار اختلفت فيه الكنائس زمنًا طويلاً قبل حسم الخلاف في مجامع بشرية عرضة للصواب والخطأ، وبمعايير بشرية ، ولو كانت هذه الكتب من الوحي لما اختلفت فيها المجامع ، ولما احتاجت إلى قرار كنسي لتصبح كلماتها أسفارًا مقدسًا ووحيًا إلهيًا .



الأناجيل غير القانونية

نشطت حركة التأليف في الجيل الأول من النصرانية بشكل واسع ، وظهرت أناجيل كثيرة كما تدلنا على ذلك مقدمة إنجيل لوقا « **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة ، رأيت أنا أيضًا ، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علّمتَ به** » (لوقا ١ : ١- ٤) ، لكن هذه الكثرة الكاثرة من الأناجيل التي سطرها تلاميذ المسيح لم يكتب لها القبول فيما بعد من الكنيسة ، فاندثرت وأضحت في خبر كان .

ولم يستطع العلماء تقديم عدد محدد لأولئك الـ «كثيرون» الذين رأى لوقا كتاباتهم قبل أن يكتب إنجيله، وأوصلها نتشة (١٨١٠م) في كتابه (Ecce Homo) إلى أربعة وسبعين كتابًا ، وعدّدها ، فذكر أن منها ما هو منسوب لعيسى وأمه ، وللحواريين ، ومنها ما هو منسوب للإنجيليين الأربعة ، وبعض الباحثين يصل بعدد الأناجيل إلى ما يربو على المائة كتاب ، ومنها ما هو منسوب لجماعات مسيحية قديمة كإنجيل المصريين والناصريين .

وهذه الكتابات لم تكن متداولة ككتب للفائدة فحسب، بل كان ينظر إلى بعضها على أنها أسفار قانونية مكافئة للأناجيل الأربعة، فإنجيل المصريين «يرتقي إلى ما بعد العام ١٥٠م، وقد عده المصريون سفرًا قانونيًا»[١]، وكذلك الحال في إنجيل بطرس الذي وضعه أتباع «بدعة المشبهين .. سنة تأليفه قد تكون قبل العام ١٥٠م»[٢]،

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفيقاه، ص (٥٣) .

(٢) المصدر السابق، ص (٥٣).

وكذلك يرى بسترس حظوة واسعة لإنجيل يعقوب الأول في كنائس المشرق رغم ورود رفضه في إعلام جلاسيوس في الغرب، ويستدل لحظوته بوجود أكثر من ثلاثين مخطوط له في اليونانية[1].

وقد وجد الكثير منها في أقدم المخطوطات الكتابية جنبًا إلى جنب مع الأناجيل والرسائل القانونية.

ولعل أهم ما يشير إلى مكانة تلك الأناجيل والأعمال اعتماد الآباء عليها في كتبهم، وهي شهادة قوية لها ، فلا تكاد قائمة الآباء تخلو من عالم لم يستشهد بهذا التراث في كتبه، بل إن بولس «الرسول» نقل في رسالته إلى أهل كورنثوس عبارة لا نجدها إلا في«رؤيا إيليا» و«إنجيل توما» المكتشف في نجع حمادي ، وهي شهادة له بالأقدمية والموثوقية من أحد الكتبة الذين تعتبرهم الكنيسة رسلاً .

والنص الذي اقتبسه بولس من إنجيل توما كان في وصف الجنة التي أعدها الله للمؤمنين، فقال : « **بل كما هو مكتوب : ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه** » (١ كورنثوس ٢: ٩) ، وهو عين ما قاله توما: « قال يسوع: سأعطيكم ما لم تره عينٌ، ولا سمعته أذنٌ، ولا لمسته يدٌ، ولا دخل في قلب بشري قط» (إنجيل توما ١٧)، والسؤال هنا: هل كان بولس ينقل ويحيل إلى نص كتاب يراه منحولاً أم موثوقـًا؟ وكيف سمح له الروح القدس بالنقل من كتاب مزور؟[2].

وينقل أوسابيوس في تاريخه تنازع المسيحيين في القرون الأولى في عدد من

(١) المصدر السابق، ص (٤٥).

(٢) والنص موجود أيضًا في كتاب صعود إشعيا، ورؤيا إيليا، وكلاهما من أبوكريفا العهد القديم.

الكتب: «أمّا ما يُسمّى «أعمال بطرس» و «الإنجيل» الذي يحمل اسمه و «الكرازة» و«الرؤيا» – كما سُمِّيَت –فإنَّنا نعلم أنَّها لم تُقبل من الجميع، لأنَّه لم يقتبس منها أي كاتب حديث أو قديم. . ولكن نظرًا لأنَّ نفس الرَّسول في تحيته الواردة بآخر رسالة رومية ذكر – ضمن من ذكرهم –هرماس الذي يُنسب إليه السفر المُسمَّى «الراعي»، فيجب مُلاحظة أن هذا السفر مُتنازع عليه»[(١)].

ونقل أوسابيوس عن إكليمندس السكندري في «وصف المناظر» أنه وضع في «الأسفار القانونية .. رسالة برنابا والسفر المسمى رؤيا بطرس»[(٢)].

يقول مدخل الآباء اليسوعيون للعهد الجديد : « وهناك أيضًا مؤلفات جرت العادة أن يستشهد بها ذلك الوقت على أنها جزء من الكتاب المقدس ، ومن ثم جزء من القانون لم تبق زمنًا على تلك الحال ، بل أخرجت آخر الأمر من القانون ، ذلك ما جرى لمؤلف هرماس وعنوانه الراعي ، وللديداكي ، ورسالة أكليمندس الأولى ، ورسالة برنابا ورؤيا بطرس » [(٣)] .

* فالإنجيل الديداكي (تعاليم الرسل) يعتبر من أقدم التراث المسيحي المحفوظ، ويعود إلى نهاية القرن الميلادي الأول، وشاع بين مسيحي القرنين الثاني والثالث، بل واعتبره إكليمندس السكندري (ت٢١٥م) كتابًا مقدسًا[(٤)].

* رسالتا الأسقف إكليمندس الروماني (ت ١٠٠م) اللتان نجدهما في أهم المخطوطات اليونانية للكتاب المقدس (المخطوطة السكندرية) ، وهو ما يدل على

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص (٩٦-٩٧).
(٢) المصدر السابق، ص (٢٦١)، وكتاب «وصف المناظر» أو «الشروحات» كتاب مفقود.
(٣) مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (١٠).
(٤) انظر : آباء الكنيسة، أسد رستم، ص (٦٣)، وقصة الحضارة، ديورانت (١١/ ٣١٥).

تقديسهما في زمن سابق، وقد نقلت مقدمتهما المطبوعة عن إكليمندس السكندري وديديموس الضرير أنهما كانا يعتبران الرسالة الأولى قانونية[1]، بخلاف الرسالة الثانية التي يُشك بصحة نسبتها إلى إكليمندس؛ وإن كان ثمة اتفاق على كونها قديمة تعود إلى بواكير القرن الثاني.

ويجدر بالذكر هنا أن الكنيسة الأثيوبية تقبل هاتين الرسالتين ضمن رسائل أخرى ترفضها بقية الكنائس : « فعلاوة على الأسفار القانونية المعترف بها ، فإنهم يقبلون: راعي هرماس، وقوانين المجامع، ورسائل إكليمندس ، والمكابيين، وطوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروخ ، وأسفار أسدراس الأربعة ، وصعود إشعياء ، وسفر آدم، ويوسف بن جوريون، وأخنوخ، واليوبيل » [2] ، كما وردت الرسالتان ضمن القائمة المقدسة لـ «قوانين الرسل الخمسة والثمانون» التي تعود للقرن الميلادي الرابع، فقد أضاف القانون ٨٥ «سفرًا ثالثًا للمكابيين ودساتير إكليمندس ورسالتين منه، مسقصًا منها [سفر] الرؤيا»[3].

* كذلك تنازع الأولون من المسيحيين في كتاب الراعي لهرماس، حيث يعتقد أوريجانوس أنه الشخص الذي خصَّه بولس بتحياته في (رومية ١٦: ١٤)، وذكره القانون الموراتوري، ونسبه إلى هرماس أخي البابا بيبوس الأول (ت ١٥٠م)، ويحتوي «الراعي» على خمس رؤى، واثنتي عشر وصية ، وعشرة أمثال، ولأهميته عند المسيحيين في القرنين الثاني والثالث لم يكن مفاجأة وجوده ضمن أهم

---

(١) انظر مقدمة الرسالة، ص (٢٩)، وتاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفيقاه، ص (١١٧).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٨٢).

(٣) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفيقاه، ص (٣٠).

المخطوطات الكتابية (السينائية (ق ٤)، والسكندرية (ق ٥)، المخطوطة الكلارومونتانية (ق٦))، وقد استشهد به الأقدمون، وعدوه قانونيًا، ومنهم الأسقف إيريناوس (ت ٢٠٢م) الذي نقل أوسابيوس أنه «لا يعرف كتاب الراعي فقط، بل أيضًا يقبله، وقد كتب عنه ما يلي: حسنًا تكلم السفر قائلاً: أول كل شيء آمن بأن الله واحد...» [١]، وكذلك اعتبره كتابًا مقدسًا كل من إكليمندس السكندري وترتيانوس وأوريجانوس الذي ذكر أن ثمة من يحط من قدره[٢].

تقول رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط في مقدمتها للسفر: «وقد لاقى الكتاب نجاحًا كبيرًا ورواجًا منقطع النظير؛ بحيث إن إيريناوس وترتليانوس وإكليمندس السكندري وأوريجانوس كانوا يضعونه في مستوى الكتب المقدسة».

ويقول المطران كيرلس بسترس: «بل عده البعض من الكتب القانونية، فإيريناوس وإكليمندس السكندري امتدحاه، وعداه سفرًا مقدسًا، وكذلك أوريجانوس عدَّه ملهمًا؛ مع علمه أن البعض ما كانوا ليقدروه، وترتليانوس إذ كان كاثوليكيًا» صنف الراعي بين الأسفار المقدسة، لكنه عندما اعتنق المونتانية رفض بشدة وتزمت هذا الكتاب»[٣] .

❋ وكذلك فإن رسالة برنابا (وهي غير الإنجيل المشهور) كانت محل قبول في أوساط مسيحية مبكرة، ويرجع تاريخ كتابتها إلى الربع الأول من القرن الثاني حيث توقع كاتبها إعادة بناء الهيكل، وهو ما حدث عام ١٣٥م، وعلاوة على نقول الآباء

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص (٢١٥)، وانظر: ضد الهرطقات، إيريناوس ، (ك٤، ف ٢٠)، ودائرة المعارف الكتابية (٢/ ٤٤)، والاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٦٦).

(٢) انظر : آباء الكنيسة، أسد رستم، ص (٥٦).

(٣) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفيقاه، ص (٧٨) .

منها، فإن ناسخ المخطوطة السينائية الأهم والأقدم قد حفظ لنا نصها ضمن رسائل العهد الجديد، واعتبرها المسيحيون الأوائل من الكتب المقدسة، وصرح بذلك إكليمندس السكندري وأوريجانوس ، وأما أوسابيوس القيصري فاعتبرها من الأسفار المتنازع عليها بين المسيحيين قبولا وردًا[1].

ما سبق ليس إلا إيماءة سريعة إلى القرون الأولى، ولو توسعنا بها فسنجد المزيد من الكتب التي اقتبس منها الآباء الأولون وانتشرت بين المسيحيين قبل أن تعتبرها الكنيسة كتبًا زائفة أو غير مقدسة ؛ وإن كانت نافعة للتعليم.

وقد اختفت معظم هذه الأناجيل والرسائل والأعمال القديمة في طيات التاريخ، بعد صدور العديد من قرارات التحريم بحق من يحتفظ بشيء من هذه الكتب، ومن أهمها مرسوم البابا ليو الأول (٤٥٠م) الذي أعلن أنه : «لا يجب منعها فقط ، بل يجب أن تجمع وتحرق ، لأنه وإن كان فيها بعض الأشياء التي لها صورة التقــوى ، إلا أنها لا تخلو مطلقــًا من السُّم، فهي تعمل خفية بغواية الخرافات، حتى تصطاد في حبائل الضلالات ، كل من تستطيع خداعهم برواية العجائب»[2].

ومع توسع المعرفة وزوال مطرقة الكنيسة بدأت الكهوف والأديرة تخرج من تحت الأرض ما تبقى من تلك الأعمال، فعاد بعضها للنور ، فوصل منها الإنجيل الديداكي (تعاليم الرسل) الذي يعود إلى القرن الأول الميلادي ، كذلك إنجيل: نيقوديموس، يوحنا، يهوذا، الطفولة، مريم المجدلية، يوسف النجار؛ علاوة على نُبذ من أناجيل أخرى (العبرانيين، المصريين اليوناني، الأبيونيين) ، كما عثر أواسط القرن

(١) انظر : تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص (٢٦١)، ودائرة المعارف الكتابية (٢/ ٤٤)، وآباء الكنيسة، أسد رستم، ص (٤٦)، والاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٢٣٨).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/ ٣٤).

الماضي في نجع حمادي بمصر على مكتبة مهمة تضمنت جملة من الأناجيل والأعمال المهمة منها (إنجيل بطرس، وكتاب أعمال يوحنا ، إنجيل المصريين القبطي، الحقيقة، فيليب، يعقوب، توما).

وقد جمع إسكندر شديد مجموعة كبيرة من الأناجيل الأبوكريفا في جزء، وأضاف إليها الأعمال والرسائل والرؤى الأبوكريفية في جزئين آخرين.



دعوى الإلهام لكتبة العهد الجديد

يدعي النصارى أن المؤلفين المجهولين الذي تعاوروا على تأليف العهد الجديد كانوا ملهمين، ويحتجون بقول بطرس في الرسالة التي لا تصح نسبتها إليه « **لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس** » (٢ بطرس ١ : ٢١).

وعند التسليم بصحة النص وأصالة الرسالة التي حملته إلينا؛ فإنه لا يصلح في الدلالة على إلهام الإنجيليين لأن بطرس قد مات قبل أن يدون مرقس (أول الإنجيليين تدوينًا) ـ ثم بقية الإنجيليين ـ كتاباتهم ، فليس هؤلاء مَن تحدث عنه بطرس، إذ لا يعقل أن يوثق بطرس كتابات لم تكن قد كتبت بعد .

كما أن بطرس لم ينص على أسماء الإنجيليين ، وعليه فلا يُدرى مقصوده ، فلعله كان يقصد بعض الكثيرين الذين كتبوا حينذاك ، ثم اعتبرت الكنيسة كتاباتهم مزيفة .

ولذلك فإن دعوى الإلهام عارية عن الدليل الحقيقي، ولذلك لما «سُئل مارتن لوثر عن الأساس الذي استند إليه في أن الكتاب المقدس من وحي الله؟ أجاب: ببساطة أنه استند إلى تعاليمه ، ولا يمكن إلا لأُناس ألهمهم الله أن يكوّنوا مثل هذا الإيمان العميق الذي هو عزاء للنفس»[1] ، فهذه الإجابة معناها العميق: لا دليل على إلهاميتهم سوى إعجاب لوثر بكتابتهم وإحساسه الشخصي بعمق إيمانهم، وهي

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٢٤/ ٥٨).

طريقة في الاستدلال عقيمة، فلكل أتباع دين أو عابدي وثن أو شجر أن يدعي هذا الشعور في وثنه أو كتابه.

ثم إن أحدًا من كتاب العهد الجديد ـ سوى بولس ـ لم يدع لنفسه الإلهام ، بل سجلت كتاباتهم اعترافات أن هذا العمل جهد بشري خالص لم يقصد كاتبوه أن يسجلوا من خلاله كتبًا مقدسة .

فها هو لوقا في مقدمة إنجيله يقول : « **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة ، رأيت أنا أيضًا ـ إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق ـ أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علِّمتَ به** » (لوقا ١ : ١-٤) .

فيفهم من هذه المقدمة أن إنجيله خطاب شخصي ، وأنه دوّنه بدافع شخصي ، وأن له مراجع نقل عنها بتدقيق ، وأن كثيرين كتبوا غيره ، ولم يذكر لوقا في مقدمته شيئًا عن إلهام إلهي ألهمه الكتابة أو وحي من روح القدس نزل عليه .

ومثله يقال في إنجيل مرقس فإن باعثه للتأليف لم يكن إشارة من الروح القدس، بل «طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقوال بطرس، لأنه لازمه وقته طويلاً وكان لا يزال يتذكرها، وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمن طلبوه»[1].

ولذلك يحق لنا القول بأن أصحاب الأناجيل والرسائل لم يدركوا إلهامية أنفسهم ولم يدعوها لذواتهم، بل لم يكن يخطر ببال واحد من هؤلاء جميعًا أن ما كتبه عن المسيح سيكون كتاب المسيحية المقدس الذي سيتناقله الناس في كل العصور

---

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري ، ص (٢٦٢) .

والبلاد»[1].

وهذا الرأي المهم لا ينفرد به القس الدكتور منيس عبد النور، بل يشاركه فيه كل متبصر في الأسفار وظروف تأليفها وكيفية صياغتها، لذلك يشاركه الرأي ميلر وهوبر وكافة العلماء، «فعلى قدر ما يعرف العلماء، لم يكن أحد من كتبة الأسفار المقدسة يعرف أن كلماتهم ستصبح جزءًا من الكتاب المقدس»[٢].

وكذلك يوافقهم حبيب سعيد حين قال: «يجب أن لا يُظن أن أحدًا من كُتاب العهد الجديد فكَّر واعيًا - وهو يكتب -أنه يكتب أسفارًا مقدسة سيجمعها المسيحيون في السنوات المقبلة، ويضعونها في مستوى أسفار العهد القديم، إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال، وما كانوا يرتضونها لو خطرت»[٣].

وإذا كان الحواريون والتلاميذ غير عارفين بإلهامية ذواتهم ولا يرتضونها لأنفسهم ، فكيف عرف النصارى ما جهله أصحاب الشأن، وزعموا لهم ما لا يرتضونه لأنفسهم!؟

يجيبنا حبيب سعيد ثانية بالتأكيد على أنه «لا يدعي كُتاب البشائر أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد إلهي فيما كتبوا، ويبدو في الظاهر أنهم كتبوا من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف .. على أنه من المؤكد أن أولئك الكُتاب قد ساقهم الروح القدس، وألهمهم أن يسجلوا ذكرياتهم»[٤]، وهكذا فدليل النصارى على أن الروح القدس قد ساق المؤلفين للكتابة أن الروح القدس قد ساقهم للكتابة وألهمهم أن يسجلوا

---

(١) شبهات وهمية حول الكتاب المقدس، القس منيس عبد النور ، ص (٤٢) .

(٢) تاريخ الكتاب المقدس من التكوين حتى اليوم، ستيفن ميلر وروبرت هوبر، ص (٧) .

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد ، ص (٢٣٢) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٢٢٣) .

ذكرياتهم، فالدعوى نفسها هي الدليل والدعوى في وقت واحد!!!.

وإذا لم تكن هذه الدعوى أصيلة، فمن ابتدع هذه العقيدة المسيحية، واكتشف الإلهام الذي غاب عن الملهَمين؟

إنه بابا الإسكندرية البابا ثيوفيلس (ت ٤١٢م)، يقول المطران كيرلس بسترس: «وفيما يتحدث يوستينوس عن الأناجيل مسميًا إياها «مذكرات» أو«ذكريات» الرسل، نسمع ثيوفيلس يتكلم عن الرسل كلامه عن الأنبياء، فلقد كانوا ملهمين، والأناجيل ورسائل بولس هي «كلام مقدس إلهي»، وهكذا نرى أن ثيوفيلس هو أول من أوضح أن العهد الجديد ملهم»، ويبارك المطران بسترس هذا الاكتشاف المهم الذي كانت المسيحية أحوج ما تكون إليه لتقديس تلك الكتابات، فعقَّب بالقول: «وكل الذين يعشقون الحقيقة في هذا العالم الذي تعصف به الخطايا لا يجدون ملجأً لهم إلا في كنائس الله المقدسة»[١].

إبطال دعوى العصمة لكتبة العهد الجديد :

وهكذا أصبح التلاميذ أنبياء يوحى إليهم، فقد صيرهم كذلك رأي البابا ثيوفيلس بعد موتهم بثلاثة قرون، وأصبحت هذه النبوة عقيدة كل مسيحي ، فهو مضطر للاعتراف بها لتمرير تقديسه لأولئك الكتبة وإكسابها صفة الوحي.

ومن جهتنا نحن المسلمون فإنَّا لا نقر بأن أحدًا من الحواريين كان رسولًا ، ولا نعترف بإرسالية البابا ثيوفيلس لهم، فالأنبياء يختارهم الله، ولا يكتشفهم البابوات .

فما الذي جعل هؤلاء التلاميذ رسلاً يوحى إليهم كما أوحي إلى موسى وداود وسليمان؟.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس، ص (٢٥٢).

يجيب النصارى بأن دليل هذه الدعوى أن المسيح اختارهم لتبليغ رسالته، وأنهم فعلوا المعجزات العظيمة ، وأنهم نزل عليهم الروح القدس بعد خمسين يومًا من صعود المسيح، فصاروا بعدها في مصاف الأنبياء.

إذن دليل نبوتهم هو ذاك الحدث الغريب الذي سجله لوقا ، حين قال : « **وامتلأ الجميع من الروح القدس ، وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا** » (أعمال ٢ : ٤) .

ولو سلمنا جدلاً بصحة وقوع ذلك، وأنه دليل صحيح على النبوة، فإنه يوثق ويقدس رسل المسيح الحاضرين في العليَّة يوم الخمسين، ولا يسري هذا على الغائبين، كبولس ولوقا ومرقس، فهم ليسوا من تلاميذ المسيح.

ثم عند تفحص هذه الكتب والرسائل نجدها ناطقة بأن هؤلاء التلاميذ لم يكونوا رسلًا بالمعنى الاصطلاحي للكلمة ، إذ هم بشر كسائر البشر ، لا يتميزون سوى برفقتهم للمسيح ، وأنه طلبهم أن يبلغوا دعوته بعده .

أولاً : ماذا يقول المسيح عن مؤلفي العهد الجديد ؟

وتمتلئ الأناجيل والأسفار بالدلائل التي تكذب القول بإلهامية هؤلاء الذين ينبغي أن تعرض نبوتهم على الميزان الذي اقتبسه تلاميذ المسيح من معلمهم « **فلا تؤمنوا أيها الأحباء بكل روح من الأرواح ، بل امتحنوا الأرواح حتى تعلموا هل هي من عند الله أم لا؟ لأن كثيرين من الأنبياء الكذبة برزوا إلى هذا العالم** » (١ يوحنا ٤ : ١) .

ثم كيف للنصارى أن يعتبروا بولس أو غيره من التلاميذ معصومين وأمناء على الوحي والنبوة ، ومن هؤلاء الرسل الذين أرسلهم المسيح يهوذا الخائن ، يهوذا الذي عُد من الاثني عشر تلميذًا الذين أرسلهم المسيح ؟ فمثل هذه الخيانة لا تصدر عن الرسل ، وهي دليل يمنع دعوى نبوة ورسالة التلاميذ .

كما لا يصدر عن الأنبياء والرسل ما فعله بطرس عندما تخلى عن المسيح وأنكره في ليلة من أصعب الليالي ثلاث مرات (انظر لوقا ٢٢: ٣٤) ، ولوقا يقول على لسان المسيح : « **من أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله** » (لوقا ١٢: ٩) ، إن هذا الإنكار دعا القس إبراهيم سعيد إلى وصف بطرس بأنه حينذاك كان « الغارق في بحر الكفر» [١] ، ولم يشفع له طول صحبته للمسيح .

والسؤال : كيف ينكر المسيحَ الملهمُ الرسولُ الممتلئ من الروح القدس؟

وكيف لنا أن نؤمن بعصمة بطرس الذي سماه المسيح في شيطانًا؟ « **فالتفت وقال لبطرس : اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس** » (متى ١٦: ٢٣)؟ ألا تكفي هذه الكلمات لشطب اسمه من سجلات النبوة بل والإيمان؟ لو قال نبينا ﷺ مثل هذا وأقل منه في حق واحد من معاصريه لما قبلنا منه حديثًا ولا تفسيرًا، فهل ترانا متشددين في موقفنا؟ أم أنه ما يمليه العقل والمنطق؟

وهذا الوصف لبطرس يندرج ضمن مجموعة من النصوص التي قالها المسيح عن بطرس وبقية التلاميذ ، فأقواله المسطورة في الأناجيل كانت دومًا تشكك في إيمان أخصّ تلاميذ المسيح وتجعلهم غير جديرين بحمل أمانة تبليغ الإنجيل ، فضلًا عن الرسالة والنبوة.

فهاهو المسيح يقول لبطرس : « **يا قليل الإيمان لماذا شككت** » (متى ١٤: ٣١) ، لذا اندفع القديس أغسطين للقول عن بطرس : « إنه كان غير ثابت ، لأنه كان يؤمن أحيانًا ويشك أحيانًا » [٢] .

---

(١) شرح بشارة لوقا ، د . إبراهيم سعيد ، ص (٥٨٠) .

(٢) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ٢٣٤) .

وإذا قيل هذا في بطرس صخرة الإيمان ، فماذا عساه يقال عن بقية التلاميذ والحواريين ؟ وهل كانوا أفضل حظًا وأحسن شأنًا ؟

العهد الجديد يخبرنا بأن التلاميذ جميعًا كانوا قليلي الإيمان ، فقد وصفهم المسيح بذلك مرارًا ، يقول متى : « **فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين : يا سيد نجنا فإننا نهلك ، فقال لهم : ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان ؟** » (متى ٨: ٢٥-٢٦) .

ولما أمرهم بالتحرز من خمير اليهود خاطب التلاميذ « **قال : لماذا تفكرون في أنفسكم يا قليلي الإيمان ، إنكم لم تأخذوا خبزًا ، أحتى الآن لا تفهمون ؟** » (متى ١٦ : ٨).

وفي موطن آخر قال لهم : « **فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويطرح غدًا في التنور يلبسه الله هكذا ، فكم بالحري يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان** » (لوقا ١٢: ٢٨) ، (وانظر مرقس ٤: ٤٠ ، ومتى ٦: ٣٠) ، فهل مثل هؤلاء يعتد برواياتهم وتأليفاتهم فضلًا عن اعتبارها من وحي الله ؟

لكن الداهية الدهياء في شهادة المسيح عليهم لما عجزوا عن شفاء المصروع ، وجاءوا للمسيح عليه السلام شاكين مستفسرين : « **لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم يسوع : لعدم إيمانكم . فالحق أقول لكم : لو كان إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل : انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** » (متى ١٧: ١٩-٢٠) ، فهل هؤلاء الذين لا يملكون من الإيمان حبة خردل أنبياء وأمناء على تسجيل وحي الله ؟

ثانيًا : معجزات التلاميذ لا تصلح دليلاً على العصمة والإلهام :

وإذا كان اعتبار النصارى لهؤلاء التلاميذ معصومين لمجرد أن قاموا ببعض المعجزات التي لم تقترن بدعوى العصمة منهم ، فهذا لا يكفي في تقرير عصمتهم ، فالأسفار المقدسة تذكر أن المعجزات والآيات قد تعطى للكاذبين الذين يدعون

النبوة ، فالمسيح قال : « **سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويُعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يُضلوا ـ لو أمكن ـ المختارين أيضًا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم** » (متى ٢٤: ٢٤-٢٥) .

وقد حذر المسيح ﷺ من خداع هؤلاء الكذبة للعوام بما يزعمونه من معجزات وإيمان بالمسيح وادعاء أنهم على دينه ، وبين المسيح كيفية معرفة هؤلاء الكذبة حين قال : « **كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم : يا رب ، يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟ وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم : إني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم ، احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان .. من ثمارهم تعرفونهم** » (متى ٧: ٥-٢٣) .

وأخيرًا ، فإن إنسان الخطيئة سيصنع الكثير من المعجزات والعجائب ، من غير أن يعني ذلك صدقه أو نبوته ، يقول عنه بولس : « **الذي مجيئه بعمل الشيطان ، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة** » (٢ تسالونيكي ٢: ٩) .

كما ننبه القارئ إلى أن لوقا ومرقس لم يثبت لهما في الكتاب أي معجزة .

ولايمكن للأعاجيب بحال من الأحوال أن تصلح دليلًا على أكثر من على الإيمان فحسب ، إذ كل مؤمن ـ حسب الإنجيل ـ يستطيع أن يأتي بإحياء الموتى وشفاء المرضى ، فقد نقل متى عن المسيح قوله : « **فالحق الحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل : انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** » (متى ١٧: ٢٠) .

يقول الآباء اليسوعيون في مقدمة الإنجيل في نسخةالرهبانية اليسوعية في تعليقهم على هذه الفقرة : « بإمكان المؤمن على مثال الله نفسه أن ينقل جبلًا من

الجبال»[1].

وقال : « **الحق أقول لكم : من يؤمن بي ، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا ويعمل أعظم منها** » (يوحنا ١٤: ١٢) ، فكل مؤمن من النصارى يقدر على صنع معجزات المسيح ، بما فيها إحياء الموتى وشفاء المرضى ! لا بل يقدر على أعظم منها ، فهذا حال كل التلاميذ والمؤمنين، ولا يصلح الاستشهاد به على دعوى النبوة لعدم الاختصاص!!

أما التفسير التطبيقي فقد أُحرج مفسروه من هذا النص الذي أخجل تواضعهم ، إذ لا يليق بالتلاميذ وبالمؤمنين صنع معجزات أكبر وأعظم من معجزات المسيح ، فقالوا : « لم يقل الرب يسوع : إن تلاميذه سيصنعون معجزات أعظم روعة ، فإقامة الموتى هي أقصى ما نستطيع » [2] ، إن غاية ما يقدرون عليه هي إحياء الموتى!!! .

ثالثًا : النبوة حسب الكتاب المقدس لا تقتضي العصمة من الكذب في البلاغ :

ثم إن كون التلاميذ من الأنبياء او الموحى إليهم لا يعني بالضرورة ـ حسب المعتقدات النصرانية ـ عصمتهم عن الخطأ في البلاغ أو حتى الكذب ، ودليل ذلك ما نسبه سفر الملوك إلى أحد الأنبياء من الكذب بالبلاغ « **كان نبي شيخ ساكنًا في بيت إيل . فأتى بنوه ، وقصوا عليه كل العمل الذي عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت إيل ..** (ثم ذهب يبحث عنه) **وسار وراء رجل الله ، فوجده جالسًا تحت البلوطة فقال له : أأنت رجل الله الذي جاء من يهوذا ؟ فقال : أنا هو .**

فقال له (أي النبي الشيخ) : **سر معي إلى البيت وكل خبزًا ، فقال : لا أقدر أن**

---

(١) حاشية الرهبانية اليسوعية، ص (٦٨).

(٢) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٢٢٢٢) .

أرجع معك ولا أدخل معك ولا آكل خبزًا ، ولا أشرب معك ماء في هذا الموضع . لأنه قيل لي بكلام الرب : لا تأكل خبزًا ولا تشرب هناك ماء ، ولا ترجع سائرًا في الطريق الذي ذهبت فيه .

فقال له : أنا أيضًا نبي مثلك ، وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلًا : ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزًا ويشرب ماء ، كذب عليه . فرجع معه وأكل خبزًا في بيته وشرب ماء » (ثم تحدث السفر عن عقوبة النبي المسكين الذي أطاع النبي الكذاب ظانًا إياه يحدثه بوحي الله وأمره) (الملوك (١) ١٣ : ١١-٢٩) .

ومثله نسب سفر الملوك الكذب في البلاغ عن الله إلى النبي أليشع ، حين أرسل ملك أرام الملك بنهدد قائده حزائيل إلى أليشع ، يسأله عن مرضه الذي هو فيه ، فكذب النبي ـ وحاشا لنبي أن يكذب ـ في جوابه للملك ، وقال لحزائيل : « **اذهب ، وقل له : شفاء تشفى ، وقد أراني الرب أنه يموت موتًا** » (٢ ملوك ٨: ١٠) ، فقد أمره بإبلاغ سيده بغير الحقيقة التي أعلمه الله إياها ، وكذب عليه !

كما رأينا في حلقتنا الأولى من سلسلة الهدى والنور ، الكثير من القبائح التي تنسبها التوراة إلى الأنبياء والتي يستحيل أن نصدق بعدها أنهم يؤمنون بعصمتهم ، فضلًا عن تلاميذهم .

رابعًا : رسائل شخصية لا علاقة للإلهام والوحي بها :

لكن المتأمل في رسائل بولس خصوصًا والحواريين عمومًا يجد عشرات المواضع التي تشهد لهذه الرسائل بأنها شخصية لا علاقة للوحي بها ، ومن ذلك : « **يسلم عليك أولاد أختك** » (٢ يوحنا ١٣) .

ويرسل يوحنا المزيد من السلامات لأحبابه « **غايس الحبيب الذي أحبه بالحق**

. أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحًا وصحيحًا .. سلام لك ، يسلم عليك الأحباء ، سلم على الأحباء بأسمائهم » (٣ يوحنا ١-١٤) .

وفي رسائل بولس مثل ذلك ، ومنه : « **تسلم عليكم كنائس آسيا ، يسلم عليكم .. أكيلا وبريسكلا .. يسلم عليكم الإخوة أجمعون ، سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة** » (١ كورنثوس ١٦ : ١٩-٢٠) .

ويسجل بولس مشاعره الحميمة لصديقه تيموثاوس في مطلع رسالته إليه ، فيقول : « **أذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلًا ونهارًا ، مشتاقًا أن أراك ، ذاكرًا دموعك ، لكي امتلئ فرحًا ، إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك ، الذي سكن أولًا في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي ، ولكني موقن أنه فيك أيضًا** » (٢ تيموثاوس ١ : ٣-٥).

ثم يسجل بعض رغباته الشخصية ويخبر صديقه تيموثاوس بأخبار أصدقائه في كورنثوس ، فيقول : « **الرداء الذي تركته في تراوس عند كابرس أحضره متى جئت ، والكتب أيضًا لاسيما الرقوق .. سلم على ريسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس ، اراستس بقي في كورنثوس ، وأما ترو فيمس فتركته في ميليتس مريضًا . بادر أن تجيء قبل الشتاء** ..» (٢ تيموثاوس ٤ : ١٣-٢١) .

وهكذا تستمر رسائل بولس وسلاماته إلى أصدقائه وأقربائه ، وتطول كما في رسالة رومية ، وفيها : « **أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا ، كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضًا .**

سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع ، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي ، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما ، بل أيضًا جميع كنائس الأمم ، وعلى الكنيسة التي في بيتهما . سلموا على أبينتوس حبيبي الذي هو باكورة

إخائية للمسيح .

سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيرًا . سلموا على أندرونكوس ويونياس نسيبيّ المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل ، وقد كانا في المسيح قبلي . سلموا على أمبلياس حبيبي في الرب . سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى أستاخيس حبيبي . سلموا على أبلّس المزكى في المسيح . سلموا على الذين هم من أهل أرستوبولوس .

سلموا على هيروديون نسيبي . سلموا على الذين هم من أهل نركيسوس الكائنين في الرب . سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين في الرب . سلموا على برسيس المحبوبة التي تعبت كثيرًا في الرب . سلموا على روفس المختار في الرب وعلى أمه أمي . سلموا على اسينكريتس فليغون هرماس بتروباس وهرميس وعلى الإخوة الذين معهم . سلموا على فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس وعلى جميع القديسين الذين معهم .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة .كنائس المسيح تسلم عليكم ، .. يسلم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي . أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب . يسلم عليكم غايس مضيفي ومضيف الكنيسة كلها . يسلم عليكم اراستس خازن المدينة وكوارتس الأخ » (رومية ١٦ : ١-٢١) ، ولعل القارئ الكريم قد لاحظ مشاركة الكاتب ترتيوس ، والذي لم ينس هو أيضًا أن يسجل تحياته وأشواقه في رسالته التي لم يدر في خلده أنها ستعتبر يومًا من الأيام جزء من كلمة الله .

وأرسل بولس إلى تيطس قائلًا : « **حينما أرسل إليك ارتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي إليّ إلى نيكوبوليس ، لأني عزمت أن أشتي هناك ، جهز زيناس الناموسي**

وأبلّوس باجتهاد للسفر حتى لا يعوزهما شيء » (تيطس ٣: ١٢-١٣) .

وتتكرر المشاهد الشخصية في رسالة فيلبي ، حيث يقول : « **أنا أيضًا سآتي إليكم سريعًا ، ولكني حسبت من اللازم أن أرسل إليكم ابفرودتس أخي والعامل معي والمتجند معي ورسولكم والخادم لحاجتي ، إذ كان مشتاقًا إلى جميعكم ومغمومًا ، لأنكم سمعتم أنه كان مريضًا .. فأرسلته إليكم بأوفر سرعة ، حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضًا ، وأكون أنا أقل حزنًا** » (فيلبي ٢: ٢٦-٢٨) .

ولا ينسى بولس أن يسجل هنا أيضًا بعض تحياته ، فيقول : « **سلموا على كل قديس في المسيح يسوع . يسلم عليكم الإخوة الذين معي ، يسلم عليكم جميع القديسين ، ولا سيما الذين من بيت قيصر ... كتبت إلى أهل فيلبي من رومية على يد ابفرودتس** » (فيلبي ٤: ٢١-٢٢) .

ومثل هذا كثير ، انظر (١ كورنثوس ١٦: ٢٠) ، و (فيلمون ١: ٢١-٢٤) ، فهل هذه العبارات من إلهام الله ووحيه ؟!

خامسًا : عبارات لا يمكن أن تكون وحيًا :

لو تتبعنا الأناجيل لما وجدنا ما يشعر بأن أيـًا منها صادر من مُلهَم يكتب وحيـًا، فمثلاً لم يستطع يوحنا تقدير المسافة التي قطعها التلاميذ في البحر قبل أن يروا المسيح فقال: «**فلما كانوا قد جذفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشيًا على البحر**» (يوحنا ٦: ١٩) ، ولو كان يوحنا يلهم ما يكتب من الوحي لما وقع في مثل هذا.

وعلاوة على هذا كله فإن في الرسائل فقرات تنفي هي عن نفسها دعوى الإلهام وتكذبه ، وتشهد لصاحبها بأنه يتحدث ببشرية تامة ، وأن الوحي لا علاقة له بما يكتب .

ومن ذلك قول بولس عن المتزوج بغير المؤمنة : « **أقول لهم أنا ، لا الرب ..** »

(١ كورنثوس ٧: ١٢) ، فكلامه في هذه المسألة لا علاقة له بالوحي ، لكنهم مع ذلك يعتبرونه جزءًا من كلمة الله .

ويقول عن أمر آخر : « **وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنّ ، ولكنني أعطي رأيًا** » (١ كورنثوس ٧: ٢٥) ، فهل نصدق بولس ، وهو يصف كلامه هنا بأنه رأي شخصي أم نصدق النصارى الذين يقولون عن هذه العبارات أنها أيضًا ملهمة من قبل الله ووحيه ؟

ويؤكد بولس ثانية أن بعض ما يصدر عنه هو محض رأي بشري واجتهاد شخصي منه ، فيقول : « **لست أقول على سبيل الأمر ، بل باجتهاد .. أعطي رأيًا في هذا أيضًا** » (٢ كورنثوس ٨: ٨-١٠) .

ويقول بولس أيضًا وهو ينفي عن كلامه صفة القداسة : « **الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب ، بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار هذه** » (٢ كورنثوس ١١: ١٦-١٧) [1].

وقد وردت هذه الكلمات ضمن سياق مهم يصرخ بأن هذا الكلام رسالة شخصية لا علاقة لله به ، إذ يقول : « **أقول أيضًا : لا يظن أحد أني غبي ، وإلا فاقبلوني ولو كغبي ، لأفتخر أنا أيضًا قليلًا . الذي أتكلم به لست أتكلم به بحسب الرب ، بل كأنه في غباوة في جسارة الافتخار هذه . بما أن كثيرين يفتخرون حسب الجسد ، أفتخر أنا أيضًا .**

فإنكم بسرور تحتملون الأغبياء ، إذ أنتم عقلاء . لأنكم تحتملون إن كان أحد

---

(١) انظر : رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ اسبينوزا ، ص (٣١٨).

يستعبدكم . إن كان أحد يأكلكم . إن كان أحد يأخذكم . إن كان أحد يرتفع . إن كان أحد يضربكم على وجوهكم .

على سبيل الهوان أقول : كيف أننا كنا ضعفاء . ولكن الذي يجترئ فيه أحد أقول في غباوة ، أنا أيضًا اجترئ فيه . أهم عبرانيون ؟ فأنا أيضًا ، أهم إسرائيليون ؟ فأنا أيضًا . أهم نسل إبراهيم ؟ فأنا أيضًا ، أهم خدام المسيح ؟

أقول كمختل العقل : فأنا أفضل ، في الأتعاب أكثر ، في الضربات أوفر » (٢ كورنثوس ١١ : ١٥-٢٤) ، فهل أوحي إليه أن يصف نفسه حال بلاغه للوحي أنه مختل العقل وأنه غبي ...

ويقول متحدثًا إلى مستمعيه متلطفًا لهم : « **ليتكم تحتملون غباوتي قليلًا** » (٢ كورنثوس ١١: ١) ، فهل أوحى الله له أن يصف نفسه بالغباء ، وهل يعتذر الله ويخشى أن يكون ملهَمه قد أثقل على أولئك الذين يقرؤون رسالته .

ويقول معتذرًا ، والمفروض أن القائل وحي الله الذي يسجله بولس : « **لقد اجترأت كثيرًا فيما قلت أيها الإخوة** » (رومية ١٥: ١٥) .

سادسًا: أحداث مهمة لا يصح أن يذهل عنها الملهَم :

ومما يردّ دعوى الإلهام ذهول بعض الإنجيليين عن ذكر أحداث هامة رغم اجتماعهم على ذكر أحداث لا قيمة لها .

ومن ذلك أن الإنجيليين أجمعوا على ذكر حادثة ركوب المسيح على الجحش وهو يدخل أورشليم ، لكن الإنجيليين ذهلوا عن تسجيل أحداث مهمة ، فلم يسجل أول معجزات المسيح ـ وهو معجزة تحويل الماء إلى خمر ـ على أهميتها إلا واحد منهم

(انظر يوحنا ٢: ١-١١) ، فهل كان ركوب المسيح الجحش أهم من هذه المعجزة الباهرة؟!

وهل هو أيضًا أهم من معجزة إحياء لعاذر أمام الجموع الكثيرة التي آمنت به بعد ذلك ، فقد ذهل عن تسجيله الإنجيليون فيما عدا يوحنا (انظر يوحنا ١١: ١-٤٦) .

ولن يكون ركوب المسيح الجحش وهو يدخل أورشليم ـ بحال من الأحوال ـ أهم من وصيته التي تضمنت دعوة الأمم إلى اتباع الشريعة وتعميدهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وهو عمدة النصارى في إثبات عقيدة التثليث ، فقد انفرد بذكره متى العشار (انظر متى ٢٨: ١٩) ، دون بقية الإنجيليين الذين لم يسجلوا هذا النص الفريد والمهم .

وصعود المسيح إلى السماء حدث بالغ الأهمية ، ومع أهميته لم يذكره التلميذان متى ويوحنا اللذان يفترض أنهما شاهدا المسيح وهو يصعد للسماء ، بينما ألهم لوقا ومرقس ـ الغائبان يومذاك ـ ذكر هذا الخبر !!

والحقيقة أن أحدًا من الإنجيلين لم يلهم كتابة خبر الصعود ، لأن خبر الصعود (انظر لوقا ٢٤: ٥١) قد أضيف فيما بعد بحسب الكثير من المحققين ، كما اعترفت بذلك لجنة تنقيح الكتاب المقدس التي أصدرت النسخة (R.S.V)[1] .

وكذلك ذهل الكتاب الملهمون عن ذكر قدرة التلاميذ على مغفرة الذنوب ، فيما عدا يوحنا (انظر يوحنا ٢٠: ٢٣) ، يوحنا الذي يستغرب منه أنه لم يذكر شيئًا

---

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص (٢٦-٢٩) .

عن العشاء الأخير على أهميته وشهوده له إبان حياة المسيح .

وكذلك لم يسجلوا زيارة المجوس للمسيح وسجودهم له ، بينما سجلها متى (انظر متى ٢ : ١-١٢) ، وكان الوحيدَ الذي كتب عن سفر المسيح وأمه لمصر . (انظر متى ٢ : ١٤) ، وكل هذا مما ينقض دعوى الإلهام ، إذ لا يليق بالملهِم أن يغفل عن إلهام التلاميذ هذه الأمور المهمة .

سابعًا : إنكار المحققين لإلهامية كتبة العهد الجديد :

وهذه المواضع التي ذكرناها وغيرها دفعت بعض فرق النصارى وبعض مقدميهم وغيرهم من المحققين لإنكار إلهامية الأناجيل والرسائل .

ويقول مؤلفو الترجمة المسكونية : « جمع المبشرون ، وحرروا ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ما أعطاهم إياه التراث الشفهي » فليس ثمة إلهام إذن .

ويقول لوثر مؤسس مذهب البروتستانت عن رسالة يعقوب : « إنها كلّاء .. هذه الرسالة وإن كانت ليعقوب .. إن الحواري ليس له أن يعين حكمًا شرعيًا من جانب نفسه ، لأن هذا المنصب كان لعيسى عليه السلام فقط » ، فقول لوثر هذا ، يفهم منه عدم اعتباره ليعقوب الحواري ملهمًا .

وهنا يضع لوثر قانونه الخاص لقبول الأسفار، فالقانونية لا يفرضها اسم المؤلف، بل طبيعة السفر، ومدى تطابقه مع تعاليم المسيح، يقول: « إن كل ما لا يبشر بالمسيح ليس رسوليـًا حتى لو كتبه القدّيس بطرس أو القدّيس بولس ... وكل ما يبشر بالمسيح يكون رسوليـًا حتى لو صدر من يهوذا وبيلاطس أو هيرودس»[1].

ويقول حبيب سعيد في كتابه (سيرة رسول الجهاد) منبهًا إلى حقيقة هامة

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (٢٤/ ٥٧).

وصحيحة عن بولس : « لم يدر بخلده عند كتابتها ـ أو على الأصح عند إملائها ـ أنه يسطر ألفاظًا ستبقى ذخرًا ثمينًا تعتز به الأجيال القادمة » ، ويا للعجب ، بولس لا يعلم بقدسية كلماته ، بينما النصارى عنه يناضلون ، وينسبون إليه ما لم ينسبه هو إلى نفسه .

وفي الفاتيكان شكل البابا جون لجنة لدراسة الإنجيل برئاسة العلامة الشاب هانز كونج ، وبعد دراسة متأنية ، قررت اللجنة : « أن الإنجيل كلام بشر ، وأنه لا يوجد دليل على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله »[1] .



(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص (٢٧).

هل كان بولس رسولاً؟

بولس أشهر كتبة العهد الجديد ، وأهم الإنجيليين على الإطلاق ، فقد كتب أربع عشرة رسالة تقارب النصف من صفحات العهد الجديد ، وفيها فقط تجد العديد من العقائد النصرانية ، إنه مؤسس النصرانية وواضع عقائدها ؟ وهو الوحيد الذي ادعى النبوة دون سائر الإنجيليين .

فمن هو ؟ وكيف أصبح رسولًا ؟ وما هي أهميته في الفكر النصراني ؟

أهمية بولس في الفكر النصراني :

تقوم النصرانية المحرفة وعمادها الرئيس على رسائل بولس الذي يسميه ديورانت «واضع اللاهوت المسيحي»[1] ، فقد كانت رسائله أول ما خط من سطور العهد الجديد ، الذي جاء متناسقًا إلى حد ما مع هذه الرسائل ، لا سيما إنجيل يوحنا ، فيما رفضت الكنيسة النصرانية رسائل التلاميذ التي تتعارض مع نصرانية بولس التي طغت على النصرانية الأصلية التي نادى بها المسيح وتلاميذه من بعده .

و هذا الأثر الذي تركه بولس في النصرانية لا يغفل ولا ينكر، وكما يقول يوهان سملر أستاذ الفلسفة: «المسيحية قد حرَّفها عن تعاليم المسيح لاهوت القديس بولس الذي لم ير المسيح قط»[2] ، مما حدا بالكاتب مايكل هارت في كتابه (ranking of the most influential persons in history)، والمنشور بالعربية بعنوان: (الخالدون المائة) أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثرًا ، إذ وضعه في المرتبة

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٢٤٩) .

(٢) قصة الحضارة، وليام ديورانت (٤١/ ١٦٦) ، وانظر: كتاب «حياة الحقائق» لغوستاف لوبون، وكتاب «يسوع لا بولس» لبنتام.

السادسة فيما وضع المسيح في المرتبة الثالثة .

وقد برر هارت وجود النبي محمد ﷺ في المرتبة الأولى ، وتقدمه على المسيح عليه السلام الذي يعد المنتسبون لدينه الأكثر على وجه الأرض ، فقال : « فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد ، وإنما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس ، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان .

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية ، وكذلك نظراتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني .

وأما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس » ، ويقول هارت : « المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح»، لذلك أسماه المؤرخ ولديورانت «واضع اللاهوت المسيحي» [(١)] .

وقد خلت قائمة مايكل هارت من تلاميذ المسيح الذين غلبتهم دعوة بولس مؤسس المسيحية الحقيقي ، بينما كان الامبرطور قسطنطين صاحب مجمع نيقية الذي تبنى رسميًا القول بألوهية المسيح (٣٢٥م) في المرتبة الثامنة والعشرين .

أولاً: بولس، سيرته وأهميته كما في الكتاب المقدس والمصادر المسيحية :

ولد بولس لأبوين يهوديين في مدينة طرسوس في آسيا الصغرى ، ونشأ فيها وتعلم حرفة صنع الخيام ، ثم ذهب إلى أورشليم ، فأكمل تعليمه عند رجل يدعى غمالائيل أحد أشهر معلمي الناموس في أورشليم . (انظر أعمال ٢٢: ٣٩ ، ١٨: ٣ ، ٢٣: ٣) .

وقد أسماه والده (شاول) ، ومعناه : (مطلوب) ، ثم سمى نفسه بعد تنصره

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١١/ ٢٤٩).

(بولس) ، ومعناه (الصغير) (أعمال ١٣ : ٩) .

ولا تذكر المصادر النصرانية لقيا بولس المسيح ، وأول ذكر لبولس فيما يتصل بالنصرانية شهوده محاكمة وقتل استفانوس أحد تلاميذ المسيح ، ويذكر بولس أنه كان راضيًا عن قتله . (انظر أعمال ٨ : ١) فقد كان يهوديًا معاديًا للمسيحيين الأوائل .

ويحكي سفر الأعمال عن اضطهاد بولس للكنيسة وأنه « **كان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالًا ونساءً ، ويسلمهم إلى السجن** » (أعمال ٨ : ٣) .

ويذكر سفر الأعمال تنصر بولس بعد زعمه بأنه رأى المسيح (بعد رفع المسيح بسنوات) ، فبينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة رآه في السماء ، ويزعم أنه أعطاه حينئذ منصب النبوة ، فكان مما قاله المسيح له كما زعم : « **ظهرت لك لأنتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت ، وبما سأظهر لك به ، منقذًا إياك من الشعب ، ومن الأمم الذين أنا أرسلك إليهم ، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلماتٍ إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبًا مع المقدسين** » (أعمال ١٦ : ١٦-١٨) .

و مكث بولس ثلاثة أيام في دمشق ، ثم غادرها إلى العربية .[١]

ثم عاد إليها « ثم بعد ثلاثة سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس ، فمكثت عنده خمسة عشر يومًا » (غلاطية ١ : ١٨) .

ثم بدأ دعوته في دمشق ، فحاول اليهود قتله ، فهرب إلى أورشليم ، فرحب به برنابا ، وقدمه للتلاميذ الذين يصفه أعمال الرسل بأنهم « **يخافونه غير مصدقين أنه**

---

(١) يطلق اسم العربية في الكتاب المقدس ، ويراد منه جزيرة العرب كما قد يراد به بعض المواقع شمال الجزيرة كسيناء وجنوب الشام . انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص (٦١٥) .

تلميذ» (أعمال ٩ : ٢٦) .

ثم ذهب للدعوة في قيصرية (جنوب حيفا) ، ثم سافر مع برنابا إلى آسيا الصغرى ، ثم حضر مجمع أورشليم مع التلاميذ ، ثم رجع إلى أنطاكيا ، واختلف فيها مع برنابا بسبب (زعمته الأناجيل) وهو إصراره على اصطحاب مرقس معهما في رحلتهما التبشيرية ، وعندها افترقا .

و استمر بولس يدعو إلى المسيحية في أماكن عدة من أوربا سجن خلالها مرتين، إحداهما في روما سنة ٦٤م ، ثم ثانيةً عام ٦٧ ، وقتل عام ٦٨م [١] .

وتذكر بعض المصادر أنه أسر مرة واحدة عام ٦٤م وفيها مات .

ثانيًا : بعض الملامح في شخصية بولس كما وردت في رسائله :

ولا بد من سبر هذه الشخصية الهامة في تاريخ المسيحية بقراءة الرسائل المنسوبة إليه أو ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل .

وعند قيامنا بهذا السبر سنجد ملاحظات هامة .

أ ـ تناقضات قصة الرؤية والنبوة المزعومة :

زعم بولس أنه لقي المسيح بعد ثلاث سنوات من رفعه ، حين كان متجهًا إلى دمشق ، لكن عند التحقيق في قصة رؤية بولس للمسيح يتبين أنها إحدى كذبات بولس وأوهامه ، ودليل لذلك يتضح بالمقارنة بين روايات القصة في العهد الجديد ، حيث وردت القصة ثلاث مرات : أولاها في أعمال الرسل (٩ : ٣-٢٢) ، من رواية لوقا أو كاتب سفر الأعمال ، والثانية من كلام بولس في خطبته أمام الشعب

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٩٨-١٩٩) .

(انظر أعمال ٢٢: ٦-١١) ، والثالثة أيضًا من رواية بولس أمام الملك أغريباس (انظر أعمال ٢٦: ١٢-١٨) ، كما أشار بولس للقصة في مواضع متعددة في رسائله .

و لدى دراسة القصة في مواضعها الثلاث يتبين تناقضها في مواضع :

١- جاء في الرواية الأولى (أعمال ٩) « **وأما الرجال المسافرون معه ، فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدًا** » (أعمال ٩: ٧) ، بينما جاء في الرواية الثانية (أعمال ٢٢) : « **الذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني** » (أعمال ٢٢: ٩) ، فهل سمع المسافرون الصوت ؟ أم لم يسمعوه ؟

٢- جاء في الرواية الأولى والثانية أن المسيح طلب من بولس أن يذهب إلى دمشق حيث سيخبَر هناك بالتعليمات : « **قال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك : ماذا ينبغي أن تفعل** » (أعمال ٩: ٦) ، وفي الثانية : « **قلت ماذا أفعل يا رب ؟ فقال لي الرب : قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل** » (أعمال ٢٢: ١٠) .

بينما يذكر بولس في الرواية الثالثة (أعمال ٢٦) أن المسيح أخبره بتعليماته بنفسه ، فقد قال له : « **قم وقف على رجليك ، لأني لهذا ظهرت لك ، لأنتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت وبما سأظهر لك به ، منقذًا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم ..** » (أعمال ٢٦: ١٦-١٨) .

٣- جاء في الرواية الثانية أن المسافرين مع بولس « **نظروا النور وارتعبوا** » (أعمال ٢٢: ٩) ، لكنه في الرواية الأولى يقول : « **ولا ينظرون أحدًا** » (أعمال ٩: ٧).

٤- جاء في الرواية الأولى والثانية أن بولس « **وحده سقط على الأرض** » (أعمال ٩: ٤) ، بينما المسافرون وقفوا ، وفي الرواية الثالثة أن الجميع سقطوا ، فقد

جاء فيها «**سقطنا جميعًا على الأرض**» (أعمال ٢٦: ١٤) .

٥- جاء في الرواية الأولى «**أن نورًا أبرق حوله من السماء**» (أعمال ٩: ٣) ، ومثله في الرواية الثانية (انظر أعمال ٢٢: ٦) ، غير أن الرواية الثالثة تقول : «**أبرق حولي وحول الذاهبين معي**» (أعمال ٢٦: ١٣) .

فحدث بهذه الأهمية في تاريخ بولس ثم النصرانية لا يجوز أن تقع فيه مثل هذه الاختلافات ، يقول العلامة أحمد عبد الوهاب : « إن تقديم شهادتين مثل هاتين (الرواية الأولى والثالثة) أمام محكمة ابتدائية في أي قضية ، ولتكن حادثة بسيطة من حوادث السير على الطرق لكفيل برفضهما معًا ، فما بالنا إذا كانت القضية تتعلق بعقيدة يتوقف عليها المصير الأبدي للملايين من البشر »[١] ، إذ بعد هذه الحادثة أصبح شاول الرسول بولس مؤسس المسيحية الحقيقي .

لكن إذا أردنا تحليل الهدف الذي جعل بولس يختلق هذه القصة فإنا نقول : يبدو أن بولس اندفع للنصرانية بسبب يأسه من هزيمة أتباع المسيح ، فقد رآهم يثبتون على الحق رغم فنون العذاب الذي صبه عليهم ، وهذا الشعور واضح في قول بولس أن المسيح قال له : « **صعب عليك أن ترفس مناخس** » (أعمال ٢٦: ١٤) .

و يُستغرب هنا كيف ينقل شخص من الكفر والعداوة إلى القديسية والرسالة من غير أن يمر حتى بمرحلة الإيمان ، فمن الممكن تصديق التحول من فرط العداوة إلى الإيمان ، أما إلى النبوة والرسالة من غير إعداد وتهيئة فلا ، ومن المعلوم أن أحدًا من الأنبياء لم ينشأ على الكفر ، فهم معصومون من ذلك .

ولنا أن نتساءل كيف لبولس أن يجزم بأن من رآه في السماء وكلمه كان المسيح

---

(١) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص (١٠٣) .

وليس غيره ، إذ هو لم يلق المسيح طوال حياته .

كما من حق غيرنا أن يفترض أن بولس كان صادقًا مع نفسه في أصل قصته، فقد عبر عن تهيئات وتخيلات جالت بعقله، وهذا ما يقترحه ولديورانت بقوله: «وليس في وسع أحد أن يعرف العوامل التي أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسي في طبيعة الرجل، ولعل ما قاساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللفحة، أو لعل ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعل شيئـًا من هذا أو ذاك كله قد أثّر في جسم ضعيف رُبّما كان مصابـًا بالصرع، وفي عقل يعذبه الشك والإجرام، فدفع بالعملية التي كانت تجري في عقله الباطن إلى غايتها»(1) .

ويربط فراس السواح بين ما كان يصيب بولس من هذيان وما ذكره عن نفسه «**ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات؛ أُعطيت شوكة في الجسد، ملاك الشيطان، ليلطمني لئلا ارتفع** » (٢ كورنثوس ١٢: ٧)، ونقل عن الباحثين اختلافهم في تفسير هذه الشوكة، فمنهم من قال: «إنها الصرع الذي كان يسبب له هذيانات ورؤى، وقال البعض الآخر: إنها الملاريا، وفريق ثالث : إنها حالات من العمى المؤقت الناتج عن أسباب نفسية»(2) .

ب ـ نفاقه وكذبه :

و من الأمور التي وقف عليها المحققون في شخصية بولس تلونه ونفاقه واحترافه للكذب في سبيل الوصول لغايته .

فهو يهودي فريسي ابن فريسي (انظر أعمال ٢٣: ٦) ، لكنه عندما خاف من

---

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١١/ ٢٥٣) .

(٢) ألغاز الإنجيل ، فراس السواح، ص (٣٥٢).

الجلد قال : « **أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانًا رومانيًا** » (أعمال ٢٢: ٢٥) .

وبولس يستبيح الكذب والتلون للوصول إلى غايته فيقول : « **صرت لليهود كيهودي .. وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس .. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس .. صرت للكل كل شيء** » (١ كورنثوس ٩ : ٢٠-٢١) .

ويستبح بولس الكذب فيقول : « **إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده ، فلماذا أدان بعد كخاطئ** » (رومية ٣: ٧) .

ومن نفاقه وتلونه تزلفه لحكام روما الوثنيين واعتبارهم وسائر الحكام سلاطين موضوعين من قبل الله ، ويمضي فيجعل الضرائب والجزية التي يفرضونها حقًا مشروعًا لهم ، فيقول : « **لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة .. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضًا ، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فأعطوا الجميع حقوقهم ، الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، والخوف لمن له الخوف ، والإكرام لمن له الإكرام** » (رومية ١٣: ١-٧) .

ج ـ غروره :

و تمتلئ رسائل بولس بثنائه على نفسه ومن ذلك قوله : « **بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات** » (غلاطية ١ : ١) ، وفي رسالة أخرى يقول : « **بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح .. و إنما أظهر كلمته الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله** » (تيطس ١ : ١-٣) .

و يظن بولس أن عنده روح الله فيقول : « **أظن أني أنا أيضًا عندي روح الله** » (١ كورنثوس ٧: ٤٠) .

ويرتفع بنفسه إلى درجة القديسين الذين ـ كما يرى ـ سيدينون العالم بما فيهم الملائكة فيقول : « **ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم ؟ .. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة** » (١ كورنثوس ٦ : ٢-٣) فهو سيدين الملائكة الذين كان قد ذكر بأن المسيح دونهم بقليل (انظر عبرانيين ٢ : ٩) ، ويقول أيضًا مفاخرًا بنفسه : « **اختارنا الله قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة** » (أفسس ١ : ٤) .

د ـ عدم تلقيه الدين والهدي من تلاميذ المسيح :

ورغم أن بولس لم يلق المسيح فإنه يعتبر نفسه في مرتبة التلاميذ ، لا بل يفوقهم « **الإنجيل الذي بشرت به ، إنه ليس بحسب إنسان ، لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح .. لم استشر لحمًا ولا دمًا ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت إلى العربية** (شمال جزيرة العرب) **ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس** » (غلاطية ١ : ١١-١٨) .

ويؤكد بولس على تميزه عن سائر التلاميذ وانفراده عنهم ، و يصفهم بالإخوة « **الكذبة المدخلين خفية ، الذين دخلوا اختلاسًا .. الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ، فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء ، بل على العكس إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة ، كما بطرس على إنجيل الختان** » (غلاطية ٢ : ٤-٧) .

وهكذا يؤكد بولس بأن ما يحمله في تبشيره لم يتلقاه عن تلاميذ المسيح ، بل هو من الله مباشرة، « ويبدو واضحًا من كلامه أنه مهما قال بطرس أو يعقوب أو أي إنسان آخر (أو حتى أي ملاك) فإن بولس لن يغير إنجيله، ومع ذلك كان عليه أن يتعامل مع بطرس ويعقوب وسلطات أورشليم، وأشار إليهم باستخفاف حين أسماهم «أعمدة»

الكنيسة (غل ٢ : ٩) »[١] .

اعترافات نصرانية بابتداع بولس لما قدمه :

و يتساءل المحققون لماذا لم يذهب بولس بعد تنصره مباشرة إلى التلاميذ ليتلقى عنهم دين المسيح ؟ بل ذهب إلى العربية ومكث بعيدًا عن التلاميذ ثلاث سنين ، ثم لقي اثنين منهم فقط لمدة خمسة عشر يومًا . (انظر غلاطية ١ : ١٨-١٩) .

تقول دائرة المعارف البريطانية في الإجابة عن هذا السؤال : « إن ارتحاله إليها كان لحاجته إلى جو هادئ صامت يتمكن فيه من تفكير في موقفه الجديد ، وإن القضية الأساس عنده هي تفسير الشريعة حسب تجاربه الحديثة » .

ويقول المؤرخ جيمس ماكينون في كتابه (من المسيح إلى قسطنطين) : « إنه ارتحل بعد تحوله الفكري إلى العربية ، وكان الغرض المنشود من وراء ذلك ـ كما يبدو من التبشير ـ أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة ، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم حتى يجتمع ببطرس ويعقوب » .

و يبرر جيمس ماكينون موقف بولس فيقول : « كان بولس يؤمن أن الله قد وهبه ميدانًا محددًا للعمل ، ولا يجوز لرجل أن يتدخل في شئونه مادام روح الله بدورها هادية له » [٢] .

ثالثًا : بولس الرسول :

كما يرفض المحققون وسم النصارى لبولس بالرسول ، إذ ليس له شاهد على

---

(١) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، الأب ريموند براون، ص (١٥٤).

(٢) ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، ص (١٧٠-١٧٤) ، المسيح في الأناجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص (١١٠-١١٢) ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص (١٨-١٩) .

دعواه النبوة إلا شهادته لنفسه بأنه رأى المسيح فجعله رسولًا ، ومثل هذه الشهادة لا يعتد بها (انظر يوحنا ٥: ٣١) كما قد رفض المحققون ـ كما أسلفنا ـ قصة تجلي المسيح له التي رواها عنه تلميذه لوقا في سفر أعمال الرسل لما فيها من تناقضات تبطل قدسيتها ووقوعها .

كما وجد المحققون في أقوال بولس ما يستحيل أن يصدر من نبي ورسول .

فمن ذلك إساءته الأدب مع الله في قوله : « **لأن جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس** » (١ كورنثوس ١: ٢٥) ، فلا يقبل أن يقال بأن لله ضعفًا أو جهالة من أحد ، سواء كان رسولًا أو غير رسول ، وصدور مثله عن الرسل محال ، إذ هم أعرف الناس بربهم العليم القوي المتعال .

ومثله يقول بولس : « **لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله** » (١ كورنثوس ٢: ١٠) .

ويقول مستحلًا المحرمات : « **كل الأشياء تحل لي** » (١ كورنثوس ٦: ١٢) .

يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تعليقًا على هذه الفقرة: « استغلت الكنيسة هذا القول أسوأ استغلال في أوقات كثيرة ، فكان بعض المسيحيين يبررون الكثير من خطاياهم بالقول إن المسيح قد رفع كل خطية ، فأصبح لهم الحرية أن يعيشوا كما يشاؤون » [١] ، وأقول : هل ينتظر من الشوك العنب ؟!

فإن هذا القول من بولس يتطابق مع ما جاء به من إلغائه الناموس واحتقاره ووصفه له بالعتق والشيخوخة ، ومثل هذا الموقف لا يكون من الأنبياء والرسل الذي

---

(١) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٢٤٣٣) .

تأتي دعوتهم لتؤكد على طاعة الله وتدعو إلى السير وفق شريعته ، يقول [١] : « **فإنه يصير إبطال الوصية السابقة** (التوراة وشرائعها المختصة بالكهنوت اللاوي) **من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئًا ، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله** » (عبرانيين ٧: ١٨-١٩) .

ويقول مبررًا إلغاء نظام الكهنوت التوراتي : « **فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلب موضع لثانٍ** » (عبرانيين ٨: ٧) .

ويقول عن الناموس أيضًا : « **وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال** » (عبرانيين ٨: ١٣) ، وهذا كله يناقض ما جاء في سفر إشعيا ، وفيه أن الله يقول : « **هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي ، لا ترجع إليّ فارغة ، بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها له** » (إشعيا ٥٥: ١١) .

ويحكي بولس عن نفسه وضعفه أمام الشهوات بما لا يليق بأحوال الأنبياء ، فيقول : « **لست أعرف ما أنا أفعله ، إذ لست أفعل ما أريد ، بل ما أبغضه فإياه أفعل .. لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل .. أرى ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي ، ويحي أنا الإنسان الشقي** » (رومية ٧: ١٥-٢٤) .

وأما المعجزات المذكورة له في الرسائل (أعمال ١٤: ٣) (انظر قصة شفائه للمقعد في أعمال ١٤: ٨-١١) ، وقصة إحيائه أفتيخوس في أعمال ٢٠: ٩-١٢) فلا تصلح دليلًا على نبوته لأن المسيح أخبر بمقدم الكذبة المضلين الذين يصنعون العجائب وحذر من

---

(١) رسالة العبرانيين لا يعرف قائلها على الحقيقة ، لكن بعض المفسرين نسبها إلى بولس ـ من غير دليل عليه ـ ، قد نسبنا هذه الأقوال إليه تبعًا لهؤلاء المفسرين .

الاغترار بمعجزاتهم (انظر متى ٢٤ : ٤-٢٥) ، فقد يكون بولس أحد هؤلاء الكذابين الذين يعطون الآيات والعجائب ، التي تضل حتى المختارين من التلاميذ .

كما أن الأعاجيب ـ وكما سبق ـ لا تصلح أكثر من دليل على الإيمان فحسب ، إذ كل مؤمن ـ حسب الإنجيل ـ يستطيع أن يأتي بإحياء الموتى وشفاء المرضى ، بل أكثر من ذلك (انظر متى ١٧ : ٢٠) و (يوحنا ١٤ : ١٢) .

ويقول يوحنا محذرًا من الأنبياء الكذبة : « **قد صار الآن أضداد المسيح ، منا خرجوا ، لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا .. من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح .. احذروا الذين يضلونكم** » (١ يوحنا ٢ : ٢٢) .

وقد حذر بطرس أيضًا فقال : « **كان أيضًا في الشعب أنبياء كذبة ، كما سيكون فيكم أيضًا معلمون كذبة ، الذين يدسون بدع هلاك ..** » (٢ بطرس ٢ : ١-٣) .

وهكذا كما قال المسيح عن هؤلاء المبطلين : « **من ثمارهم تعرفونهم** » (متى ٧: ٥-٢٣) ، فقد كانت ثمار بولس بدع الهلاك التي أدخلها في المسيحية : ألوهية المسيح ، الصلب والفداء ، عالمية النصرانية ، إلغاء الشريعة .

نبوءة المسيح عن بولس (الصغير):

دعي بولس بعد تنصره بهذا الاسم، ومعناه كما ذكرنا : « الصغير » ، وهو اسم يعبر عن موقف رافض لدعوته إلى إلغاء الشريعة حين زعم أن المسيح المصلوب رفع عن أتباعه إنفاذ شرائع الناموس «مبطلاً بجسده ناموس الوصايا» (أفسس ٢: ١٥)، فكانت تسميته بهذا الاسم تحقق نبوءة المسيح في قوله: « **الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى : أصغر في ملكوت السماوات** »

(متى ٥ : ١٧-١٩) [1] ، وقد دعي بولس في الدنيا بالصغير ، ولسوف يدعى في الآخرة أصغر جزاء تبديله للناموس والوصايا وتقليله من شأنها ومكانها .

رابعًا : موقف التلاميذ من بولس:

وإذا كان بولس قد أنشأ البدع في النصرانية ، وبدل دين المسيح كيفما شاء ، فما هو موقف التلاميذ منه ، وهل شاركوه التغير والتبديل ؟

بداية نذكر بأن بولس لم يتلق شيئًا من النصرانية من المسيح أو تلاميذه ، فهو لم يصحبهم بل لم ير منهم سوى بطرس ويعقوب ولمدة خمسة عشر يومًا ، و ذلك بعد ثلاث سنين من تنصره ، ثم عاد مرة أخرى أورشليم ، وعرض عليهم ما كان يدعو به بعيدًا عنهم يقول بولس : « **ثم بعد أربع عشر سنة صعدت أيضًا إلى أورشليم مع برنابا .. وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم** » (غلاطية ٢ : ١-٢) فماذا كان ردة فعل التلاميذ ؟

يقول بولس وهو ينقل لنا ردود أفعال التلاميذ : « **فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء بالعكس ، إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان .. أعطوني برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم ، وأما هم للختان ..**

---

(١) يرى اللاهوتي رودولف بولتمان من أكابر العلماء في العهد الجديد أن هذه العبارة تعبر عن الصراع بين المسيحية اليهودية الأولى (مسيحية المسيح وتلاميذه) الداعية إلى تعظيم الناموس الموسوي، وبين المسيحية الهيلينية التي يمثلها بولس بدعواه إلى إبطال الشرائع الموسوية ، وهذا النص « **فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى : أصغر في ملكوت السماوات** » كما يقول بروس: «لم يصدر عن يسوع، بل عن فريق في الكنيسة الباكرة لم يكن راضياً عن بولس .. هذه الكلمات صدرت عن فريق في الكنيسة الباكرة رغب في الاحتفاظ بسلطة الناموس الكاملة على المسيحيين» أقوال يسوع الصعبة، ف بروس، ص (٤١) .

وهذا عينه ما كنت اعتنيت أن أفعله » (غلاطية ٢ : ٧-١٠) .

إذا كان ما يقوله بولس صحيحًا فإن التلاميذ أبعدوا بولس بعيدًا عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح وأوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم ، وأما إرسال برنابا معه فيبدو أنه كان بقصد التوجيه والإصلاح لبولس ، وهو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب .

ثم يسجل بولس في رسائله آراء تلاميذ المسيح والمسيحيين في مبادئه الجديدة ودعوته فيقول : « **جميع الذين في آسيا ارتدوا عني** » (٢ تيموثاوس ١ : ١٥) ، وقد انفض عنه الجميع ، لذا يستنجد بتيموثاوس فيقول : « **بادر أن تجيء إلي سريعًا ، لأن ديماس قد تركني ، إذ أحب العالم الحاضر ، وذهب إلى تسالونيكي .. لوقا وحده معي، اسكندر النحاس أظهر لي شرورًا كثيرة ، ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضًا ، لأنه قاوم أقوالنا جدًا ، في اجتماعي الأول لم يحضر أحد معي ، بل الجميع تركوني ، لا يحسب عليهم** [1] » (٢ تيموثاوس ٤ : ٩-١٦) ، « **لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ** » (فيلبي ٤ : ١٥) .

ويحذر بولس أنصاره من التلاميذ فيقول : « **كونوا متمثلين بي .. لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مرارًا ، والآن أذكرهم أيضًا باكيًا وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطونهم ، ومجدهم في خزيهم ..** » (فيلبي ٣: ١٧-١٩) لقد رفض كثيرون دعواه صلب المسيح ، فكان عاقبتهم اتهامات بولس لهم بالغواية وسلوك طريق الهلاك .

وفي أنحاء متفرقة من رسائله يتحدث عن أولئك الرافضين لدعوته من غير أن

---

(١) أي اغفر لهم ، كما في الترجمة العربية المشتركة .

يسميهم ، فيقول في بعض ما تمتلئ به رسائله موصيًا تيموثاوس : « **طلبت إليك أن تمكث في أفسس ، إذ كنت أنا ذاهبًا إلى مكدونية ، لكي توصي قومًا أن لا يعلموا تعليمًا آخر ، ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها ، تسبب مباحث دون بنيان الله في الإيمان** » (١ تيموثاوس ١ : ٣-٥) .

ويقول معتبراً نفسه صاحب التعاليم الصحيحة للمسيح الذي لم يلقه : « **إن أحد يعلم تعليمًا آخر ، لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة ، والتعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف ، وهو لا يفهم شيئًا ، بل هو متعلل بمباحثات ومماحكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام والافتراء والظنون المروجة ، ومنازعات أناس فاسدي الذهن عادمي الحق ، يظنون أن التقوى تجارة تجذب مثل هؤلاء** » (١ تيموثاوس ٦ : ٣-٥) ، ويقول منددًا بمخالفيه : « **انظروا الكلاب ، انظروا فعلة الشر** .. » (فيلبي ٣: ٢) .

وعلى هذا المنوال تمتلئ رسائله بالهجوم على معارضيه من النصارى ، فيتهمهم بسائر أنواع التهم من كفر ونفاق .. (انظر كولوسي ٤: ١٠-١١ ، فيلبي ٢: ١٩-٣١ ، تيطس ١: ٩-١٣ ، ١ تيموثاوس ١: ٣-٧ ، ٢: ٢٣ ، ٦: ٢٠-٣٤) وغيرها.

ويقول عن تلاميذ المسيح : « **لكن بسبب الإخوة الكذبة ، المدخلين خفية ، الذين دخلوا اختلاسًا ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا ، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة** .. » (غلاطية ٢ : ٤-٥) ، ومما يؤكد أن قصده التلاميذ، لا غيرهم ، قوله : « **الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة** » .

وينال بولس من بعض تلاميذ المسيح الذين يقول عنهم المسيح : « **ليس أنتم اخترتموني ، بل أنا اخترتكم وأقمتكم ، لتذهبوا وتأتوا بثمر ، ويدوم ثمركم** »

(يوحنا ١٥ : ١٦) ، لكن بولس ومدرسته لم تبق لهم ثمرًا ، ولم تخلد لهم فكرًا ولا كتبًا ، فيما سوى بعض الصفحات القليلة .

ويتهم بولس بطرس كبير الحواريين بالرياء فيقول : « **لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة ، لأنه كان ملومًا .. راءى معه باقي اليهود أيضا ، حتى إن برنابا انقاد إلى ريائهم ، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودي تعيش أمميًا لا يهوديًا ! فلماذا تلزم الأمم أن يتهوّدوا ..** » (غلاطية ٢ : ١١-١٤) .

ويقول منددًا ومحذرًا من أولئك الذين تركوا دعوته : « **وأما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها ، الذين ينصرفون إلى أكثر فجور .. الذين منهم هيمينايس وفيليتس الذين زاغا عن الحق** » (٢ تيموثاوس ٢ : ١٦) .

وينقل كتابان منسوبان إلى إكليمندس الروماني (ت ١٠٠م) كلمات مريرة قالها بطرس بحق بولس، ففي الأول «المواعظ» «يلمح إلى القديس بولس وكأنه أحد المعلمين الكذبة الذين يندد بهم في شخص سيمون، ومما يقوله القديس بطرس يوصي به سامعيه: (تجنبوا أي رسول أو معلم أو نبي يعلم تعليمًا لا يشابه أولاً تعليم يعقوب المسمى أخا ربي، والمؤتمن على رعاية كنيسة العبرانيين في أورشليم، ولا يأتيكم بشهادات، وإلا فإن الشر الذي نازع الرب أربعين يومًا ولم يغلبه ينزل بعد ذلك على الأرض كالبرق من السماء، ويرسل إليكم داعية يقاومكم...)، ولاشك أن الكتاب يشير هنا بوضوح إلى رفض القديس بولس لرسائل التوصية، كما يشير إلى المشهد الذي حدث في الطريق إلى دمشق»[1].

---

(١) موسوعة الأنبا غريغوريوس (اللاهوت المقارن)، ص (٣٧).

وفي فصل آخر من الكتاب يشن بطرس حملة ضارية على بولس في شخص سيمون الساحر مستهدفً الرؤية المزعومة للمسيح: «إذا كنت عرفت يسوع الذي نعرفه نحن، وتحدثت إليه وأنت في رؤيا، فقد غضب عليك يسوع كما يغضب على عدوه، ولهذا تكلم معك في رؤى وأحلام، بل وفي إعلانات خارجية، أفهل يستطيع أحد أن يصبح حكيمًا من تعليمه عن طريق الرؤى؟..»[1].

أما الكتاب الثاني «الاعترافات»، فكان أقل حدة في نقد بولس، ومع ذلك نقرأ فيه عدوًا أثار شغبًا ضد الرسل، وهجم على القديس يعقوب، وكان قد أرسله قيافا في مهمة إلى دمشق ليضطهد الرسل ويقتلهم ولكي يعتقل بطرس الذي اعتقد أنه هرب إلى هناك[2].

وإذ تنفي الكنيسة صحة نسبة الكتابين إلى إكليمندس، فإنها تتهم الأبيونيين بوضعهما وتلفيقهما، وهما على أية حال كتابان قديمان يعبران عن كراهية لتعليم بولس واعتباره من الأنبياء الكذبة، ورفض له في القرن الميلادي الثاني في أوساط مسيحية يهودية.

خامسًا : موقف برنابا من بولس :

وأما موقف برنابا من بولس فهو في غاية الأهمية ، إذ لبرنابا علاقة متميزة ببولس ، إذ هو الذي قدمه للتلاميذ المتشككين في توبة شاول الذي اضطهد الكنيسة ثم ادعى النصرانية. (انظر أعمال ٩: ٢٦) ، ثم صحبه ست سنوات في رحلته التبشيرية في قبرص وأنطاكية ، ثم اختلفا بعد ذلك ، وانفصل كل منهما عن الآخر فما سبب الاختلاف ؟

(١) المصدر السابق، ص (٣٨).

(٢) المصدر السابق، ص (٣٩).

يقول سفر أعمال الرسل : « **قال بولس لبرنابا : لنرجع ولنفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم ! ، فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضًا يوحنا الذي يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما** [مرقس] .. **لا يأخذانه معهما ، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في بحر قبرس** » (أعمال ١٥: ٣٦-٣٩) .

ولكن هل يعقل أن يكون هذا هو السبب في مشاجرة برنابا وبولس ؟

يرفض المحققون هذا التبرير ، ويرون أن الأمر أكبر من ذلك ، فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره ، فقد جاء في مقدمة إنجيله : « **كانوا عديمي التقوى والإيمان الذين ضلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر به الله ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم بولس** » (برنابا ، المقدمة: ٢-٧) .

ويرفض المحققون ما جاء في أعمال الرسل في تحرير سبب الخصام بين برنابا وبولس ، ويرونه محاولة لإخفاء السبب الحقيقي ، وهو الذي ذكره برنابا في إنجيله .

ويستدلون لرأيهم بأنه لا يعقل أن ينفصل الصديقان ويتشاجران بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما ، خاصة أن بولس رضي فيما بعد برفقة مرقس ، فقد أرسل إلى تيموثاوس يقول له : « **خذ مرقس ، وأحضره معك ، لأنه نافع لي للخدمة** » (٢ تيموثاوس ٣: ١٠).

وهو يوصي أخيرًا فيقول : « **يسلم عليكم استرخس المأسور معي ، ومرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا ، وإن أتى إليكم فاقبلوه** » (كولوسي ٣: ١٠) .

ورغم تراجع بولس عن عدم اصطحاب مرقس إلا أننا لم نسمع بتاتًا عن تحسن العلاقة بين بولس وبرنابا .

وقد اعترف القس بتر سمث بأن الخلاف بين الرجلين كان خلافًا فكريًا [1] .

إذن نستطيع القول بأن تلاميذ المسيح قد عارضوا دعوة بولس وقفوا في وجهها، ودليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس ، فقد اختفت كتاباتهم وحوربت ، ولم ينج منها إلا إنجيل برنابا وما ينسب إلى بعض التلاميذ كإنجيل بطرس وإنجيل توما ، إضافة إلى رسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد ، والتي تمتلئ بمخالفة بولس وخاصة في مسألة الفداء .

كما اختفى ذكر الحواريين والتلاميذ من أعمال الرسل إلا قليلًا ، فلا نكاد نعرف شيئًا عن هؤلاء الذين أرسلهم المسيح وعن دعوتهم سوى ما نقل إلينا لوقا عن مقاومة أهل أنطاكية لتبشير بطرس المخالف لبولس ، وعن رحلة برنابا مع بولس ، ثم اختفاء ذكرهما من رسائل العهد الجديد بعد مشاجرتهما مع بولس .

وهكذا فالعهد الجديد وضعه بولس وتلاميذه ، وأبعدوا عنه كل ما يعترض نهجه وأفكاره ، وطال هذا الإبعاد تلاميذ المسيح ورسله وحملة دينه إلى أمته .

ومما سبق نستطيع القول أن دعوة بولس لم تلق ترحيبًا من التلاميذ وأتباعهم الذين واجهوا فكره المنحرف بصرامة لم تمنعه من نشر أفكاره في آسيا بعيدًا عن تلاميذ المسيح وأصفيائه الذين كانوا بحق حملة دينه والمبشرين بتعاليمه .

---

(١) انظر : ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، ص (١٧٦-١٨٤) .

مصادر الأناجيل المسيحية

عندما يتحدث النصارى عن إلهامية الأناجيل والرسائل يفهم منه أن ما كتبه الإنجيليون كان وحي الله الذي صاغه بعض البشر بعباراتهم وأساليبهم بعد أن ألهمهم روح القدس ما كانوا يكتبونه .

ولما ثبت لنا وللمحققين من قبل براءة روح القدس من هذه الأناجيل وجهالة أصحابها ، وبطلان دعوى الإلهام المزعومة تساءل المحققون عن مصدر هذه الأناجيل وعن علاقة مواد بعضها ببعض ، وهل من سبيل لمعرفة المصادر التي لجأ إليها الكاتبون الذين نسميهم متى ويوحنا ومرقس ولوقا ، مجازًا ومجاراة للعرف السائد فحسب ؟

منذ القرن الخامس الميلادي حاول النصارى من خلال النظر في التشابه فيما بين الأناجيل معرفة مصادر هذه الأناجيل ، وسجلت أول محاولة على يد القديس أوغسطين الذي قال بأن مرقس اقتبس من إنجيل متى، ولخصه ، وأما لوقا فاستعمل في كتابته الإنجيلين .

وبقي رأي أوغسطين سائدًا حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث أظهرت الدراسات الحديثة نظريات أخرى مخالفة لنظرية أوغسطين وأكثر دقة منها [1] .

وقد لاحظ المحققون وجود تشابه كبير بين الأناجيل الثلاثة ، ورأوا أن هؤلاء الإنجيليين نقل بعضهم من بعض ، وقبل أن نذكر أهم هذه النظريات ، لنقف على

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٩٥) .

مدى التقارب بين الأناجيل الثلاثة التي يسميها البعض الإزائية أو المشتركة (متى ومرقس ولوقا) نتأمل الجدول التالي الذي تورده مقدمة الرهبانية اليسوعية للعهد الجديد ، وأما إنجيل يوحنا فهو إنجيل مختلف تمامًا عن هذه الأناجيل الثلاثة .

المحتوى	مرقس	متى	لوقا
عدد جمل كل إنجيل .	٦٦١	١٠٦٨	١١٦٠
جمل مشتركة بين الأناجيل الثلاثة .	٣٣٠	٣٣٠	٣٣٠
جمل مشتركة بين متى ومرقس .	١٧٨	١٧٨	-
جمل مشتركة بين مرقس ولوقا .	١٠٠	-	١٠٠
جمل مشتركة بين متى ولوقا .	-	٢٣٠	٢٣٠
جمل مستقلة لكل منهم .	٥٣	٣٣٠	٥٠٠

وأول نظريات المصادر قدمها هوتزمان ١٨٦٠م ، وأفادت هذه النظرية أن متى ولوقا تأثرا بمرقس خلافًا للمشهور حينذاك ، كما تأثر متى ولوقا أيضًا بوثيقة مشتركة أخرى غير معروفة في العصور الحديثة ، كما كان لكل من متى ولوقا مصدر خاص نقل عنه كل منهما ما انفرد به .

وقول هوتزمان بأن مرقس أصل لمتى ولوقا ، تقول عنه دائرة المعارف البريطانية : « يكاد يكون مسلمًا به » .

وأما إنجيل مرقس فالسائد عنه ما يقوله ابن البطريق : « كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه إلى مرقس » ، ولا يخفى غرابة هذا القول ، إذ كيف ينقل بطرس الحواري عن مرقس الذي لا دليل على لقياه المسيح ؟!

وأما القول بأن مرقس أخذ عن بطرس إنجيله بعد أن رافقه في أسفاره فهو قول ممكن ، لو ثبت نسبة الإنجيل إليه وكان قد رافق بطرس الحواري حقًا كما ذكر

المؤرخ الأسقف بابياس ت ١٣٠م حين قال : « إن مرقس كان ترجمانًا لبطرس ، قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال يسوع وأقواله دون مراعاة لنظام ، لأن مرقس لم يكن قد سمع يسوع ، ولا كان تابعًا شخصيًا له ، لكنه في مرحلة متأخرة ـ كما قلت أنا من قبل ـ قد تبع بطرس » .

لكن الدراسات الأحدث والأعمق قام بها الأبوان بينوا وبومارا الأستاذان بمعهد الكتاب المقدس بالقدس ١٩٧٢-١٩٧٣م تذكر أن النص الإنجيلي مرَّ بمراحل وتطورات مثيرة ، يقول الأبوان : « إن بعض قراء هذا الكتاب سيندهشون أو سينزعجون عندما يعلمون أن كلمة المسيح تلك ، أو أن ذلك الرمز أو ذلك الخبر عن مصيره ، لم تكن ملفوظة كما نقرأها نحن ، بل إنها قد نقحت ، ثم كيفت من الذين نقلوها إلينا ، أما بالنسبة إلى الذين لم يألفوا هذا النوع من البحث العلمي فيمكن أن يكون هذا مصدرًا للدهشة ، بل للفضيحة » .

ويذكر الأبوان أن الأناجيل مرت في تدوينها بمرحلتين ، حيث وجدت أربع مصادر نقل عنها الإنجيليون بصورة متشابكة ، فتكونت كتب وسيطة تمثل الكتابات الأولية للإنجيليين ، وفي المرحلة الثانية ظهرت الكتابات النهائية للأناجيل الأربعة بعد أن اعتمد كل منهم وبصورة متشابكة أيضًا على كتابات بعض في المرحلة الأولى أو الأولية .

والمصادر الأولية كما يرى بينوا وبومارا هي :

- الوثيقة (أ) ونبعت من أوساط يهودية مسيحية ، وألهمت متى ومرقس .

- الوثيقة (ب) هي المادة التفسيرية للوثيقة (أ) ، واستخدمتها الكنائس المسيحية ذات الأصول الوثنية ، وألهمت جميع المبشرين ما عدا متى .

- الوثيقة (ج) وألهمت مرقس ولوقا ويوحنا .

- الوثيقة (ق) تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا .

ولم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التي في حوزتنا ، فبينها وبين التحرير النهائي توجد تآليف وسيطة خاصة بكل إنجيل »[1] .

وهذا الذي نقلناه من حديث النصارى عن المصادر تقره مقدمة العهد الجديد للرهبانية اليسوعية ـ ورغم الخلاف الواقع في بعض أجزائه واحتمالية أن تظهر نظريات أخرى ـ فإن مجرد البحث في موضوع هذه المصادر ينقض الادعاء القائل بإلهامية الأناجيل وصلتها بالروح القدس ، أو حتى التلاميذ .

وأما تلك الوثائق المجهولة التي نقل عنها كتبة الأناجيل فهي حلقة أخرى من سلسلة المجاهيل التي تكتنف الأناجيل وكتابها وسني تدوينها . . .



(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٩٥-٩٩) .

المصادر الوثنية القديمة للعهد الجديد

كما كانت الوثنيات القديمة مرجعًا مهمًا للإنجيليين وهم يصوغون قصتهم عن المسيح ، خاصة تلك الأجزاء التي لم يشهدوها ، كتلك المتعلقة بولادة المسيح أو صلبه المزعوم ومحاكمته .

فقد نقل المحققون عن علماء تاريخ الديانات أوجه شبه كثيرة التقت فيها روايات الأناجيل مع أقوال الوثنيات البدائية ـ التي سبقت وجود المسيحية بقرون طويلة ـ عن آلهتهم المتجسدة .

أولاً : التشابه بين الوثنيات وأسفار العهد الجديد فيما يخص ولادة الآلهة:

ظهور النجوم عند ولادة الآلهة:

تحدث متى عن ولادة المسيح فقال : « **ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له ..**

فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم ، حتى جاء ووقف حيث كان الصبي .. وأتوا إلى البيت ، ورأوا الصبي مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبًا ولبانًا ومُرًا » (متى ٢ : ١-١١) .

تتشابه قصة متى مع ما يقوله البوذيون في بوذا . يقول بنصون في كتابه (الملاك المسيح) : « لقد جاء في كتب البوذيين المقدسة عندهم أنه قد بشرت السماوات بولادة بوذا بنجم ظهر مشرقًا في الأفق ، ويدعونه في هذه الكتب المذكورة (نجم

المسيح) ومثل هذا نقله المؤرخ بيال .

وأما المؤرخ ثورنتن في كتابه (تاريخ الصينيين) ، فينقل أنه عند ولادة (يو) المولود من عذراء ظهر نجم في السماء دل عليه ، ومثله حصل عند ولادة الحكيم الصيني لاوتز .

يقول القس جيكي في كتابه (حياة المسيح) : « وعم الاعتقاد في الحوادث الخارقة للعادة ، وخصوصًا حين ولادة أو موت أحد الرجال العظام ، وكان يشار إلى ذلك بظهور نجم أو مذنب أو اتصالات بين الأجرام السماوية »[1] .

هدايا للآلهة المولودة :

ويتحدث متى في سياق قصة المجوس السابقة عن هدايا المجوس للمولود « **وأتوا إلى البيت ، ورأوا الصبي مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبًا ولبانًا ومُرًا** » (متى ٢: ١٠-١١) .

وهو أمر اشتهر أيضًا عند الوثنيات السابقة ، فها هو كرشنا لما ولد ، وعرف الرعاة أمر ولادته أعطوه هدايا من خشب وصندل وطيب .

ومثله فعل الرجال الحكماء عند ولادة بوذا ، وأما مسرا مخلص العجم فقد أعطاه حكماء المجوس هدايا من الذهب والطيب والحنظل ، وهو ما فعله المجوس أيضًا عند ولادة سقراط ٤٦٩ق.م ، فقد أتى ثلاثة منهم من المشرق ، وأهدوه ذهبًا وطيبًا ومأكولًا مُرًا .

الفرح السماوي بولادة الإله :

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (٦٥-٨٨) ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص (١٥٣) .

ويذكر لوقا في حديثه عن ميلاد المسيح أن الملائكة فرحت ورنمت سرورًا بمجيئه « **وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفًا عظيمًا ، فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب .. وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين : المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة** » (لوقا ٢ : ٨-١٤) .

وهذا الذي ذكره لوقا سبقت إليه الوثنيات القديمة ، فقد جاء في كتاب (فشنو بورانا) : « كانت العذراء ديفاكي حبلى بحامي العالم ، مجدها الآلهة ، ويوم ولادتها عمت المسرّات ، وأضاء الكون بالأنوار ، وترنمت آلهة السماء ، ورتلت الأرواح لما ولد عون الجميع .. ، شرعت الغيوم ترتل بألحان مطربة ، وأمطرت أزهارًا » .

ويقول البوذيون مثل ذلك كما نقل المؤرخ (فو نبهنك) : « وصارت الأرواح التي أحاطت بالعذراء مايا وابنها المخلص تسبح وتبارك وتنشد : لك المجد أيتها الملكة ، فافرحي وتهللي ، لأن الولد الذي وضعتيه قدوس » .

وقريبًا من هذا يقول المصريون في ولادة (أوزوريس) ، والصينيون في (كونفوشيوس) كما نقل ذلك السرجون فرنسيس دافس وبونويك في كتابه (اعتقاد المصريين) .

مكان ولادة الآلهة :

ويذكر لوقا أن المسيح ولد في مذود (انظر لوقا ٢: ١٦) ، ومثله تذكر الوثنيات، فكرشنا كما ذكروا ولد في غار ، ووضع بعد ولادته في حظيرة غنم ربّاه فيها أحد الرعاة الأمناء ، وهوتسي ابن السماء عند الصينيين ، تركته أمه وهو صغير ، فأحاطت به البقر والغنم ، وحمته من كل سوء .

ثانيًا : تشابه قصة الصلب الإنجيلية مع قصص الوثنيات القديمة :

وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة فإنه إنما يكرر عقيدة قديمة ، تناقلتها الوثنيات قبل المسيح بزمن طويل ، وقد نسج الإنجيليون أحداث صلب المسيح ، على نحو ما قرره بولس ، وعلى صورة ما ورد عن الأمم الوثنية القديمة ، حتى أضحت قصة الصلب في الأناجيل قصة منحولة من عقائد الأمم الوثنية ، ولعل أوضحها شبهًا بقصة المسيح أسطورة إله بابل « بعل » .

صور التشابه بين قصة صلب بعل البابلي وصلب المسيح :

نقل المؤرخ (فندلاي) وغيره مقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية ، وما قيل عن المسيح في المسيحية .ويوضح ذلك الجدول التالي :

محاكمة عيسى عليه السلام	محاكمة بعل
١ -أخذ عيسى أسيرًا .	١ - أخذ بعل أسيرًا .
٢- وكذلك حوكم عيسى .	٢- حوكم بعل علنًا .
٣- اعتُدي على عيسى بعد المحاكمة .	٣- جرح بعل بعد المحاكمة .
٤- اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .	٤- اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .
٥- وكان مع عيسى عليه السلام قاتل اسمه : (باراباس) محكوم عليه بالإعدام ، ورَشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام . ولكن اليهود طلبوا العفو عن (باراباس) وإعدام عيسى .	٥- كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت . وقد طلب الشعب إعدام بعل ، والعفو عن المذنب الآخر .
٦- عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء .	٦- بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد ، واضطرب الناس .
٧- وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق حواريوه جثمانه .	٧- حُرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه
٨- مريم المجدلية ، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .	٨- الأمهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه .

٩- قام عيسى من مقبرته في يوم أحد ، وفي مطلع الربيع أيضًا ، وصعد إلى السماء .	٩-قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء .

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية فيما يبدو عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا من بابل .

ومما يؤكد وصول هذه القصة إلى الفكر اليهودي ثم المسيحي أن التوراة ذكرت ما يدل على شهرة مثل هذه القصة ففي سفر حزقيال « **فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب ـ الذي من جهة الشمال ـ وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز** » (حزقيال ٨: ١٤) ، وتموز هو الإله البابلي الذي قتل لأجل خلاص البشر ، ثم قام من بين الموتى .

موت الآلهة على الصليب :

ويصف الهنود أشكالًا متعددة لموت كرشنا أهمها أنه مات معلقًا بشجرة سُمر بها بحربة ، وتصوره كتبهم مصلوبًا وعلى رأسه إكليل من الذهب ، يقول المؤرخ توماس دوان: «إن تصور الخلاص من الخطيئة بواسطة معاناة إله متجسد يموت صلبـًا أو بطرق أخرى كان شائعـًا وعامـًا عند الوثنيين قبل زمن المسيح بقرون» (١) .

وكذلك اعتقد أهل النيبال بمعبودهم أندرا ، ويصورونه وقد سفك دمه بالصلب ، وثقب بالمسامير كي يخلص البشر من ذنوبهم كما وصف ذلك المؤرخ هيجين في كتابه : (الانكلوسكسنس) (٢) .

دماء الآلهة المسفوحة :

وليست مسألة المخلص فقط هي التي نقلها بولس عن الوثنيات ، فقد تحدث

---

(١) انظر : أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (١٨٣) .

(٢) انظر: المصدر السابق ، ص (١٨٧-١٨٨) .

أيضًا عن دم المسيح المسفوح فقال : « **يسوع الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه** » (رومية ٣: ٢٥) ، ويقول : « **ونحن الآن متبررون بدمه** » (رومية ٥ : ٩) ، « **أليست هي شركة دم المسيح** » (١ كورنثوس ١٠ : ١٦) .

ويقول : « **أنعم بها علينا في المحبوب الذي فيه لنا الفداء ، بدمه غفران الخطايا** » (أفسس ١ : ٧) .

وفي موضع آخر يتحدث عن ذبح المسيح : « **لأن فصحنا أيضًا المسيح قد ذبح لأجلنا** » (١ كورنثوس ٥ : ٧) ، ومثل هذه النصوص تكثر في رسائل بولس وغيرها من الرسائل .

لكن النصارى يتغافلون عن مسألة هامة هي أن المسيح لم يذبح ، فالأناجيل تتحدث عن موت المسيح صلبًا لا ذبحًا ، الموت صلبًا لا يريق الدماء ، ولم يرد في الأناجيل أن المسيح نزلت منه الدماء سوى ما قاله يوحنا ، وجعله بعد وفاة المسيح حيث قال : « **وأما يسوع فلما جاؤوا إليه لم يكسروا ساقيه ، لأنهم رأوه قد مات ، لكن واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء** » (يوحنا ١٩ : ٢٣-٢٤) . وهو ليس ذبحًا بكل حال .

يقول ولز : « إنه لزام علينا أن نتذكر أن الموت صلبًا لا يكاد يهرق من الدم أكثر مما يريقه الشنق ، فتصوير يسوع في صورة المراق دمه من أجل البشرية إنما هو في الحقيقة من أشد العبارات بُعدًا عن الدقة » .

ولكن هذه النظرة إلى الله ، بأنه لا يرضى إلا بأن يسيل الدم نظرة قديمة موجودة عند اليهود وعند الوثنيين قبلهم ، ففي التوراة تجد ذلك واضحًا في مثل قولها : « **بنى نوح مذبحًا لله .. وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا ، وقال**

الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضًا من أجل الإنسان » (تكوين ٨: ٢٠-٢١) .

ومثله في محبة المحرقة وذبائحها والتنسم برائحتها قول العهد القديم : « **وبنى داود هناك مذبحًا للرب ، وأصعد محرقات وذبائح سلامة ، ودعا الرب ، فأجابه بنار من السماء على مذبحة المحرقة** » (١ أخبار ٢١: ٢٦) .

وهكذا فإن التصور اليهودي للإله مشبع برائحة الدم يقول ارثر ويجال : « نحن لا نقدر أطول من ذلك قبول المبدأ اللاهوتي المفزع الذي من أجل بعض البواعث الغامضة وجوب تضحية استرضائية ، إن هذا انتهاك إما لتصوراتنا عن الله بأنه الكلي القدرة ، وإلا ما نتصوره عنه ككلي المحبة » .

ويرى المحققون أن ادعاء إهراق دم المسيح مأخوذ من الديانة المثرائية ؛ حيث كانوا يذبحون العجل ويأخذون دمه ، فيتلطخ به الآثم ، ليولد من جديد بعد أن سال عليه دم العجل الفدية [١] .

غرائب ترافق موت الآلهة :

وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثنية مشابهة .فقد ذكر متى أحداثًا غريبة عدة ، صاحبت موت المسيح حيث يقول : « **وفي الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض ، إلى الساعة التاسعة .. ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت، والقبور تفتحت ..** » (متى ٢٧: ٤٥-٥٣) .

وفي تبرير هذه الظلمة يقول كيرلس الأورشليمي: «أظلمت الشمس مرتعدة

---

(١) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص (٤٥) .

عندما رأت الرب مهانًا بهذا الشكل ، إذ لم تستطع أن تتحمل مثل هذا المنظر »[١].

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة ، فقد نقل العلامة التنير في كتابه الرائع (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) عن عدد من المؤرخين الغربيين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم .

من ذلك : أن الهنود يقولون : « لما مات (كرشنا) مخلصهم على الصليب ، حدثت في الكون مصائب جمة ، وعلامات متنوعة ، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء ، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار ، وأمطرت السماء نارًا ورمادًا .. » .

ويقول عباد بروسيوس : « إنه لما صلب على جبل قوقاس ، اهتزت الكائنات ، وزلزلت الأرض .. » ، والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته ، معروف عند الرومان واليونان [٢].

كما ينقل المؤرخ (فرار) في كتابه (حياة المسيح) ، والمؤرخ جيبون في تاريخه أن عددًا من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول : « لما قتل المخلص اسكولابيوس ، أظلمت الشمس ، واختبأت الطيور في أوكارها .. لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا » .

والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتز لكوتل وكيبير ينوس إله الرومان ، وعليه ، فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم ، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات .

وقد كان عباد الشمس يقدمون الضحايا لها ، خاصة عند حدوث الكسوف

---

(١) العظة الرابعة، كيرلس الأورشليمي (٤/ ١٠) .

(٢) انظر: أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى.

الشمسي ، فإذا زال الكسوف اعتقدوا أنه بسبب فداء أحد زعمائهم ، حيث خلصهم وحمل عنهم العذاب ، ومنه أخذ متى قوله : « **ومن الساعة السادسة ، كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة** » (متى ٢٧ : ٤٥) [1] .

قيام الآلهة من الأموات :

ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات ، فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت ، ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود ، حيث قالوا في كرشنا : « هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات » ، وكذا يقول عُبّاد بوذا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض « حتى إن مهاويو (الإله العظيم) حزن ونادى : قم أيها المحب المقدس فقام كام (أي : بوذا) حيًا ، وبُدلت الأحزان والأتراح بالأفراح ، وهاجت السماء ، ونادت فرِحة : عاد الإله الذي ظُن أنه مات وفُقد .. » ، ومثله يعتقده الصينيون في إلههم (لأوكيون) ، والمجوس في (زرادشت) .

ويقول عابدو (سكولابيوس) في القصيدة التي حكت عن حياته « أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهبُّ مَن في القبور .. وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافرًا وتصير إلهًا » ، وعن تموز يقول البابليون : « ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم ، واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات » .

ومثل هذا الاعتقاد ، سرى في كثير من الوثنيات قبل المسيحية ، فقد قيل بقيام أوزوريس ، وحورس ، ومتراس ، وباخوس ، وهرقل ، وكوتز لكوتل ، ويلدور ،

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (٤١-٤٣) ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص (١٦) .

وغيرهم ، فكل هؤلاء قال عُبّادهم بقيامتهم من الموت[1]، ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية ، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد . ويقول المؤرخ مهامي : « إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله »[2] .

قيامة وعودة الآلهة من الموت للحساب والجزاء :

يتحدث النصارى عن دينونة المسيح للبشر يقول يوحنا عن المسيح : « **وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن إنسان** » (يوحنا ٥ : ٢٧) .

وهو أيضًا معتقد وثني ، فقد تحدث المؤرخون عن قول المصريين بقيامة مخلصهم بعد الموت ، وأنه سيكون ديان الأموات يوم القيامة .

ويذكر هؤلاء في أساطيرهم أن أوزوريس حكم بالعدل ، فاحتال عليه أخوه وقتله ، ووزع أجزاء جسمه على محافظات مصر ، فذهبت أرملته أيزيس ، فجمعت أوصاله من هنا وهناك ، وهي تملأ الدنيا نحيبًا وبكاءً ، فانبعث نور إلى السماء ، والتحمت أوصال الجسد الميت ، وقام إلى السماء يمسك بميزان العدل والرحمة .

وكذلك اعتقد الهنود في معبودهم كرشنا أنه مخلص وفادي . يقول القس جورج كوكس : « يصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتًا ، لأنه قدم شخصه ذبيحة .. ويعتقدون أن عمله لا يقدر عليه أحد » .

ويقول المؤرخ توماس دوان : « يعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو ، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له ـ على رأيهم ـ تحرك حنوًا كي يخلص

---

(١) انظر : أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (١٠٥-١١٠) .

الأرض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه » ، ومثله يقوله العلامة هوك [1] .

(١) انظر : أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (١٨٤) ، والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (٢٩-٣٢) ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد (٢/ ٢٣٨-٢٣٩) .

ثالثًا : التشابه في فكرة الفادي بين الوثنيات القديمة والنصرانية :

وكذلك سرت في الوثنيات فكرة الفادي والمخلص الذي يفدي شعبه أو قومه ، وكانت الأمم البدائية تضحي بطفل محبوب ، لاسترضاء من تسميهم آلهة السماء ، وفي تطور لاحق أضحى الفداء بواسطة مجرم حكم عليه بالموت ، وعند البابليين كان الضحية يلبس أثوابًا ملكية ـ كتلك التي ألبسها الإنجيليون للمسيح في قصة الصلب ـ ، لكي يمثل بها ابن الملك ، ثم يجلد ويشنق .

وعند اليهود خصص يوم للكفارة يضع فيه كاهن اليهود يده على جدي حي ، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكب بنو إسرائيل من مظالم ، فإذا حمل الخطايا أطلقه في البرية.

وأما فكرة موت الإله فهي عقيدة وثنية حيث كان العقل اليوناني يحكم بموت بعض الآلهة ، فالفداء عن طريق أحد الآلهة أو ابن الله أيضًا موجودة في الوثنيات القديمة كما وقد ذكر السير آرثر فندلاي في كتابه (صخرة الحق) أسماء ستة عشر شخصًا اعتبرتهم الأمم آلهة سعوا في خلاص هذه الأمم . منهم : أوزوريس في مصر ١٧٠٠ ق.م ، وبعل في بابل ١٢٠٠ق.م ، وأنيس في فرجيا ١١٧٠ ق.م ، وناموس في سوريا ١١٦٠ ق.م ، وديوس فيوس في اليونان ١١٠٠ ق.م ، وكرشنا في الهند ١٠٠٠ ق.م ، وأندرا في التبت ٧٢٥ ق.م ، وبوذا في الصين ٥٦٠ ق.م ، وبرومثيوس في اليونان ٥٤٧ ق.م ، ومترا (متراس) في فارس ٤٠٠ ق.م [1] .

ولدى البحث والدراسة في معتقدات هذه الأمم الوثنية نجد تشابهًا كبيرًا مع ما يقوله النصارى في المسيح المخلص .

فأما بوذا المخلص عند الصينيين فلعله أكثر الصور تطابقًا مع تخلص النصارى،

---

(١) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص (٢١٩) .

ولعل مرد هذا التشابه إلى تأخره التاريخي ، فكان تطوير النصارى لذلك المعتقد ضئيلًا .

والبوذيون كما نقل المؤرخون يسمون بوذا المسيح المولود الوحيد ، ومخلص العالم ، ويقولون : إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت ، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم حتى لا يعاقبوا عليها .

وجاء في أحد الترنيمات البوذية عن بوذا : « عانيتَ الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم لجلب السعادة للناس ، وسامحتَ المسيئين إليك»[١].

ويذكر مكس مولر في كتابه (تاريخ الآداب السنسكريتية) فيقول : « البوذيون يزعمون أن بوذا قال : دعوا الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ ، كي يخلص العالم»[٢].

ويرى البوذيون أن الإنسان شرير بطبعه ، ولا حيلة في إصلاحه إلا بمخلص ومنقذ إلهي .

وكذلك فإن المصريين يعتبرون أوزوريس إلهًا ويقول المؤرخ بونويك في كتابه (عقيدة المصريين) : يعد المصريون أوزوريس أحد مخلصي الناس ، وأنه بسبب جهوده لعمل الصلاح يقاوم الشر، ويلاقي اضطهادًا ، ويقتل » [٣].

ويقول ارثر ويجال : « إن هذه العقيدة دخيلة من مصدر وثني ، وهي حقًا من آثار الوثنية في الإيمان » [٤] .

---

(١) انظر: أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (١٨٨) .

(٢) انظر: المصدر السابق ، ص (١٨٩) .

(٣) انظر: أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (١٩٠) .

(٤) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص (١١٨) ، العقائد الوثنية في الديانة =

نزول الآلهة إلى الجحيم من أجل تخليص الأموات من الجحيم :

وتشابهت العقائد النصرانية مع الوثنيات القديمة مرة أخرى عندما قالوا بأن المسيح نزل إلى الجحيم لإخراج الأرواح المعذبة فيها من العذاب: « **سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح ، أنه لم تترك نفسه في الهاوية ، ولا رأى جسده فسادًا** » (أعمال ٢ : ٣١) ، ويقول بطرس : « **ذهب ليكرز للأرواح التي في السجن** » (١ بطرس ٣ : ١٩) .

يقول القديس يوحنا فم الذهب ٣٤٧م : «لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر»[1]، ويقول القديس إكليمندس السكندري: «قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم كما بشر به وعلمه لأهل الأرض، كي يؤمنوا به ويخلصوا» وبمثله قال أوريجانوس وغيره من علماء النصارى.

وهذا المعتقد وثني قديم قال به عابدو كرشنا، فقالوا بنزوله إلى الجحيم لتخليص الأرواح التي في السجن، وقاله عابدو زرادشت وأدونيس وهرقل وعطارد وكوتز لكوتل وغيرهم[2].

ولما وصل النصارى إلى أمريكا الوسطى ، وجدوا فيها أديانًا شتى ، فخفّ القسس لدعوتهم للمسيحية ، فأدهشهم بعد دراستهم لهذه الأديان أن لها شعائر تشبه شعائر المسيحية ، وخاصة في مسائل الخطيئة والخلاص [3] .

النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (٣٣-٣٥) ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص (١٤٧) ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٧٠-٧١) .

(١) انظر: أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (٢١١) .

(٢) انظر: أساطير التوراة والإنجيل وما يماثلها من الديانات الأخرى ، ص (٢١٣) .

(٣) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (١٠٢) .

رابعًا : تشابهات أخر بين الوثنيات القديمة وأسفار العهد الجديد :

وثمة تشابهات أُخر بين الوثنيات وأسفار المسيحية ـ في غير الولادة والصلب والفداء ـ ، منها ما ذكره متى عن تجربة إبليس للمسيح أربعين يومًا ، « **فلم يأكل حتى جاع أخيرًا** » (متى ٤ : ١-١٢) ، وهو ما ينقل مثله عن بوذا في الصين وزرادشت عند المجوس وغيرهم من الآلهة المتجسدة عند الأمم الوثنية .

وقد جاء في كتاب (حياة بوذا الصيامية) لمونكيور كونري : « الكائن العظيم بوذا جرد نفسه في الزهد لدرجة عدم الأكل والتنفس أيضًا .. فأتى الأمير مارا (أي أمير الشياطين) وقصد تجربة بوذا .. » [١] .

وقد وصلت المعطيات المشتركة بين كرشنا والمسيح إلى ستة وأربعين تشابهًا ، وبين المسيح وبوذا إلى ثمانية وأربعين تشابهًا [٢] .

وقد أقر رجال الكنيسة بهذه الأمثلة للتشابه ، وكانوا يدعون أن أسفار الفيدا الهندية قد أخذت عن الأناجيل ، لكن العلماء المحققين أثبتوا أن هذه الأسفار موجودة قبل التوراة والأناجيل بمئات السنين ، وممن أكد ذلك لجنة الدراسات للآثار الهندية المكونة من علماء إنجليز وفرنسيين [٣] .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (٩٧-٩٨) ، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص (٤٣-٤٦) .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص (١٣١-١٤٠ ، ١٤٣-١٥٣) ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص (١١٦-١٢٨) ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص (١٣٧-١٣٩) .

(٣) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص (١٣٤) .

خامساً : تفسير النصارى لهذا التشابه الغريب بين الوثنيات والنصرانية:

فكيف يفسر النصارى هذا التطابق بين معتقداتهم والوثنيات القديمة والذي جعل من النصرانية نسخة معدلة عن هذه الأديان ؟

زعم الكثيرون أن هذه الأديان نقلت هذا الفكر عن النصرانية ، لكن ذلك اصطدم بكون هذه الديانات كانت قبل المسيحية بقرون طويلة ، والمخطوطات والأحافير التي سجلت عقائدها كانت أقدم من ظهور المسيحية وأناجيلها .

لذا كان لا بد من الاعتراف بانتحال كتاب العهد الجديد لأساطير الوثنيات السابقة أو الهروب إلى عالم الأسرار والظلام ، حيث يختفي دليل العقل وتسيطر الخرافة ، ومنه قول الأب جيمس تد المحاضر في جامعة (اكسفورد) عن هذا التشابه: « سر لاهوتي فوق عقول البشر ، وليس من الممكن تفسيره حسب تفسير وتصور هؤلاء البشر » [1] .

صدق الله إذ يقول عن النصارى : ﴿ **ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ** ﴾ [التوبة : ٣٠] ، وقد نهاهم الله عن مشابهة المشركين فقال : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ [المائدة : ٧٧] .



(١) حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص (٤١) .

مخطوطات العهد الجديد

وصلت أسفار العهد الجديد إلينا عبر آلاف المخطوطات التي يفتخر النصارى بكثرتها ، ويرون في هذه الكثرة دليلًا ساطعًا على حفظ كلمة الله التي سجلها تلاميذ المسيح عليه السلام .

ولندرك أهمية كثرة هذه المخطوطات عند النصارى وتاريخ كتابتها ننقل ما يقوله القس سويجارت في مناظرته الشهيرة للعلامة ديدات : « يوجد ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوط يدوي قديم من كلمة الرب من العهد الجديد .. وأقدمها يرجع إلى ثلاثمائة وخمسين عامًا بعد الميلاد ، والنسخة الأصلية أو المنظورة ، أو المخطوط الأول لكلمة الرب لا وجود لها .. » .

ولو فصلنا أكثر في ذكر ما وصل إلينا من مخطوطات العهد الجديد ، فإنا نقول : إنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ مخطوطات البردي ، والكتابة على ورق البردي ، وكانت تستخدم في القرن الثاني والثالث الميلادي . وقد وصل إلينا عن طريقها قطعتان فقط من العهد الجديد .

الأولى : تضم جملتين من إنجيل يوحنا ١٨ : ٣١ ، ١٨ : ٣٧-٣٨ ، وقد كتبتا في القرن الثاني وهي محفوظة في مانشستر .

والثانية : وتضم مقطعين من إنجيل متى ١ : ١-٩ ، ١٢ : ١٤-٢٠ . كما يوجد بعض مخطوطات البردي والتي تحوي نصوصًا إنجيلية صغيرة ، وتعود للقرون اللاحقة .

ب ـ مخطوطات إغريقية مكتوبة على رقوق الحيوانات ، ولم تعرف هذه

الطريقة في الكتابة إلا في القرن الميلادي الرابع ، ويوجد منها عدد كبير من المخطوطات أهمها السينائية والفاتيكانية والسكندرية، وهي مخطوطات كتبت على جلود الحيوانات في القرن الرابع الميلادي على أقل تقدير ، وقد سبق لنا التعريف بها في حديثنا عن العهد القديم ، لذا نكتفي هنا بذكر بعض ما يتعلق بالعهد الجديد في هذه المخطوطات .

١- المخطوطة الفاتيكانية : جاء في مقدمة العهد الجديد للكاثوليك : « وأقدم كتب الخط التي تحتوي على معظم العهد الجديد أو نصه الكامل كتابان مقدسان يعودان إلى القرن الرابع ، وأجلّهما المجلد الفاتيكاني .. وهذا الكتاب الخط مجهول المصدر ، وقد أصيب بأضرار لسوء الحظ ، ولكنه يحتوي على العهد الجديد ما عدا الرسالة إلى العبرانيين (٩: ١٤-١٣: ٢٥) والرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس ، والرسالة إلى فليمون ، والرؤيا »[١] .

وقد أضاف ناسخ مجهول في القرن الخامس عشر الميلادي هذه الرسائل إليها .

٢- المخطوطة السينائية : ويقول عنها الآباء اليسوعيون : « والعهد الجديد كامل في الكتاب الخط الذي يقال له المجلد السينائي .. لا بل أضيف إلى العهد الجديد الرسالة إلى برنابا وجزء من (الراعي) لهرماس ، وهما مؤلفان لم يحفظا في قانون العهد الجديد في صيغته الأخيرة »[٢] .

٣- المخطوطة الإسكندرانية : وتحوي العهد الجديد مع النقص الواضح فيه ، ومن النقص الموجود فيها من أول متى ـ ٢٥: ٦ ، وأيضًا في يوحنا من ٦: ٥١-٨: ٥٢.

(١) مقدمة الرهبانية اليسوعية، ص (١٢)، وانظر: دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٢٨٦).

(٢) مقدمة العهد الجديد في الرهبانية اليسوعية، ص (١٢)، وانظر: دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٢٨٦).

وتضم أيضًا رسالتي إكليمندس الروماني اللتين لم تضما إلى العهد الجديد ، كما فيه أشياء أخرى لم تدخل في الكتاب المقدس .

٤- المخطوطة الإفرايمية : وتحوي هذه النسخة العهد الجديد فقط ، وهي محفوظة في باريس في المكتبة الوطنية ، ويرى المحققون أنها كتبت في القرن السادس أو السابع ، وقال بعضهم : بل في القرن الخامس .

٥- مخطوطة بيزا : وتنسب لمكتشفها تيودور بيزا عام (١٥٨١م)، وهي هي باللغتين اليونانية واللاتينية، وتعود للقرن الخامس ، وتحوي الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل ، وهي محفوظة في جامعة كمبرج ، وتخلو من كثير من النصوص مثل مقدمة يوحنا . وقد تحرر ناسخها من المخطوطات القديمة التي ينقل عنها أيما تحرر ، فمثلاً، قام بكتابة نسب المسيح كما أورده متى ، ثم لما نسخ إنجيل لوقا ولاحظ الفوارق الكبيرة بين قائمتي لوقا ومتى ، أعاد قائمة متى في إنجيل لوقا ، ولما كانت قائمة متى ناقصة لكثير من الأسماء أضاف الناسخ أسماء إضافية من عنده .

٦- المخطوطة البازلية : ويفترض تدوينها في القرن الثامن ، وهي محفوظة بجامعة بازل بسويسرا ، وتضم الأناجيل الأربعة بنقص كبير [١] .

---

(١) انظر : **برهان جديد يتطلب قرارًا، جوش ماكدويل، ص (٨٢-٨٤)**، والمدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص (١١٧-١٢٦)، ودائرة المعارف الكتابية (٢/ ٢٨٦-٢٨٧).

اختلاف مخطوطات العهد الجديد :

نلحظ أولًا أن هذه النسخ جميعًا ليست من خط كاتبها أو ليس منها شيء كتب في وجوده ، بل إن أولها كتب بعد وفاة كُتاب الأناجيل بما لا يقل عن قرنين من الزمان.

ولا يستطيع النصارى أن يثبتوا سندًا لهذه المخطوطات إلى كتبتها ، واعترف بذلك القسيس فرنج في مناظرته للعلامة الهندي ، فقال معتذرًا : « إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة » ، ويعتبره رحمة الله الهندي تفسيرًا مقبولًا لا يقيلهم من إحضار سند هذه الكتب، فمثل هذه المسائل لا تقبل من طريق الظن والتخمين [١] .

وهذه المخطوطات وغيرها التي يتحدث النصارى عن كثرتها لا يتفق منها مخطوطان ، فقد تعرضت جميعها للزيادة والنقصان حسب أهواء النساخ ، وهو ما يعترف به النصارى ومنهم سويجارت الذي يحاول التقليل من أهمية هذه الاختلافات فيقول : « المبادئ العلمية تخبرنا أنه فيما يختص بكتب العهود القديمة إذا توفر لدينا عشر نسخ منها ، فإننا لا نحتاج بالضرورة إلى الأصل لنضمن تحققنا من النسخة الأصلية ، وعندما نفكر أن لدينا أربعة وعشرين ألف نسخة ، وأن بعض الاختلافات موجودة فيما بين هذه النسخ ، وهذا ما نعترف به ، فالمهم أن جوهر النص لم يتغير » .

لكن الدكتور روبرت في كتابه (حقيقة الكتاب المقدس) يرد ذلك ويخالفه ، وكان روبرت قد أعد لمطبعة (تسفنجلي) مذكرة علمية تطبع مع الكتاب المقدس ، ثم منع من طبعها ، ولما سئل عن السبب في منعها قال : « إن هذه المذكرة ستفقد

---

(١) انظر : المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والمنصر بافندر ، ص (٣٧٢) .

الشعب إيمانه بهذا الكتاب » .

يقول د . روبرت : « لا يوجد كتاب على الإطلاق به من التغييرات والأخطاء والتحريفات مثل ما في الكتاب المقدس » ، وينقل روبرت أن آباء الكنيسة يعترفون بوقوع التحريف عن عمد ، وأن الخلاف بينهم محصور فيمن قام بهذا التحريف .

ويقول كينرايم : إن علماء الدين اليوم على اتفاق واحد يقضي بأن الكتاب المقدس وصل إلينا منه أجزاء ضئيلة جدًا فقط هي التي لم يتم تحريفها .

ويقول الدكتور روبرت : « لن يدعي أحدًا أبدًا : أن الله هو مؤلف كل أجزاء هذا الكتاب قد أوحى إلى الكتبة هذه التحريفات » (١) .

يقول موريس نورن في (دائرة المعارف البريطانية) : « إن أقدم نسخة من الأناجيل الرسمية الحالية كتب في القرن الخامس بعد المسيح ، أما الزمان الممتد بين الحواريين والقرن الخامس فلم يخلف لنا نسخة من هذه الأناجيل الأربعة الرسمية ، وفضلًا عن استحداثها وقرب عهد وجودها منا ، فقد حرفت هي نفسها تحريفًا ذا بال، خصوصًا منها إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا » .

وعن إنجيل مرقس ، يتحدث مفسره دنيس نينهام في تفسيره لإنجيل مرقس ، فيقول : « لقد وقعت تغييرات تعذر اجتنابها ، وهذه حدثت بقصد أو بدون قصد ، ومن بين مئات المخطوطات لإنجيل مرقس ، والتي لا تزال باقية حتى اليوم لا نجد نسختان تتفقان تمامًا » (٢) .

---

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٤-٩٥) ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٤٢-٥٤٣) .

(٢) **Saint Mark. D.E.Nineham. pp 11**

=

ويقول : « ليس لدينا أي مخطوطات يدوية يمكن مطابقتها مع الآخرين » ، ويستعين بما ذكره القس شورر عن مخطوطات الأناجيل ، وأن بها ٥٠٠٠٠ اختلاف ، فيما قال كريسباخ بأنها ١٥٠٠٠٠ اختلاف ، وتؤكد ذلك دائرة المعارف البريطانية بقولها : « إن مقتبسات آباء الكنيسة من العهد الجديد والتي تغطي كله تقريبًا تظهر أكثر من مائة وخمسين ألف من الاختلافات بين النصوص » .

وممن اعترف بكثرة هذه الاختلافات العالم جون ميل من جامعة أكسفورد، وذكر بأنها ثلاثون ألفـًا من الاختلافات التي أثبتها في هوامش النسخة التي أصدرها عام ١٧٠٧م بعد ثلاثين سنة من الدراسة المعمقة في مائة مخطوط يوناني فقط، ولاشك أن العدد سيتضاعف فيما لو زاد في عينة الدراسة مخطوطات أخرى؛ إذ ستفرز قراءات أخرى تزيد على رقم الثلاثين ألفـًا الذي وافقه عليه القس باركر البروتستانتي، وأوصل هذه الاختلافات يوهان ياكوب فتستاين (ت ١٧٤٧م) إلى أزيد من ألف ألف[١].

ويقول شميت : « لا توجد صفحة واحدة من الأناجيل العديدة التي لا تحتوي نصها الأقدم على اختلافات عديدة » .

ويحاول النصارى تبرير هذه الاختلافات الكثيرة بين المخطوطات فيقول دكتور سمعان كهلون في كتابه (مرشد الطالبين) : « لا تعجب من وجود اختلافات في نسخ الكتب المقدسة ، لأن قبل ظهور صناعة الطبع في القرن الخامس عشر من

انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٥٥) .

(١) انظر : الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (١١٠-١١١، ١١٥، ١١٧) .

الميلاد كانت تنسخ بالخط ، فكان بعض النساخ جاهلًا وبعضهم غافلًا وساهيًا » [1] .

والجهل والغفلة ليسا كل شيء، بل هناك تعمد للتحريف شكا من العالم أوريجانوس بقوله: «إن الاختلافات بين المخطوطات قد أصبحت كبيرة، إما بسبب إهمال بعض النساخ أو بسبب التهور الجامح لآخرين، فإما أن يهملوا تدقيق ما نقلوه، أو في أثناء عملية التدقيق يقومون بإضافة أو حذف كما يرغبون» [2].

وهذا الكلام صحيح ، لكنه يمثل نصف الحقيقة فحسب ، إذ هو يغفل وقوع التحريف المتعمد من قبل النساخ ، وهو ما أقر به الآباء اليسوعيون في مقدمتهم للعهد الجديد ، فقد جاء فيه : « إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة . بل يمكن المرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية .. هناك فوارق أخرى بين الكتب الخط تتناول معنى فقرات برمتها واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير .

فإن نص العهد الجديد قد نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت ، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء .. يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحيانًا عن حسن نية أن يصوبوا ما جاء في مثالهم ، وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلة دقة في التعبير اللاهوتي ، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ .

ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدى أحيانًا إلى إدخال زخارف غايتها تجميل الطقس أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت على التلاوة بصوت عال .

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مرِّ القرون تراكم بعضه على

---

(١) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، سمعان كهلون ومجموعة من اللاهوتيين ، ص (١١).

(٢) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٧١) .

بعضه الآخر ، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مُثقلًا بمختلف ألوان التبديل .. والمثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحص هذه الوثائق المختلفة ، لكي يقيم نصًا يكون أقرب ما يمكن من الأصل الأول ، ولا يمكن في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه » [١].

ويؤكد هذا كله فردريك كلفتن جرانت أستاذ الدراسات اللاهوتية في الكتاب المقدس بمعهد اللاهوت الاتحادي بنيويورك في كتابه (الأناجيل أصلها وتطورها) بقوله : «كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدي مجهدة لكتبة كثيرين ، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافًا كبيرًا ، ولا يمكننا الاعتماد بأن أيًا منها قد نجا من الخطأ .. إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على يد المصححين الذين لم يكن عملهم دائمًا إعادة القراءة الصحيحة » [٢].

ولو شئنا التمثيل لبعض أهم المخطوطات الكتابية والحرية التي اعتادها الناسخ، والتي خولته الزيادة في النص لتحدثنا عن مخطوطة بيزا التي تعود للقرن الخامس، ففيها من الإضافات ما لا يوجد في غيره، فعلى سبيل المثال يبلغ سفر أعمال الرسل فيها ١١ : ١٠من السفر المعروف، أي فيها زيادات توازي العُشر، ونقرأ مثلاً فيها في سفر لوقا ٦ : «في ذلك اليوم رأى يسوع إنسانًا يعمل في السبت، فقال له: يا إنسان، إن كنت تعرف ما أنت صانع

---

(١) مقدمة العهد الجديد للرهبانية اليسوعية، ص (١٢-١٣).

(٢) **THE GOSPELS, Their Origin and Their Growth. F.C.Grant pp 32**

وانظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٤ – ٩٥) ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣) ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٤١) .

فطوبى لك، وإن لم تكن تعلم فأنت ملعون وكاسر للناموس»، وهي عبارة يصفها القس الدكتور فهيم عزيز بأنها: «حادثة جديدة، لا توجد في أي مكان آخر»، فهذه المخطوطة المهمة «فيها من الإضافات والحذف ما يتعدى الكلمات إلى الجمل والحوادث أيضًا».

وفي إنجيل متى تزيد هذه المخطوطة ومخطوطات أخرى عبارة: «اطلبوا أن تزدادوا من كل ما هو صغير، وأن تنقصوا من كل ما هو عظيم، إذ دخلتم بيتًا ودعيتم للغذاء فلا تجلسوا في الأماكن الأولى ....»[1].

ومن طرائف التحريف ما صنعه نساخ المخطوطة الفاتيكانية، فقد كتب الكاتب الأصلي لرسالة العبرانيين في وصف المسيح: « وحامل (PHERON) كل الأشياء بكلمة قدرته» (عبرانيين ١: ٣)، فلم يعجب المعنى أحد النساخ، وظنه خطأً، فعمد إلى إصلاحه بالبحث عن أقرب الكلمات إلى هجاء (PHERON)، فقام بتغييرها لتصبح (يظهر (PHANERON) كل الأشياء بكلمة قدرته)، ثم تنبه ناسخ آخر للتغيير ، فعمد إلى مسح (PHANERON)، وإعادتها إلى (PHERON)، ثم اعادها ناسخ آخر إلى الصورة الماضية، فسئم أحد النساخ من هذا التغيير المتكرر، فكتب تنبيهًا في حاشيتها: «غبي ومخادع، دع الكتابة القديمة وشأنها ، لا تغيرها!»[2].

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، ص (١١٤، ١٢٥).

(٢) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٧٦).

أهم المشكلات النقدية في العهد الجديد:

تتبع الاختلاف بين آلاف المخطوطات قاد العلماء في القرن التاسع عشر إلى اكتشاف وجود ثلاثة أو أربعة أنواع من النصوص، فالمخطوطات بجملتها تنتمي كل واحدة منها إلى واحد من هذه العوائل[1] :

١. النص البيزنطي أو المتداول أو التقليدي ، وشاع في أنطاكيا والقسطنطينية وآسيا الوسطى، وإليه تنتمي معظم المخطوطات الإنجيلية، والتي تعود في الغالب إلى القرن التاسع وما بعده ، ومن أهم مخطوطاته : المخطوط السكندري والأفرايمي وواشنطن، ويعودون للقرن الخامس الميلادي، وهو النص الذي اعتمد عليه إرازموس في أول طبعة للكتاب المقدس، وشاع بعد ذلك، وتنتمي إليه أشهر النسخ العالمية ، ومنها (الملك جيمس الإنجليزية، والفانديك العربية).

وهذا النص عند النقاد: «قيمته ضعيفة من جهة النقد»[2]، وذلك لتأخر مخطوطاته.

٢. النص السكندري أو المصري أو المحايد، ونجده في أقدم البرديات التي تعود إلى القرنين الثالث والرابع (p^{66}، p^{46}، p^{75})، وكذلك في أهم وأقدم المخطوطات اليونانية: (الفاتيكانية والسينائية)، ولكونه أقدم النصوص الإنجيلية «يكاد يجمع أهل الاختصاص كلهم على أن لهذا النص قيمة عظيمة من جهة الدقة»[3]،

---

(١) انظر : دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٢٩٦)، ومقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٥).

(٢) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٤).

(٣) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٤)، وانظر : دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٢٩٦).

ورغم أنه الأقل عددًا من حيث عدد مخطوطاته فقد اكتسب أهمية بالغة بعد ظهور الطبعات النقدية للكتاب التي أولته عناية كبيرة بسبب أقدمية مخطوطاته، وكونه الأقرب إلى النص الأصلي.

٣. النص الغربي، وسمي كذلك لشيوع مخطوطاته في الغرب وفي كتابات الآباء، ومن أهم مخطوطاته مخطوطة بيزا، وكتبت في القرن الخامس أو السادس، وكذلك المخطوطة الكلاروموتانوسية التي تعود للقرن السادس، ويعتقد بعض العلماء أن «هذا النص هو الصيغة الأقدم والأعم للعهد الجديد في كثير من الأمور .... قراءاته القديمة، ولا سيما القصيرة منها، هي على العموم جديرة بأن تعد ذات قيمة»[1].

واليوم وبعد اكتشاف أهم المخطوطات واتساع معارف العلماء النقديين واستقرار قواعد النقد النصي تراجعت أهمية النسخ التقليدية وترجماتها المختلفة (الملك جيمس، الفانديك)، وبدأ بالظهور نجم النسخ النقدية اليونانية التي تصدرها جمعيات الكتاب المقدس بالتعاون مع العلماء النقديين، ومن أوائل هذه النسخ ما أصدره العالم قسطنطين تشندروف عام ١٨٧٢م ، ثم نسخة (ويستكوت- هورت) التي أنجزها العالمان بروك ويستكوت وفنتون هورت عام ١٨٨١م، ثم صدرت نسخة (NA) التي أشرف على تحريرها العالمان إبرهارد نستله ثم كورت ألاند، فسميت باسمهما، وقد صدر عام ٢٠١٢م إصدارها الثامن والعشرين، ويرمز له (NA28)، وكذلك النسخة النقدية الأخرى (UBS) التي أخرجت ٢٠١٤م إصدارها الخامس (UBS5).

لن تكون هذه الإصدارات آخر ما سيصدره العلماء ، فالنص المنشور للعهد

(١) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٤).

الجديد ليس نهائيًا ، بل هو رهين اكتشاف المزيد من المخطوطات ، تقول مقدمة العهد الجديد للرهبانية اليسوعية : « وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصًا مثبتًا إثباتًا حسنًا ، وما من داع إلى إعادة النظر فيه إلا إذا عثر على وثائق جديدة »[1] . إنه عهد جديد مؤقت حتى إشعار آخر .

وقد أنتج خلاف مخطوطات العهد الجديد مشكلات نقدية يقدر العلماء عددها بـ ١٤٣٨ مشكلة يتصارع العلماء حولها في محاولتهم للوصول إلى النص الذي كتبه المؤلف الأصلي، وتاهت عنه أعين النساخ بقصد وبدون قصد، وهذه المشكلات ليست على درجة واحدة من الأهمية، لكنها جميعًا تطرح مشكلة ضياع النص الأصلي، ولربما إلى غير رجعة، فكل ما يقترح العلماء من حلول؛ ما هي إلا محاولات اجتهادية تحتمل الصحة والخطأ، وتبقي الكتاب المقدس في أفضل صوره تحت ظلال هذه الاحتمالية البئيسة.

وسنعرض في هذه العجالة لبعض المشكلات النقدية بصورة مقتضبة، فليس الهدف تحقيق تلك المشكلات ولا استقصاؤها، فهذا محله كتب النقد النصي، وإنما نهدف هنا إلى إطلاع القارئ على نماذج من اختلاف النسخ المطبوعة والمتداولة بين أيدي النصارى العرب وغيرهم، وأن هذا الاختلاف حذفًا وإضافة وتبديلاً سببه اختلاف المخطوطات التي سنعرض لموقف أهمها من النصوص التي سنتناولها.

* ولعل أهم أمثلة التحريف قاطبة ما جاء في رسالة يوحنا الأولى « **فإن الذين يشهدون (في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض) هم ثلاثة الروح والماء والدم ، والثلاثة هم في**

---

(١) مقدمة العهد الجديد في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (١٥).

الواحد» (١ يوحنا ٥: ٧ ـ ٨) ، والفقرة الأولى التي تتحدث عن شهود السماء غير موجودة في جميع النسخ اليونانية القديمة، كما أنها غير موجودة في مداولات جلسات مجمع نيقية ٣٢٥م.

ولا يخفى أن إضافة هذا النص كان ضروريًا لتثبيت عقيدة التثليث التي تفتقر لمثل هذا الدليل القوي في دلالته ، فهو النص الكتابي الوحيد الذي يجعل الآب والابن والروح القدس واحدًا.

وقد اعترف محققو النصرانية بإلحاقية هذا النص ، كتب أبو الفيزياء إسحاق نيوتن رسالة بلغت خمسين صفحة أثبت فيها تحريف هذه العبارة التي بقيت في سائر الطبعات والتراجم بلغات العالم المختلفة إلى أواسط هذا القرن .

وكانت بعض الطبعات العربية القديمة قد وضع هذا النص بين هلالين لتدل على عدم وجوده في المخطوطات القديمة كما في ترجمة الشرق الأوسط ١٩٣٣م ، ومثلها صنعت طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

وننبه هنا إلى أن النص محذوف في معظم الطبعات الجديدة للكتاب المقدس ، منها طبعة العالم الجديد والرهبانية اليسوعية الكاثوليكية في مختلف اللغات العالمية والعربية منها ، وكذلك الترجمة العربية المشتركة ، فإن هذه الترجمات حذفت هذا النص المهم ، واعتبرته ـ على أهميته اللاهوتية ـ نصًا دخيلًا ملحقًا بالكتاب المقدس .

يبرر محققو الترجمة العربية المشتركة حذفهم للنص بقولهم : « هذه الإضافة وردت في بعض المخطوطات اللاتينية القديمة»[١] ، أي : أنها من إضافة بعض المترجمين الذين ترجموا الكتاب من اليونانية إلى اللاتينية.

(١) حاشية الترجمة العربية المشتركة (٣/ ٣٧٥).

وأما الآباء اليسوعيون فيقولون: «ومن الأكيد أنها غير مثبتة .. لم يرد هذا النص في المخطوطات فيما قبل القرن الخامس عشر، ولا في الترجمات القديمة، ولا في أحسن أصول الترجمة اللاتينية، والراجح أنه ليس سوى تعليق كُتب في الهامش، ثم أقحم في النص أثناء تناقله في الغرب»(1).

وتقول دائرة المعارف الكتابية: «وقد حدثت أحياناً بعض الإضافات لتدعيم فكر لاهوتي، كما حدث في إضافة عبارة «**والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة**» (١يو٥: ٧) حيث إن هذه العبارة لا توجد في أي مخطوطة يونانية ترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر، ولعل هذه العبارة جاءت أصلاً في تعليق هامشي في مخطوطة لاتينية، وليس كإضافة مقصودة إلى نص الكتاب المقدس ، ثم أدخلها أحد النسَّاخ في صلب النص »(2).

* ومن النصوص المهمة أيضًا التي تعرضت للتحريف، خاتمة مرقس (١٦: ٩-٢٠) ، التي شغلت الباحثين، فإن الخاتمة المسطورة لهذا الإنجيل غير موجودة في المخطوطات القديمة المهمة كالمخطوطة الفاتيكانية والمخطوطة السينائية (3).

ويقول وليم باركلي : «هناك حقيقة مثيرة في إنجيل مرقس، وهي أنه يتوقف في نسخه الأصلية إلى حد (١٦ : ٨)، وأما الأعداد الباقية (١٦ : ٩-٢٠) فليست موجودة في أقدم النسخ وأصحها .. كما أنه أسلوبها اللغوي يختلف عن بقية الإنجيل حتى يستحيل أن يكون كاتبها هو نفس كاتب الإنجيل .. ويلوح أن أحدهم قد لخص عمل

---

(١) مقدمة رسائل يوحنا في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٧٦٤).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٢٩٥).

(٣) انظر : الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٨٩).

الكنيسة وحياتها، ووضع هذا الملخص ، ليكون بديلاً عن تلك النهاية المشهورة» [١].

ونقل رحمة الله الهندي عن القديس جيروم في القرن الخامس أنه ذكر بأن الآباء الأوائل كانوا يشكون في هذه الخاتمة .

أما مقدمة الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية فتقول: « من المسلم به على العموم أن الخاتمة كما هي الآن (١٦: ٩-٢٠) قد أضيفت لتخفيف ما في نهاية الكتاب من توقف فجائي في الآية ٨ » [٢].

وعن الخاتمة الموجودة يقول الأب كسينجر : « لابد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي (النشر للعامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنته .

وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا ، تم توليف خاتمة محترمة لمرقس بالعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين .. وذلك يسمح بتكوين فكرة عن الحرية التي كانوا يعالجون بها الأناجيل » .

وثمة شهادات قديمة تشير إلى من قام بكتابة هذه الخاتمة، يقول الأب متى المسكين: «أثبتت أبحاث العلماء المدققين أن الخاتمة فقدت من الإنجيل، وقد أعيد كتابتها بواسطة أحد التلاميذ السبعين المسمى بأريستون [بناء على مخطوطة أرمنية قديمة]، وهذه الآيات الإثني عشر جمعها أريستون من إنجيل ق يوحنا وإنجيل ق

(١) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٤٦٧، ٦٦٢)، وانظر: ألغاز الإنجيل، فراس السواح، ص (٣٢٠).

(٢) مقدمة إنجيل مرقص في الرهبانية اليسوعية، ص (١٢٤).

لوقا»[1]، وقد أهمل المسكين تفسير تلك الفقرات التي يراها إضافة لاحقة غير أصيلة في الإنجيل.

هذا وقد أضافت المخطوطات المختلفة خواتيم ستة مختلفة للخاتمة المفقودة، ونذكر هنا واحدة منها ، وهي الخاتمة التي أوردتها مخطوطة واشنطن وبعض أخواتها ، فقد احتوين خاتمة مرقسية تقول بأن المسيح وبخ التلاميذ: «فبدأوا يبرئون أنفسهم، قائلين: إن دهر العصيان وعدم الإيمان هذا؛ هو تحت سلطان الشيطان الذي لا يسمح لحق الله وقوته، أن يتغلب على أمور الأرواح النجسة، لذلك اكشف عن برك الآن. حينئذ التفتوا إلى المسيح، فقال لهم: زمن الشيطان قد كمل، ولكن أمورًا مرعبة تقترب الآن، ومن اخطأ أُسلِم للموت حتى يرجعوا للحق، ولا يخطئون مرة أخرى، ويرثون مجد البر الروحي الغير زائل الموجود في السماء»[2].

* ومن المشكلات النقدية المهمة التي تواجه إنجيل يوحنا أن أيدي المحرفين نالت هذا الإنجيل ، فأضافت فيه رواية المرأة الزانية (انظر يوحنا ٨: ١-١١) والتي يقول عنها مدخل الرهبانية اليسوعية إلى هذا الإنجيل : « هناك إجماع على أنها من مرجع مجهول فأدخلت في زمن لاحق » [3].

والمسؤول عن إقحامها في النص هم نساخ المخطوطات، يقول بارت إيرمان: «لقد أضيفت لاحقًا من قبل النساخ .. إن الباحثين الذين يعملون على المخطوطات ليس لديهم شك في هذه الحالة بالذات.. إن القصة غير موجودة في [أي] واحدة من أقدم وأفضل المخطوطات لإنجيل يوحنا، وأسلوب كتابتها مختلف تمامًا عما نجده

(١) شرح إنجيل مرقس، متى المسكين، ص (٦٢٢)، دائرة المعارف الكتابية (١/ ٤٦٠).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهيم عزيز، ص (١٢٦).

(٣) انظر : مقدمة إنجيل يوحنا في الرهبانية اليسوعية، ص (٢٨٦).

في باقي إنجيل يوحنا .. وبالتالي فإن الاستنتاج لا مفر منه؛ أن هذا المقطع ليس جزءًا أصليًا من الإنجيل»[1].

وينقل الأب بولس الفغالي عن «النقاد عامة بأن مقطوعة المرأة الزانية هي زيادة جاءت فيما بعد، فهي غير موجودة في أقدم المخطوطات اليونانية، وأكثر الترجمات القديمة»[2]، ولأجل ذلك فإن كافة الطبعات النقدية للكتاب تجمع على حذفها.

* وتواجه إنجيل يوحنا مشكلة نقدية أخرى تتعلق بالأصحاح الأخير منه، حيث يعتقد المحققون يعتقدون بأنه ليس من تأليف مؤلف الإنجيل ، يقول كرونيس : « إن هذا الإنجيل كان عشرين بابًا فألحقت كنيسة أفسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا » [3] .

يقول بولس الفغالي: «وتختلف الآراء حول الفصل ٢١، نندهش حين نقرأ «ابني زبدي»، ولكن يبدو أن هذه القطعة؛ وإن كانت ألحقت بالأناجيل، إلا أنها تتلون بلون يوحناوي، ثم إن الآية الأخيرة (٢١: ٢٥) وما يسبقها يعود إلى مجموعة التلاميذ .. إن الجماعة التي استلمت الكتاب؛ رأت فيه شهادة التلميذ الحبيب بما فيها من استمرارية وآنية»[4].

وهذا ما يعترف به الآباء اليسوعيون، إذ اعتبروا الأصحاح العشرين خاتمة للإنجيل ، واعتبروا الأصحاح الأخير ملحقًا بالإنجيل ، وعنه تقول : « يظهر هذا

(١) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٨٦).

(٢) إزائية الأناجيل الأربعة، بولس الفغالي وآخرون، ص (٦٤٨)، وانظر : دائرة المعارف الكتابية (٢/ ٤٤)، والاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٦٦، ٨٧).

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/ ١٥٦) .

(٤) إزائية الأناجيل الأربعة، بولس الفغالي وآخرون، ص (٦٤٨)، وانظر: مقدمة الإنجيل في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٢٨٦).

الفصل الأخير ، الوارد بعد خاتمة ٢٠: ٣٠-٣١ بمظهر الملحق ، ولا تزال مسألة مصدره موضوع نقاش .. وقد يكون هذا الفصل تكملة أضافها بعض تلاميذ يوحنا»[1].

وكذلك يقول البابا تواضروس الثاني: «إنجيل يوحنا بدون المقدمة يبدو كتابـًا يهوديـًا، ولكن بإضافة المقدمة يتضح أنه يتناسب مع العالم اليوناني، لذلك فمن المحتمل أن المقدمة أضيفت على العمل الأصلي بعد ذلك، لجذب مزيد من القراء، كذلك الأصحاح الأخير (٢١) ربما أضيف بعد انتهاء الكتابة، كما يتضح من الآيات الأخيرة في (يو ٢٠: ٣٠-٣١) »[2].

وقد جاء في آخر فقرات يوحنا: « **هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن شهادته حق** » (يوحنا ٢١: ٢٤) فقوله « **نعلم أن شهادته حق** » من زيادة النساخ ، وقد اعترف بذلك طابعو الرهبانية اليسوعية ، إذ تعلق عليه بقولها : « إن الجماعة التي دونت هذا الإنجيل ترى فيه شهادة دائمة وموافقة للحاضر أتى بها التلميذ الحبيب » [3].

وقد ألجأ تحريف النساخ طابعي الكتاب المقدس باللغات العالمية إلى استحداث وسائل أو نظام جديد في إثبات النص في طبعاتهم ، منها أنهم تعمدوا وضع إضافات للنص المطبوع ، وجعلت هذه الإضافات في أقواس للدلالة على عدم وجودها في أقدم المخطوطات المعتمدة ، أو للإيهام أنها إضافات تفسيرية .

---

(١) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٥٩).

(٢) مفتاح العهد الجديد، البابا تواضروس الثاني (١/ ١٦٧).

(٣) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٦١).

بينما في طبعات أخرى تختفي الأقواس ، ويصبح ما بين الأقواس جزء من النص المقدس ، وفي طبعات أخرى تم حذف الأقواس وما بينها ، ليتحقق قول علماء النقد النصي بأنه من المحال الوصول إلى النص الأصلي[1].

* والمتأمل في النصوص الإنجيلية لن يجد كبير صعوبة في رؤية بعض ما أضافه النساخ في النص عن عمد ، ومنه ما نسبوه إلى المسيح في سياق جوابه على التلميذين يوحنا ويعقوب حين اقترحا عليه أن ينزلا نارا من السماء فتفني السامريين ، فالتفت إليهما وانتهرهما ، وهنا يضيف نساخ المخطوطات العبارة التالية التي نقرأها في نسخة الفانديك التي تتبع النص التقليدي: «**وقال : لستما تعلمان، من أي روح أنتما**» (لوقا ٩: ٥٥) ، يقول الأب متى المسكين : «اتفق هنا جميع العلماء وبلا استثناء أن هذه الآية أضيفت مبكرًا جدًا بواسطة أحد النساخ ، لأن النص الأقدم لم يحتويها ، على كل حال هي توافق الموقف والمعنى ، والكلام ينتهي في المخطوطات القديمة عند: (وانتهرهما) » [2]، والمخطوطات القديمة التي يعنيها الأب المسكين هي: (P45، P75، السينائية، الفاتيكانية، السكندرية، الأفرايمية ، واشنطن) وما وافقهم من مخطوطات لاحقة .

ولذلك حُذفت هذه الزيادة من عدد من الترجمات والطبعات الحديثة ، من بينها الترجمة العربية المشتركة والرهبانية اليسوعية التي أعدها الآباء اليسوعيون ، بينما أبقتها النسخ التقليدية، تبعًا لمخطوطات متأخرة، لعل أولها مخطوطة بيزا التي تعود للقرن الخامس الميلادي.

---

(١) انظر : الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٧٨).

(٢) الإنجيل بحسب القديس لوقا ، الأب متى المسكين ، ص (٤٢٨) .

❋ ومثله أخطأ النساخ وسهوا ، فأضافوا أو حذفوا فقرة في الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا حديث عن مجيء المسيح إلى بركة بيت حسدا ، حيث لقي العميان والعرج والكسح ، وفي ثناياه تذكر نسخة الفانديك التقليدية بأنهم كانوا «**يتوقعون تحريك الماء ، لأن ملاكًا كان ينزل أحيانًا في البركة ويحرك الماء ، فمن نزل أولًا بعد تحريك الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه**» (يوحنا ٥: ٣-٦) ، فهذه العبارة بتمامها غير موجودة في معظم المخطوطات والبرديات المهمة (P^{66}، P^{75}، السينائية، الفاتيكانية)، وهو ما أفادنا به الأب متى المسكين [١] والآباء اليسوعيون ـ الذين حذفوا هذه الزيادة من نسختهم فقالوا : « **يضجع فيها جمهور من المرضى بين عميان وعرج وكسحان ، وكان هناك رجل عليل منذ ثمان وثلاثين سنة** »، برروا حذفها بقولهم: « لم يرد في عدد كبير من المخطوطات، منها القديمة» [٢]، فهي لم ترد في أي مخطوط قبل القرن السادس إلا المخطوطة السكندرية.

ويقول بولس الفغالي: «الآية المتعلقة بملاك بركة بيت حسدا لا نجدها في عدد كبير من المخطوطات الهامة، كما لا نجدها في بردية بودمر الثانية، وهذا يعني أننا أمام حاشية شعبية أقحمت في النص إقحامًا بعد أن كانت ربما على هامش النص»[٣].

❋ وفي سفر أعمال الرسل تذكر نسخة الشرق الأوسط البروتستانتية والأخرى الكاثوليكية في سياق قصة فيلبُس مع عبد كنداكة ملكة الحبشة ، أنهما مرا على ماء «**فقال الخصي : هوذا ماء ، ماذا يمنع أن أعتمد ؟ فقال فيلبس : إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز ، فأجاب وقال : أنا أُومن أن يسوع المسيح هو ابن الله ، فأمر أن تقف**

---

(١) انظر : شرح إنجيل القديس يوحنا ، الأب متى المسكين (١/ ٣٢٨).

(٢) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٣٠١).

(٣) إزائية الاناجيل الأربعة، بولس الفغالي وآخرون، ص (٦٤٨).

المركبة ، فنزلا كلاهما إلى الماء .. » (أعمال ٨: ٣٦-٣٨) ، وهذا الحوار الذي جرى بعد رؤيتهما للماء تذكره نسخة الفانديك التي تتبع النص التقليدي، ولا يظهر في أي مخطوط يوناني قبل القرن السادس.

وهذه الفقرة اختفت من العديد من النسخ الحديثة، كترجمة العالم الجديد التي تتبع «شهود يهوه» ، ونسخة «الرهبانية اليسوعية» الكاثوليكية ، والنص فيها : « **فقال الخصي : هذا ماء ، فما يمنع أن أعتمد ؟ ثم أمر بأن تقف المركبة ، ونزلا كلاهما في الماء** » ، وسبب حذفهما – ومن وافقهما– له أن لم يرد في البرديات ومعظم المخطوطات القديمة المهمة (P^{45}، السينائية، الفاتيكانية، السكندرية) ، وهكذا تحار النسخ المطبوعة وتتردد في قبول هذا النص ورفضه تبعًا للنساخ الذين أخطؤوا بإلحاق الزيادة أو حذفها .

يقول المطران كيرلس بسترس: «لا نجد هذا النص في المخطوطات اليونانية الهامة .. لذا قد يكون على الأرجح من آثار ليترجيا العماد»(١).

* ومن صور تحريف النساخ الذي تسلل إلى طبعات الكتاب المقدس ؛ ما جاء في إنجيل مرقس حسب النسخ التقليدية، ومنها الفانديك، وفيها نقرأ: « **فاخرجوا من هناك ، وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم ، (الحق أقول لكم : ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالًا مما لتلك المدينة)**» (مرقس ٦: ١١)، وقد ظهر جزء من النص في بعض النسخ بين أقواس ، للدلالة على أنه جزء مشكوك في أصالته، وذلك لأن هذه الجملة مفقودة من أهم المخطوطات اليونانية (السينائية والفاتيكانية وبيزا والأفرايمية)، ولا تكاد تذكر في مخطوطة قبل القرن السادس سوى السكندرية.

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، المطران كيرلس بسترس ورفاقه، ص (١٨) .

لكنه وفي طبعات أخرى أزيلت الأقواس ، وأدرج ما بينها في المتن ، فيما حذفت النسخة الكاثوليكية ـ (ط . دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٢) ـ الأقواس وما بينها ، وكذلك صنعت الترجمة العربية المشتركة ، فهل هذه العبارة من كلمة الله أم لا؟ سؤال نطرحه على أولئك الذين ما زالوا يصرخون بأن الكتاب المقدس محفوظ من التحريف والتبديل ، وأن زوال السماوات والأرض أيسر من ضياع حرف واحد منه !

* ومثل هذا الصنيع سواء بسواء صنعته النسخ المختلفة في قول متى: «**لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد**» (متى ٦: ١٣)، فهي جملة مشكوك في أصالتها وردت في مخطوطة واشنطن والمخطوطات المتأخرة، وغابت عن أهم المخطوطات (السينائية والفاتيكانية) .

* وفي إنجيل (لوقا ١١: ٤) نقرأ عبارة مشكوك في أصالتها، بل مقطوع في تزويرها، وهي قول لوقا: «**ولكن نجنا من الشرير**»، إذ لم ترد هذه الجملة في أقدم المخطوطات وأهمها، وقد أدرجها نساخ متأخرون، واستعاروها من موضع مشابه، وهو الشاهد السابق المتعلق بـ(متى ٦: ١٣)، وقد أشار إلى هذا التحريف العلامة أوريجانوس بقوله: «والفقرة الأخيرة «**ولكن نجنا من الشرير**» لم ترد في إنجيل معلمنا لوقا»[1]، وعليه فجميع النسخ تحذف هذه الإضافة، فيما عدا النسخ التقليدية كالفانديك العربية، والملك جيمس الإنجليزية.

* وكذلك اختلفت النسخ الكتابية الحديثة بين مثبت وحاذف لنص مهم من الناحية اللاهوتية ، ورد في إنجيل يوحنا حيث يقول: « **وليس أحد صعد إلى السماء إلا**

(١) كتاب الصلاة، أوريجانوس، ص (٩٧).

الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يوحنا ٣: ١٣)، فقوله: (**الذي هو في السماء**) عبارة لم ترد في البرديتين ٦٦ و٧٥ ، ولم تحفظها أهم المخطوطات (السينائية والفاتيكانية) في القرن الرابع، وكذلك مخطوطة واشنطن في القرن الخامس، وحذفتها جميع النسخ العربية ما عدا الفانديك والبولسية.

* ومثله صنعت تحذف معظم الطبعات من قول بولس جملة: « **لأن للرب الأرض وملأها**» (١ كورنثوس ١٠: ٢٨)، تبعًا لأهم المخطوطات (السينائية والفاتيكانية والسكندرية والكلاروموتانية) بخلاف النسخ التقليدية التي أثبتته؛ تبعًا للمخطوطة الأفرايمية وبعض المخطوطات المتأخرة ، ويجدر ملاحظة أن محققي الترجمة العربية المشتركة جعلوا هذه الفقرة اقتباسًا من المزمور ٢٤ ، فقالوا : «**فالكتاب يقول : الأرض وكل ما عليها للرب** » خلافًا للنص التقليدي .

* ومثله في استهلال بولس لرسالته إلى أهل كولوسي ، حيث يقول بحسب النص التقليدي: « **إلى القديسين في كولوسي والإخوة المؤمنين في المسيح ، نعمة لكم، وسلام من الله أبينا (والرب يسوع المسيح)**» (كولوسي ١: ٢)، ورغم وجود جملة (**والرب يسوع المسيح**) في مخطوطات مهمة (السينائية، السكندرية، الكلارومنتانية) ، فإن معظم النسخ العربية والأجنبية تحذفه ، كما في الرهبانية اليسوعية وترجمة العالم الجديد والترجمة العربية المشتركة، فقد حذفوه لعدم أصالته، تبعًا للمخطوطة الفاتيكانية ومخطوطات أخرى.

* ومن ذلك قول متى « **ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، (لكي يتم ما قيل بالنبي : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي ألقوا قرعة)** » (متى ٢٧: ٣٥) ، فالطبعة الكاثوليكية الصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط تجعل ما بين الأقواس جزءًا من النص ، مخالفة النسخ التي حذفته ، للتنبيه على أنه إضافة تفسيرية،

وليس من كلمة الله ، كنسخة ترجمة العالم الجديد لشهود يهوه ونسخة الرهبانية اليسوعية الكاثوليكية والترجمة العربية المشتركة ، وقد فعلوا ذلك تبعًا لأهم المخطوطات التي حذفته (السينائية، الفاتيكانية، السكندرية).

* ومثله سواء بسواء في قول متى : « (**ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ، ولعله تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذون دينونة أعظم**)» (متى ٢٣: ١٤)، هذه الفقرة موجودة في بعض المخطوطات (واشنطن، والمخطوطات المتأخرة مثل هيراكلينس (ق ٧) وباسيل (ق ٨)، ومفقودة من المخطوطات الأهم (السينائية والفاتيكانية) ، لذلك اختارت الترجمة العربية المشتركة إبقاء النص بين معقوفتين ، وأشارت في الهامش إلى أن هذه الفقرة « لا ترد في معظم المخطوطات القديمة »[١].

* وكذا وقع الطابعون في تحريف آخر في رسالة العبرانيين، وذلك تبعًا للنساخ ، فقد كتبت النسخ التقليدية : « **وضعته قليلًا عن الملائكة ، بمجد وكرامة كللته ، (وأقمته على أعمال يديك) ، أخضعت كل شيء تحت قدميه** » (عبرانيين ٢: ٧-٨). وهذه الزيادة (**وأقمته على أعمال يديك**) أثبتتها طبعات كثيرة بغير أقواس ، وحذفتها الترجمة العربية المشتركة ونسخة الرهبانية اليسوعية ، التي تقول : « **وكللته بالمجد والكرامة ، وأخضعت كل شيء تحت قدميه** » .

وهذا الخلاف بين النسخ سببه أن النص محذوف من البردية المهمة (P^{46}) وأهم المخطوطات اليونانية (الفاتيكانية)، بينما أثبتته مخطوطات يونانية أخرى مهمة (السينائية، السكندرية، الأفرايمية، الكلارومونتانية)، فضاعت النسخ في البحث عن

---

(١) حاشية الترجمة العربية المشتركة (٣/ ٤١).

النص الأصلي في لجج المخطوطات المختلفة.

* وفي مواضع أخرى من العهد الجديد رفعت الأقواس وتغير ما كان بينها ، فقد جاء في النص البروتستانتي : « **وإن كان روح أو ملاك قد كلمه (فلا نحاربنّ الله)** » (أعمال ٢٣: ٩)، لكن النسخة الكاثوليكية والترجمة العربية المشتركة أزالتا الأقواس وما بينها ، وأصبح النص في النسخة الكاثوليكية هكذا : « **إن كان قد كلمه ملاك أو روح فماذا لنا** » ، وأما نسخة الرهبانية اليسوعية فحذفت الأقواس ، وغيّرت النص ، فأضحى : « **فلربما كلمه روح أو ملاك** » ، وأما نسخة ترجمة العالم الجديد النص بتمامه، ووضعت بدلًا عن المحذوف نقطًا للدلالة على وجود سقط في النص .

* وأما قول المؤلف المجهول لرسالة العبرانيين « **وإن مست الجبل بهيمة ترجم (أو ترمى بسهم)** » (عبرانيين ١٢: ٢٠) ، فقد حذفته الرهبانية اليسوعية وترجمة دار الكتاب المقدس الكاثوليكية ، فيما أثبتته الترجمة العربية المشتركة ضمن كلمة الله التي يزعمون أنها تثبت إلى الأبد .

* ومما وقع فيه النساخ من تحريف؛ تحريفهم لسؤال يسوع الذي سأله للأعمى الذي شفاه، ونرى خلاف المخطوطات منعكسًا بصورة جلية في الطبعات الحديثة، التي عبَّرت كل منها عن قراءة خاصة اختارها طابعوها من بين القراءات المختلفة، ففي النسخ التقليدية كترجمة الملك جيمس الإنجليزية، والفانديك العربية نقرأ : «**فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجًا ، فوجده ، وقال له : أتؤمن بابن الله ؟** » (يوحنا ٩: ٣٤-٣٥) .

وقوله : « **ابن الله** » تحريف لقول المسيح تابعوا فيه المخطوطة السكندرية والمخطوطات البيزنطية المتأخرة ، فقد قال: «**بابن الإنسان**» بحسب أهم البرديات (p^{66}، p^{75}) والمخطوطات (السينائية والفاتيكانية)، وتابعهم الآباء اليسوعيون في

نسخة الرهبانية اليسوعية والترجمة العربية المشتركة وغيرهما من النسخ والتراجم العالمية، فكتبوا : « **أتؤمن أنت بابن الإنسان ؟** » ، والسؤال: من المسؤول عن هذا التحريف؟.

* ولما تحدث مرقس عن صلب المسيح ذكرت النسخ المتأخرة (بيزا) وما جاء بعدها من نسخ النص البيزنطي أنه استشهد بنبوءة توراتية، فقال: «**فتم الكتاب القائل: وأحصي مع أثمة** » (مرقس ١٥: ٢٨)، وتبعًا له فقد أثبتتها النسخ التقليدية كالفانديك، بينما أهملتها معظم النسخ الحديثة تبعًا للمخطوطات الأقدم (السينائية والفاتيكانية والسكندرية)، واعتبرتها عبارة غير أصيلة أراد مزورها موافقة ما جاء في (لوقا ٢٢: ٣٧).

* ويتحدث المسيح عن سُنة الابتلاء التي تصيب المؤمنين، فيقول: «**كل واحد يملّح بنار، وكل ذبيحة تملّح بملح**» (مرقس ٩: ٤٩)، لكن قوله: «**وكل ذبيحة تملح بملح**» عبارة تحذفها معظم التراجم العربية والأجنبية، باعتبارها مدسوسة وغير أصيلة، تبرع بها ناسخ مخطوط، فتسللت إلى مخطوطات القرن الخامس (السكندرية والأفرايمية) ومن جاء بعدهم، وقد خلت منها المخطوطات الأقدم (السينائية والفاتيكانية)، يقول بروس: «هذه العبارة ليست أصيلة في هذا السياق، لكن المسؤولين عن إدخالها قاموا بذلك متأثرين على الأرجح بموضوعات الملح الوارد كثيرًا في الأناجيل»[1].

* ويورد سفر أعمال الرسل في نسخة الفانديك التقليدية بضع كلمات لا وجود لها في جميع المخطوطات اليونانية القديمة بل والحديثة، وهي قول بولس: « **صعب عليك أن**

(١) أقوال يسوع الصعبة، ف بروس، ص (٢٧).

ترفس مناخس » (أعمال ٩ : ٥)، وهي عبارة سترد لاحقًا عند إعادة نفس القصة في (أعمال ٢٦ : ١٤)، وقد أحسنت النسخ الكتابية العربية والأجنبية بحذف هذا المقطع الدخيل الذي نقلته النسخ التقليدية من ترجمات الكتاب المقدس اللاتينية.

* وحين ذمَّ المسيح الغضب لم يفرِّق بين أنواعه، فقال بحسب معظم التراجم العربية والأجنبية، ومنه الرهبانية اليسوعية التي نقتبس منها هنا: «**أما أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء**» (متى ٥: ٢٢)، فالغضب من الأخ يستوجب القضاء مهما كان سببه، وهو مشكل؛ إذ أن من الغضب ما هو مبرر ومستحق، لذلك أضاف نساخ المخطوطات كلمة مهمة ظهرت في طبعات أخرى تتبع النص التقليدي كالفاندايك: «**وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم**»، فكلمة «**باطلاً**» لم ترد في أهم المخطوطات كالفاتيكانية والسينائية التي تعرضت للتحريف الفج بإضافة هذه الكلمة بطريقة لا تخفى حتى على أعمى، ولكن نساخًا آخرين كناسخي مخطوطة واشنطن وبيزا أدركوا أهمية هذه الكلمة من الناحية الأخلاقية، فأضافوها في نسختهم، يقول وليم باركلي: «ويقول الشراح: إن كلمة «**باطلاً**» غير موجودة في النسخ الأصلية المشهورة، وكأنما المسيح يوصي بعدم الغضب إطلاقًا، سواء بسبب، أو بدون سبب»[1]، ويقول ف بروس: «إن كلمة «باطلاً» إضافة ألحقت بالنص اليوناني؛ بقصد جعل كلمات يسوع أسهل قبولاً .. كلمات يسوع كما وردت في الصيغة الأصلية للنص لا تميز بين الغضب المحق والغضب غير المحق»[2].

* وفي سفر روية تمكن النساخ بتغيير بسيط من كسب دليل على تأليه المسيح،

---

(١) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٨٩) .

(٢) أقوال يسوع الصعبة، ف بروس، ص (٤٩).

ففي حين قال بولس بحسب نسخة الرهبانية اليسوعية وجميع التراجم العربية باستثناء الفانديك: «**سنمثل جميعًا أمام محكمة الله** »، وذلك تبعًا للمخطوطات الاهم (السينائية والفاتيكانية والسكندرية)، فإن النص التقليدي الذي تتبعه نسخة الفانديك يصر على أننا « **جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح**»، تبعـًا لبعض المخطوطات المتأخرة، ويجدر بالتنويه هنا أن أحد قراء المخطوطة السينائية لم يرق له أن نقف أمام (محكمة الله) فقط ، فحاول الجمع بين الصيغة المختصرة لكلمتي: (الله θῦ) و(المسيح Xῦ)، بإضافة الكلمة الثانية فوق الأولى.

❋ ويتحدث لوقا عن التلاميذ الذين عينهم المسيح ليكونوا رسلاً له، فتحار الطبعات في عددهم تبعًا لاختلاف المخطوطات، فنسخة الفانديك وغيرها من النسخ العالمية تقول: «**عيّن الرب سبعين آخرين أيضًا ، وأرسلهم**» (لوقا ١٠ : ١)، وذلك تبعًا لمخطوطات مهمة كـ(الفاتيكانية وواشنطن والأفرايمية وغيرها من المخطوطات)، وأما النسخ العربية الأخرى كالرهبانية والمشتركة، فاختارت أن يكون عدد التلاميذ المرسلين ٧٢، تقول الترجمة العربية المشتركة: «**اختار الرب يسوع اثنين وسبعين آخرين، وأرسلهم**» ، ولا ريب أني أشارك القارئ استهانته بهذا الاختلاف، فلن يؤثر في عقيدة المسيحيين أن يكون العدد الصحيح ٧٠ أو ٧٢، وهذا صحيح في هذا الاتجاه، ولكن يصبح العكس هو الصحيح : إذا تساءلنا: أي الرقمين كتبه لوقا في إنجيله؟ وكيف وقع التحريف؟ وهل يمكن للمحرفين أن يفعلوا مثله في مواطن أخرى مهمة من غير أن نتنبه لصنيعهم؟

❋ ويقدم إنجيل يوحنا في الأصحاح الأول خلافًا آخر مهم جدًا من الناحية النقدية، اختلف عليه نساخ المخطوطات ومن بعدهم الطابعون للنسخ الحديثة، فالحوار بين الفريسيين ويوحنا المعمدان بحسب النسخ التقليدية، كالفاندايك: «**كان**

في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد » (يوحنا ١ : ٢٨)، و«بيت عبرة» هي مكان بجوار نهر الأردن، وهو ملائم جغرافيًا وتاريخيًا لقصة تعميد المسيح في نهر الأردن.

لكن هذا الاختيار المستحق والصحيح (Βηθαβαρά بيت عبرة) يخالف أهم البرديات (P66، P75)، وأغلبية ساحقة من المخطوطات، وبخاصة المهمة (السينائية ، الفاتيكانية، السكندرية، الأفرايمية، واشنطن)، فقد كتبت بدلاً عنها كلمة شبيهة في كتابتها ، وهي (Βηθανία بيت عنيا)، وهو اسم لمكان بجوار جبل الزيتون في أورشليم، فهو مستبعد من الناحية الجغرافية أن يكون مكانًا لتعميد المسيح أو مسرحًا لدعوة المعمدان، وهذه القراءة (بيت عنيا) أثبتتها معظم النسخ الحديثة ، ومنها الرهبانية اليسوعية التي كتبت: «**وجرى ذلك في بيت عنيا عبر الأردن، حيث كان يوحنا يعمد**» ، يقول الأب متى المسكين: «بيت عبرة: واضح من الاسم أنها عبر الأردن، وكان اسمها «بيت عنيا» في معظم المخطوطات وأهمها»[1].

وهذا المثال يعطينا أنموذجًا مهمًا لما يمكن أن يحدثه جماهير النساخ من خطأ تتسابق على إيراده المخطوطات القديمة والطبعات الحديثة، لكن ذلك لن يمنع من الحكم بخطئه وصحة المخطوطات الأحدث؛ خلافًا لما تقتضيه قواعد النقد النصي.

* ويتحدث المسيح إلى الشاب الغني قائلاً: «**تعال اتبعني حاملاً الصليب**» (مرقس ١٠ : ٢١) بحسب النسخ التقليدية، وعلى رأسها الفانديك، وأما غالبية النسخ العربية والأجنبية فالنص فيها: «**تعال اتبعني**»، واعتبروا قوله: «**حاملاً الصليب**» عبارة مدسوسة على الإنجيل.

---

(١) شرح إنجيل القديس يوحنا، الأب متى المسكين (١/ ١٣٦) .

وكالعادة فإن سبب الخلاف على أصالة «**حاملاً الصليب**» هو اختلاف المخطوطات، فالمخطوطات الأهم حذفت هاتين الكلمتين (السينائية والفاتيكانية وبيزا والأفرايمية)، بينما ظهرت الكلمتان في مخطوطات أخرى (السكندرية وواشنطن)، وتبعًا لهذا الخلاف اختلفت النسخ الحديثة.

* وأخيرًا ، جاء في إنجيل لوقا أن المسيح قال لليهود : « **من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر، ولا ينشله حالًا** » (لوقا ١٤ : ٥) ، وكلمة « **حماره** » استبدلتها العديد من التراجم العالمية بكلمة « **ابنه** » ومن بينها الترجمة العربية المشتركة ونسخة الرهبانية اليسوعية ، وفيها : « **من منكم يقع ابنه أو ثوره في بئر، فلا يخرجه منها** ».

والسبب في هذه المشكلة النقدية تشابه الكلمتين (حمار ονος، وابن υἱὸς)، فقد ظهرت كلمة (حماره) في السينائية والمخطوطات المتأخرة الكثيرة، بينما أثبتت المخطوطات الأقدم والأهم (P^{75}، السينائية والفاتيكانية، وواشنطن) كلمة (ابنه)، ويجدر التنبيه هنا إلى ظهور قراءات أخرى أقل انتشارًا في المخطوطات استبعدتها النسخ العالمية الحديثة، مثل قراءة «خروفه أو ثوره»، لتستمر رحلة البحث عن النص الأصلي في دوامة المخطوطات ونساخها.

وحينئذ يبقى السؤال قائمًا: أي هذه النصوص كلمة الله ؟ ومن الذي يحق له أن يزيد وينقص في الكتاب المقدس ؟ أوَلا تزاد له الضربات المكتوبة حين يزيد في الكتاب ، أو يحذف اسمه من سفر الحياة والمدينة المقدسة حين يحذف بعضًا مما هو منه . (انظر الرؤيا ٢٢ : ١٨-١٩) .

وهكذا يحار القارئ الكريم في التوفيق بين هذه النصوص المختلفة ، ويبقى السؤال يطوف بمخيلته : أي هذه النصوص هو وحي الله ؟



أغلاط الأناجيل

وكأي جهد بشري معرض للخطأ ، فإن الأناجيل كذلك تمتلئ بالأغلاط التي يكذبها التاريخ والواقع ، وثبوت الغلط في الكتاب يحيل قداسته ، ويحيل دعوى إلهامه إلى سراب .

والأغلاط في الأناجيل كثيرة ، وهي على أنواع فمنها ما تشهد عليه الأسفار المقدسة بالخطأ أو الكذب ، ومنها ما يشهد عليه العقل ، ومنها ما يشهد عليه التاريخ والواقع .

أولاً : الأغلاط بشهادة الكتب المقدسة :

أين هذه النصوص من تعظيم الله ورسله !

يتحدث سفر الرؤيا ، رؤيا يوحنا اللاهوتي عن رؤيته للأقنوم الثاني لله ، أي الله الابن ، وهو جالس على عرشه على صورة خروف له سبعة قرون وسبع أعين ، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، يقول يوحنا : « **ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة ، وفي وسط الشيوخ خروف قائم ، كأنه مذبوح له ، سبعة قرون وسبع أعين ، هي سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض** » (الرؤيا ٥ : ٦-٨) .

ويمضي النص فيقول متحدثًا عن القائمين أمامه : « **هم أمام عرش الله ، ويخدمونه نهارًا وليلًا في هيكله ، والجالس على العرش يحل فوقهم . لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحرّ ، لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ، ويقتادهم إلى ينابيع ماء حيّة ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم ..** » (الرؤيا ٧: ١٥-١٨) .

ويفصح النص عن ماهية الجالس على العرش على صورة الخروف ، إنه الله الابن ، الأقنوم الثاني للإله الواحد المتعدد الأقانيم ، فيقول : « **هؤلاء سيحاربون الخروف ، والخروف يغلبهم ، لأنه رب الأرباب وملك الملوك ، والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون** » (الرؤيا ١٧ : ١٤) .

ويمضي نص يوحنا ليذكر أن الجموع التي كانت أمام العرش كانت تصرخ بخلاص الله والخروف « **الأمم والقبائل والشعوب والألسنة واقفون أمام العرش وأمام الخروف ومتسربلين بثياب بيض ، وفي أيديهم سعف النخل ، وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف . وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش والشيوخ والحيوانات الأربعة وخرّوا أمام العرش على وجوههم وسجدوا للّه قائلين : آمين** » (الرؤيا ٧: ٩-١٢) ، فهل الرب محتاج للخلاص؟ وممن؟ ومن الذي سيخلصه؟ أولا توجد طريقة أفضل للرمز على الإله المعبود ؟

ويتحدث العهد الجديد عن جهالة لله وضعف ، ولكن جهالته أكثر حكمة من الناس ، وكذا ضعفه أقوى من الناس ، وذلك في قول بولس : « **لأن جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس** » (١ كورنثوس ١ : ٢٥) .

وأنبه إلى أن التراجم الحديثة عمدت إلى تخفيف المعنى الصحيح للنص الذي لم يتحدث عن كلمة (جهالة)، بل تحدث عن (**μωρον**) أي (حماقة)، لذا ترجمته النسخة الكاثوليكية: «**لأن الحماقة من الله أكثر حكمة من الناس، والضعف من الله أوفر قوة من الناس**» ، ولا يقبل بحال أن يقال عن الله العظيم أن له ضعفاً أو جهالة أو حماقة، بل هو القوي العزيز الحكيم العليم.

ويتحدث بولس عن سلطان للروح على الله وقدرة على معرفة غيوبه ومكنوناته، فيقول : « **لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله** » (١ كورنثوس ٢: ١٠) .

وينال بولس ـ أو بصورة أدق الكاتب المجهول للرسالة إلى العبرانيين ـ من ناموس الله وكتابه وشريعته ، ويحتقره ويصفه بالعتق والشيخوخة ، ومثل هذا الموقف لا يكون في كتب الله وما يوحيه إلى الأنبياء والرسل الذين تأتي دعوتهم لتؤكد على تعظيم كتبه ووحيه ، يقول بولس: « **فإنه يصير إبطال الوصية السابقة** (التوراة وشرائعها) **من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئًا ، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله** » (عبرانيين ٧: ١٨-١٩) .

ويقول عن التوراة التي أنزلها الله على موسى : « **وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال** » (عبرانيين ٨: ١٣) .

ويقول : « **فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طُلب موضع لثانٍ** » (عبرانيين ٨: ٧).

ويقول بولس ضاربًا عرض الحائط بشرائع التوراة التي تحرم بعض الأطعمة (انظر اللاويين ١١: ١-٤٧) ، ويعتبرها من خرافات اليهودية ووصايا المرتدين « **لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق، كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا** » (تيطس ١: ١٤-١٥).

هذا ما يقوله بولس والكاتب المجهول للرسالة إلى العبرانيين عن ناموس الله الذي تصفه المزامير فتقول : « **ناموس الرب كامل يرد النفس ، شهادات الرب صادقة تصيّر الجاهل حكيمًا ، وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب ، أمر الرب طاهر ينير العينين**» (المزمور ١٩: ٧-٨) .

وينسب العهد الجديد إلى المسيح سباب إخوانه من الأنبياء وتشبيههم باللصوص والسراق ، واتهامهم بعدم الحرص على هداية أقوامهم ، فيقول يوحنا : «**قال لهم يسوع أيضًا : الحق الحق أقول لكم : إني أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم .. السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك .**

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذي هو أجير وليس راعيًا الذي ليست الخراف له ، فيرى الذئب مقبلًا ويترك الخراف ويهرب ، فيخطف الذئب الخراف ويبددها» (يوحنا ١٠ : ٧-١٢) .

ومن المحال أن يسطر الله في وحيه مثل هذه الإساءات لمقامه العظيم ، وكذا لكتبه ورسله .

ضياع نقط بل حروف من الناموس :

ينسب الإنجيليون في محاولة منهم لتوثيق العهد القديم ، ينسبون إلى المسيح أنه قال : « **ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس** » (لوقا ١٦ : ١٧) ، وفي متى أن قال : « **فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل** » (متى ٥ : ١٨) ، فهل كان هذا الكلام حقًا أم ضاعت كلمات ، بل سطور وأسفار كاملة، فيما لم تزل السماوات والأرض .

وقد ذكرت أمثلة كثيرة لتلك المفقودات في الحلقة الأولى من هذه السلسلة ، سلسلة الهدى والنور ، وأكتفي هنا بعرض ثلاث نماذج فقط ، تاركًا للقارئ الكريم أن ينظر في تحقق هذا النص ، طالبًا منه أن يرى في عدم تحققه دليلًا على أنه ليس من كلام

الله ووحيه أو قول المسيح نبيه ، بل هو بعض إضافات كتبها أولئك الكُتاب ، ونسبوها زورًا وبهتانًا إلى وحي الله .

فمن شواهد النقص وضياع النقط والحروف من الكتاب ما جاء في سفر أخبار الأيام « **وبنو عزرة يثر ومرد وعافر ويالون ****** ، وحبلت بمريم وشماي ويشبح أبي اشتموع** » (١ أخبار ٤ : ١٧) ، ولم يذكر السفر بقية أبناء عزرة ، ولا تلك التي حبلت بمريم وأخواتها ، واكتفى طابعو الكتاب بوضع خمسة نجوم للتنبيه على وجود سقط في النص . ولرؤية المزيد من نجوم الكتاب المقدس انظر (٢ أخبار ٣٦: ٢٣)، و (عزرا ١ : ٣) ، و(عزرا ٦: ٥-٦) ، و(٢ صموئيل ٥ : ٨) ، و(حزقيال ٢٢: ٤٣) ، و (الملوك (٢) ٥ : ٦) ، (زكريا ٦ : ١٥) ، وغيرها مما يطول المقام بذكره .

ويمتد السقط والضياع في الكتاب ليشمل أسفارًا تحوي الآلاف من النقاط والحروف ، كسفر حروب الرب المذكور في سفر العدد ، حيث يقول : « **لذلك يقال في كتاب حروب الرب: واهب في سوفة وأودية أرنون** » (العدد ٢١ : ١٤) ، وهو سفر مفقود .

وكذا فقدت آلاف الحروف والنقاط المكونة لسفر أخبار النبي ناثان النبي وسفر أخبار أخيا الشيلوني الضائع وسفر رؤى يعدو ، وقد ذكروا في سفر أخبار الأيام ، في قوله : « **هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي وفي نبوّة أخيا الشيلوني وفي رؤى يعدو الرائي** » (٢ أخبار ٩ : ٢٩) .

ولرؤية المزيد من الأسفار المفقودة انظر (يشوع ١٠ : ١٣) ، و(٢ صموئيل ١ : ١٨) ، و(١ أخبار ٢٩ : ٢٩) ، و(٢ أخبار ١٢ : ١٥) ، و(١ ملوك ٤ : ٣٢-١٣) ، وغيرها مما يطول المقام بذكره .

وهذه الشهادات جميعًا تشهد بضياع كلمات وحروف من الناموس ، فيما تشهد السماوات والأرض وبقاؤهما ببراءة المسيح مما نسبه إليه الإنجيليون من الغلط والوعد الكاذب في هذا النص .

زكريا المقتول هو ابن يهوياداع وليس ابن برخيا :

فمن الأغلاط التي تشهد لها الأسفار المقدسة عند النصارى بالخطأ ما جاء في متى في قوله أن المسيح قال : « **كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح** » (متى ٢٣: ٣٥) .

وقد غلط متى ، إذ المقتول بين الهيكل والمذبح هو زكريا بن يهوياداع ، فقد جاء في سفر أخبار الأيام « **ولبس روح الله زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب .. ففتنوا عليه ، ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب** » (٢ أخبار ٢٤: ٢٠-٢١) .

وأما زكريا بن برخيا فهو آخر عاش أيام سبي بابل ، وهو من الأنبياء الصغار ، وينسب إليه السفر الذي في التوراة ، ويقول عنه قاموس الكتاب المقدس « ويذكر التقليد اليهودي أن زكريا هذا طالت أيامه ، وعاش في بلاده ، ودفن بجانب حجي الذي كان زميلًا له » [1] .

كما يجدر أن ننبه هنا إلى أن لوقا قد نقل قول المسيح الذي ذكره متى ، ولكنه لم يخطئ كما أخطأ متى ، فقد قال : « **من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أهلك بين المذبح والبيت** » (لوقا ١١: ٥١) .

---

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٤٢٨) .

إحالة مرقس الخاطئة إلى سفر إشعيا:

ويقتبس مرقس من نبوءة وردت في سفر (ملاخي ٣: ١) ، لكنه يخطئ فينسبها إلى النبي إشعيا، فالنص كما في سائر النسخ العربي خلا الفانديك يقول: «**كتب في سفر النبي إشعيا: (ها أنذا أرسل رسولي قدامك ليعد طريقك)**» (مرقس ١ : ٢)، وقوله: (إشعيا) خطأ ولا ريب، رغم وروده في أهم المخطوطات وأقدمها (السينائية والفاتيكانية)، واعتماده في النسخ النقدية (وستكوت هورت، تشندروف، UBS5، NA28) بدليل خلو سفر النبي إشعيا من هذا القول، لذلك عمدت النسخ التقليدية ومنها الفانديك إلى تصحيح الخطأ: « **كما هو مكتوب في الأنبياء: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيّئ طريقك قدامك**» ، تبعًا للمخطوطات التي تنبهت للخطأ وصححته (السكندرية، واشنطن، وغيرها من المخطوطات اللاحقة).

والقديس جيروم حين اتهمه روفينوس بتحريف تراجمه وعدم التزامه بدقة الترجمة للنصوص التي بين يديه؛ دافع عن نفسه بإيراد صور من التخالف بين اقتباسات العهد الجديد والنصوص الأصلية للعهد القديم، من بينها هذا الشاهد، واكتفى في جوابه بالقول: «لم يرد في إشعيا على الإطلاق، بل في ملاخي آخر الأنبياء الإثني عشر، فليأتنا إذًا هؤلاء الجهلة [الذين يتهمونه بالتحريف] بحل لهذه المسألة إنْ هم استطاعوا، وسأسألهم العفو في أني على خطأ»[1].

إحالة متى الخاطئة إلى سفر إرمياء :

وفي نبوءة أوردها متى أخطأ وهو ينقل عن التوراة ، يقول متى : « **لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ ..**

(١) رسائل هيرونيموس (جيروم)، الرسالة إلى باماكيوس، ص (١/ ٣٣٧) .

فطرح الفضة في الهيكل وانصرف .. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لا يحل أن نلقيها في الخزانة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا ، واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء .. حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي : وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل ، وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب » (متى ٢٧: ٣-١٠).

فإحالته إلى سفر إرميا غير صحيحة ، إذ لا يوجد شيء من ذلك في إرميا ، والصحيح أنه في سفر زكريا : « **فقال لي الرب : ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به ، فأخذت الثلاثين من الفضة ، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب** » (زكريا ١١: ١٢-١٤) .

ويجدر أن ننبه هنا أن القصة في سفر زكريا لا علاقة لها بيهوذا ولا المسيح ، إذ الثمن الذي يطلبه زكريا ثمن كريم ، أجرة كهانته ، في حين أن الثمن الذي قبضه يهوذا ثمن خيانة ولؤم .

والحق أن الإحالة ليست إلى سفر زكريا ولا إرميا، بل هي بالحقيقة إحالة إلى رسالة غير قانونية تنسب إلى النبي إرمياء، فقد نقل آدم كلارك في تفسيره للكتاب المقدس عن العلامة جيروم قوله: «**إن اليهود من فرقة الناصريين أظهروا له هذه النبوءة في نسخة عبرية لسفر إرميا مشكوك فيها (أبوكريفا)**». ويضيف كلارك: لكن من الراجح أنهم أدخلوا هذه النبوءة في سفر إرميا فقط لموافقة الاقتباس الموجود في متى.

وأما القس سمعان كلهون فيرجح أن الأصل العبري لم يذكر فيه اسم النبي الذي اقتبست منه الإحالة ، وأنه كان فيه « **تم ما قيل بالنبي** » ، كما ورد في الترجمة السريانية [1] .

---

(١) انظر: اتفاق البشيرين ، القس سمعان كلهون ، ص (٥٤٥) .

وأما الأسقف إيسيذورس فينقل عنه وهيب جورجي أنه يضع عدة احتمالات، تتلخص في القول بأن البشير متى أخطأ في الإحالة، أو أن كتاب إرميا المراد لم يصل إلينا، أو أن اللبس سببه أن متى نقل النص عن الترجمة السبعينية، فاشتبه عليه اسم (זכריה زكريا) ، فقرأه: (ירמיהו إرميا)[1].

وأما المطران يوسف الدبس فيورد احتمالات أخرى، ويرجح أولها «أن اسم إرميا أدخله في المذكورة سهو الناسخ، كما ذهب فم الذهب .. [قال] أوريجانوس وترتليانوس وأوسابيوس: إن هذه الألفاظ كانت قديمة في نبوة إرميا، كما شهد القديس إيرونيموس [جيروم] أنه رآها في نسخة صحيحة منها، ثم حذفت منها بواسطة اليهود»[2]، فالخيارات مفتوحة بين القول بتحريف النساخ أو تحريف التوراة أو غلط الإنجيلي متى، وللقارئ أن يختار!.

ولن يفوتنا هنا إلى التنبيه على تلاعب المترجمين في نص النبوءة التوراتية، فالنص بحسب القديس كيرلس الأورشليمي (ت ٣٨٦م) يقول: «الذين يرفضون النبوءات يقولون: إن النبي يؤكد: (ألقيتها في بيت الرب إلى الأتون) (زكريا ١١: ١٣) بينما يقول الإنجيل: (دفعوها عن حقل الفخار) (متى ٢٨: ٣٠)»[3]، وانبرى كيرلس للتوفيق بين النص التوراتي المحرَّف والنص الإنجيلي، فهذه الفقرة التوراتية تقرأ اليوم هكذا: «**وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب**»، فكلمة «**الفخاري**» لا وجود لها في

---

(١) انظر: مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٢٧٢)، والنقل عن مذكرة أعدها الأسقف بعنوان «مشكاة الطلاب في حل مشاكل الكتاب».

(٢) تحفة الجيل، المطران يوسف الدبس، ص (٢٤٤).

(٣) انظر: العظة الثالثة عشر، كيرلس الأورشليمي (الفقرة ١١).

الأصل العبراني الذي يتحدث عن «الأتون»[1].

أصحاب داود لم يأكلوا خبز التقدمة في عهد الكاهن أخيمالك :

وأخطأ كاتب إنجيل مرقس مرتين وهو يتحدث عما فعله داود عندما جاع فأكل من خبز التقدمة الذي لا يجوز أكله إلا للكهنة فقال : « **أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله في أيام أبياثار رئيس الكهنة ، وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل إلا للكهنة ، وأعطى الذين معه** » (مرقس ٢: ٢٥-٢٦) .

وقوله : « **الذين كانوا معه** » خطأ ولا محالة ، لأن داود كان حين ذهب إلى رئيس الكهنة كان وحيدًا فارًا من وجه شاول ، كما في سفر صموئيل وفيه « **فجاء داود إلى نوب إلى أخيمالك الكاهن ، فاضطرب أخيمالك عند لقاء داود ، وقال له : لماذا أنت وحدك وليس معك أحد .. يوجد خبز مقدس ..** » (١ صموئيل ٢١: ١-٤) .

والخطأ الثاني الذي وقع فيه مرقس حينما سمى رئيس الكهنة أبياثار ، وفي صموئيل أن رئيس الكهنة يومذاك هو أبوه ، أخيمالك الذي قتله شاول ، لأنه أعطى الخبز المقدس لداود . (انظر ١ صموئيل ٢٢: ٢٠-٢٣) .

وينبه محررو قاموس الكتاب المقدس إلى أن أبياثار هرب بعدها إلى داود مع صادوق رئيس الكهنة بعد مقتل أبيه أخيمالك . وقد اعترف بهذا الغلط توماس وارد في كتابه (Errata to the Protestant Bible) ، وقال نقلاً عن مستر جوويل أنه كتب: غلط مرقس، فكتب أبياثار موضع أخيمالك[2] .

---

(١) انظر : العظة الثالثة عشر، كيرلس الأورشليمي (الفقرة ١١).

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٣٣٩ ، ٤٩٥) ، قاموس الكتاب المقدس ، ص (٢٠) .

الثناء على يهوذا الخائن :

وفي أثناء حديث الإنجيليين عن التلاميذ فإنهم يذكرون الاثني عشر بخير ، وينسون أن فيهم يهوذا الخائن ، ولربما ذكروا حوادث حصلت بعد موته ، فذكروه فيها .

ومن ذلك قول متى أن المسيح قال لتلاميذه الإثني عشر : « **الحق أقول لكم : إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده ، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر** » (متى ١٩ : ٢٨) .

ولم يستثنِ متى يهوذا الخائن الذي يقول عنه ناقلًا عن المسيح : « **ويل لذلك الرجل .. خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد** » (متى ٢٦ : ٢٤) ، وقد تنبه لوقا لخطأ متى ، فلم يقع فيه ، ولم يذكر عدد الكراسي . (انظر : لوقا ٢٢ : ٢٨-٢٩) .

وهذا الخطأ وقع به بولس وهو يتحدث عن قيامة المسيح والتي يفترض أنها بعد وفاة يهوذا بأيام وقبل انتخاب البديل عنه ميتاس (انظر أعمال ١ : ٢٦) ، فقال بولس : « **قام في اليوم الثالث حسب الكتب ، وأنه ظهر لصفا ثم للاثني عشر ، وبعد ذلك ظهر لأكثر من خمسمائة أخ** » (١ كورنثوس ١٥ : ٤-٦) .

وقد تنبه للخطأ كاتب مرقس وهو يروي ذات القصة ، فقال : « **ثم ظهر للأحد عشر ..** » (مرقس ١٦ : ١٤) .

ولن يفوتنا هنا التذكير أن المسيح ظهر أول مرة لعشرة من التلاميذ فقط ، إذ لم يكن معهم توما الذي غاب عن اللقاء الأول ، يقول يوحنا : « **أما توما أحد الاثني عشر الذي يقال له التوأم ، فلم يكن معهم حين جاء يسوع** » (يوحنا ٢٠ : ١٩-٢٥) .

مدة مكث المسيح في بطن الأرض ليست ثلاثة أيام وثلاث ليال :

ومن الأغلاط ما ذكره متى عن مكث ابن الإنسان (المسيح) في بطن الأرض

ثلاثة أيام وثلاث ليال ، حيث يقول : « **أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلّم نريد أن نرى منك آية . فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال** » (متى ١٢ : ٣٨-٤٠) .

ومن المعلوم في الأناجيل أن المسيح صلب يوم الجمعة ، ودفن ليلة السبت ، وخرج من قبره قبل فجر الأحد ، أي لم يمكث في القبر سوى ليلة السبت ويوم السبت وليلة الأحد . وهو ما يعدل ليلتين ويوم ، وليس ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كما أخبر متى.

وقد اعترف بالسي وشلز أن متى قد غلط ، وزعم أنه أخطأ في فهم كلام المسيح، فهذا التفسير بالبقاء ثلاثة أيام وثلاث ليال في الأرض كان من جانبه ، وأما مقصود المسيح فهو : « أن أهل نينوى كما آمنوا بسماع الوعظ وما طلبوا معجزة ، كذلك فليرضَ الناس مني بسماع الوعظ » [(١)].

وأما يوحنا فم الذهب فيحاول في تفسيره تحوير النص فيقول : إن الثلاثة أيام والثلاثة ليال تحسب من يوم الخميس حين أكل المسيح العشاء مع التلاميذ وتحول الطعام إلى جسده ، فبطن الأرض مجاز عن بطونهم ، وهو قول ممجوج واضح التكلف .

وأما الأب متى المسكين فاجتهد في إبقاء المسيح في بطن الأرض هذه المدة ، فاعتبر ما أدركه المسيح من دقائق قبل غروب شمس يوم الجمعة يومًا أولًا وليلة أولى، كما اعتبر فجر الأحد يومًا كاملًا [(٢)] ، مع أن المسيح لم يكن في القبر أول الفجر، كما يقول لوقا « **في أول الأسبوع ، أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه ومعهنّ أناس ،**

---

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٣١٨) .

(٢) انظر : الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٤١٥-٤١٦) .

فوجدن الحجر مدحرجًا عن القبر ، فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع » (لوقا ٢٤ : ١- ٣) أي لم يدرك شيئا من النهار ، ومع ذلك اعتبره الأب المسكين يومًا كاملًا ، ولا غرابة فقد جعل دقائق ما قبل الغروب يومًا كاملًا وليلة كاملة .

ثانيًا : أغلاط بشهادة الواقع :

العودة القريبة للمسيح والنهاية السريعة للدنيا :

وثمة نصوص أخرى كثيرة غلط فيها الإنجيليون بشهادة الواقع والتاريخ ، ومن مثل ذلك ما جاء في إنجيل متى عن القيامة القريبة التي تقترن بعودة المسيح القريبة ، والتي حددها المسيح كما يزعمون بأنها قبيل انقضاء جيله ، وعليه طلب إلى تلاميذه أن لا يذهبوا للدعوة في مدن السامريين فإن القيامة دون ذلك .

وقد قارب مجموع النصوص التي تحدثت عن عودة المسيح والقيامة العشرة ، أهمها : « **فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم : إن من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته** » (متى ١٦ : ٢٧-٢٨) .

ويقول أيضًا : « **متى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى . فإني الحق أقول لكم : لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان** » (متى ١٠ : ٢٣) .

ويعلق الأب متى المسكين على هذه الفقرة بقوله : « شرحُ هذه الآية أخذ من العلماء كل مأخذ ، وأعلنوا أن حل هذه المعضلة غائب تمامًا من أمام عيونهم ، لأنه لا يوجد لها حل » [1] .

وفي سفر الرؤيا يقول : « **ها أنا آتي سريعًا** » (الرؤيا ٣: ١١) .

ويقول يعقوب : « **أيها الإخوة .. فتأنوا أنتم ، وثبتوا قلوبكم ، لأن مجيء الرب قد اقترب** » (يعقوب ٥ : ٨) .

ويقول بطرس : « **وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت** » (١ بطرس ٤ : ٧) .

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٣٦٤-٣٦٥) .

وتحدث متى عما يرافق عودة المسيح من أحداث « وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ » .

يقول متى المسكين : « ومع السؤال بخصوص خراب الهيكل أضافوا : ما هي علامة مجيء الإنسان ، لأنهم كانوا متأكدين تمامًا أنه بخراب الهيكل ينتهي العالم ، ويجيء ابن الإنسان ، وتكمل الدينونة ، ويبدأ ملكوت الله »[(١)] .

فأجاب المسيح تلاميذه عن سؤالهم الأول فذكر لهم علامات قيامة رجسة الخراب في الهيكل ، ثم شرع في الإجابة عن السؤال الثاني المتعلق بمجيئه وانقضاء الدهر ، فقال : « **وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطي ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير .. الحق أقول لكم : لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لا يزول** » (متى ٢٤: ٣-٣٥) ، و(انظر مرقس ١٣: ٢٤-٣١) .

حاول الشراح عبثًا تجاوز هذه معضلة «هذا الجيل» ، فقال جيروم: لفظة الجيل تعني النوع البشري ، وقال أوريجانوس ويوحنا الذهبي بأنها تعني الكنيسة المسيحية ، ورأى آخرون أنها تشير إلى النظام اليهودي ، واعترف آخرون بأنها مدة تتفاوت بين (٧٠-١٠٠) سنة[(٢)].

وفي لوقا : « **وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم ، وتكون**

(١) المصدر السابق ، ص (٦٣٧) .

(٢) انظر: تحفة الجيل، المطران يوسف الدبس، ص (٢٩٥)، وشرح بشارة لوقا ، القس إبراهيم سعيد ، ص (٥٢٥) .

علامات في الشمس والقمر والنجوم ، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة ، البحر والأمواج تضج ، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة ، لأن قوات السموات تتزعزع ، وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيًا في سحابة بقوة ومجد كثير .. الحق أقول لكم : إنه لا يمضي هذا الجيل حتى يكون الكل ، السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامي لا يزول » (لوقا ٢١: ٢٤ـ٣٣) .

يقول الأب متى المسكين : « وقد اتفق جميع العلماء أن هذه الآية تخص خراب أورشليم والهيكل ، الأمر الذي تم بالفعل في جيله » [١] ، لكنه يعجز عن الربط بين خراب أورشليم والعلامات التي ذكرها لوقا في النص نفسه.

وقد سيطرت فكرة العودة السريعة والقيامة القريبة على كُتاب الرسائل ، ومنهم بولس الذي يقول : «**نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور**» (١ كورنثوس ١ : ١١).

وفي رسالته إلى تسالونيكي يتحدث عن الكيفية التي سيلاقي بها المسيح بعد قيام المؤمنين بالمسيح من الأموات ، يقول : « **إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب ، لا نسبق الراقدين ، لأن الرب نفسه بهتاف ، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء ، والأموات في المسيح سيقومون أولًا ، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب** » (١تسالونيكي ٤: ١٥-١٧) .

ويؤكد إيمانه بهذه الفكرة في قوله : « **هو ذا سر أقوله لكم : لا نرقد كلنا** (أي لن نموت كلنا) ، **ولكننا كلنا نتغير في لحظة ، في طرفة عين ، عند البوق الأخير فإنه سيبوق ، فيقام الأموات عديمي فساد ، ونحن نتغير** » (١ كورنثوس ١٥ : ٥١ ـ ٥٢) .

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٦٧٤) .

وعلى هذا النص الأخير تعلق الرهبانية اليسوعية ، فتقول : « يتكلم بولس بكلام إنسان يتوقع أن يكون حيًا عند مجيء المسيح » .

ويقول معجم اللاهوت الكتابي : « **يبدو أن المؤمنين ، في فجر الكنيسة ، وقد لبسوا نور الفصح والعنصرة ، قد ظنوا أن المسيح سيأتي من فوره .. لا يقول بولس أبدًا بأن المجيء الثاني المجيد سيأتي بعد حقبة طويلة من الزمن ، بل بالعكس يداعبه الأمل بأن يكون إذ ذاك حيًا يرزق** » (١ تسالونيكي ٤ : ١٧)[1] .

ويقول يوحنا : « **أيها الأولاد ، هي الساعة الأخيرة ، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي ، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون ، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة**» (١ يوحنا ٢ : ١٨) .

تقول الرهبانية اليسوعية تعليقًا على هذا النص : « تلميح إلى الساعة الأخيرة من التاريخ ، كان المسيحيون الأوائل ومنهم يوحنا ، على يقين من أن تلك الساعة قريبة ، ولكنهم كانوا يعتقدون بأن مجيء الرب في المجد سيسبقه قيام كائن مفسد ، هو المسيح الدجال » .

فهذه الأقوال وسواها تدل على أن وقوع القيامة وعودة المسيح قبلها ، سيحصل في زمن الجيل الأول ، لكن شيئًا من ذلك لم يحصل ، وقد مرت قرون طويلة متطاولة دون تحققه ، فدل ذلك على أن هذه النبوءات من الغلط الذي وقع به الإنجيليون .

ويبدو أن المسيح أبلغ أصحابه بنزوله من السماء قبيل يوم القيامة ، وذكر لهم

---

(١) انظر معجم اللاهوت الكتابي ، (مادة يوم الرب) .

بعضًا من الأمور التي تحدث قبله ، وطرأ الغلط والتحريف من قولهم بأن ذلك سيكون في زمن الجيل الأول .

ويحاول المطران يوسف الدبس والأب متى المسكين تفسير ما جاء في (متى ١٦ : ٢٧-٢٨) عن مجيء المسيح قبل أن يذوق بعض التلاميذ الموت ، فيريا أن المقصود بالتلاميذ : « بطرس ويعقوب ويوحنا الذين أخذهم المسيح وصعد جبل التجلي »[1] ، أي : أن تفسير هذه النصوص هو تجليه على الجبل بعد ستة أيام (انظر متى ١٧ : ١-٢)، فهل كان المسيح يخبر تلاميذه عن أمر سيحصل قبل أن ينتهي الجيل، ومقصده ما سيحصل بعد أسبوع !!

وأيضًا فإن كلام المفسر مردود بنص متى الذي يتحدث عن إتيان للمسيح للدينونة فوق السحاب يرافقه مجد الله ، « **فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله** » (متى ١٦ : ٢٧) وشيء من هذا لم يكن في يوم التجلي .

ثم ماذا عن النصوص التي قالها بولس وغيره بعد القيامة ؟ وأين العلامات التي رافقت مجيء المسيح .

وأما المفسر وليم باركلي، فيبرئ المسيح من نصوص عودة المسيح المزعجة، ويرى فيها سوء فهم من الجيل الأول للمسيحية بسبب أن « الناس يبحثون عن وعد يتعلقون به لتخليصهم من آلام الاضطهاد المروعة، لذلك تناولوا العبارة التي تصف إتيان ملكوت الله بقوة؛ أي انتشار الإنجيل ، وفهموها بمعنى مجيء المسيح ثانية على

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٤٩٩) ، وانظر: تحفة الجيل ، المطران يوسف الدبس، ص (٢٠١).

مدى حياتهم، وهم معذورون في ذلك»[١]، وبموجب كلام باركلي فإن المسيح لم يقصد مجيئه حين قال: « **فإن ابن الإنسان سوف يأتي** » (متى ١٦ : ٢٧)، وكذلك حين قال: «**لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان**» (متى ١٠ : ٢٣) .

لقد أثارت هذه النبوءة الكاذبة الكثير من الزوابع في وجه الكتاب المقدس، وكان هذا الموضوع حاضرًا في الأسئلة التي طرحها زاباتا أمام لجنة من اللاهوت في جامعة سالا منكا ١٦٢٩م، وأكد لهم شكوكه في بعض المعطيات الإنجيلية ، فقد تساءل: «ولمَ لمْ يف المسيح بوعده في الحضور على متن سحابة في قوة ومجد عظيم، ليؤسس مملكة الله قبل أن ينقرض هذا الجيل؟ ما الذي عوقه؟ هل كان الضباب كثيفًا إلى حد كبير؟»[٢].

وأما الكاتب الساخر برنارد شو فيرى في هذه النصوص كذبًا فاقعًا، فهو لا يفهم كيف «يقول بصراحة ودأب: إن مجيئه مقدر محتوم لا يجادل فيه أحد .. وأنه سيخر كالنجم الثاقب من السماء بينما تنفخ الملائكة بالأبواق إعلانًا لمجيئه ، ويصرح كذلك بان ذلك سيحصل في حياة أشخاص هم الآن على قيد الحياة**!!**»[٣].

معجزات المؤمنين :

ومن النصوص أيضًا التي تثبت شهادة الواقع خطأ الإنجيليين فيها ، لأن المسيح لا يكذب ، ولا يمكن أن يقول ما نسب إليه فيها ، إذ هو من الخطأ البيّن .

من ذلك ما جاء في خاتمة مرقس ، ففيها أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب وقال لهم : « **وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون**

---

(١) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٢٢٢).

(٢) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (٣٨/ ٢٠٢).

(٣) المسيح ليس مسيحيًا، برنارد شو، ص (٥٢).

بألسنة جديدة ، يحملون حيّات ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى ، فيبرؤون » (مرقس ١٦ : ١٧-١٨) .

وقريبًا من هذا المعنى يقول مرقس بأن المسيح قال لتلاميذه : « **ليكن لكم إيمان بالله ، لأني الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ، ولا يشك في قلبه بل يؤمن ، إن ما يقوله يكون ، فمهما قال يكون له** » (مرقس ١١ : ٢٢-٢٣) .

وفي إنجيل متى : « **وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه** » (متى ٢١ : ٢٢) .

وحين تقدم رجل إلى المسيح يرجوه أن يشفي ابنه من الصرع ، و يقول : « **لكن إن كنت تستطيع شيئًا ، فتحنن علينا ، وأعنّا . فقال له يسوع : إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شيء مستطاع للمؤمن ، فللوقت صرخ أبو الولد بدموع ، وقال : أؤمن يا سيد ، فأعِن عدم إيماني** » (مرقس ٩ : ٢٣) ، لقد أفهمه المسيح أن صنع المعجزات ـ كل المعجزات ـ يقدر عليه المؤمنون ، وعليه طلب منه الإيمان ليشفي ابنه ، فتعهد الرجل بالإيمان ، وشفى له المسيح ابنه ، لأنه لم يصر بعدُ في عداد المؤمنين .

وينقل يوحنا على لسان المسيح أنه قال : « **الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا ، ويعمل أعظم منها** » (يوحنا ١٤ : ١٢)، فكل مؤمن يستطيع صنع المعجزات الباهرة التي صنعها المسيح من إحياء للموتى وشفاء للمرضى ، والتجربة خير برهان !

ومن تشكك في نجاح هذه التجربة فليقرأ هذه السطور للأب متى المسكين ، حيث يقول : « أعطني رُكبًا منحنية وقلوبًا صادقة في إيمانها بوعد المسيح ، وسوف ترى كيف أن العمي يبصرون ، والصم يسمعون ، والشُّل والعرج يمشون ويجرون ويرقصون ، وكل أنواع الأمراض تشفى ، حتى المستعصية ، من سرطان وسُل وتليف

كبدي وفشل كلوي وأمراض القلب ، فالمسيح هو هو ، أمس واليوم وإلى الأبد [1] .

أما أولئك الذي يعجزون عن فعل المعجزات ممن يؤمن بقدسية هذا النص ، فهؤلاء لا إيمان لهم ، إذ يحكى متى عن تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد ليسألوه عن سبب إخفاقهم في شفاء المصروع فأجابهم : « **لعدم إيمانكم ، فالحق الحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل : انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم** » (متى ١٧ : ٢٠) .

وعليه فكل مؤمن نصراني يستطيع إحياء الموتى وشفاء المرضى وإخراج الشياطين .. ، وإن لم يصنع ذلك فليس بمؤمن .

ويبالغ يوحنا في عرضه للمعجزات التي يتوارثها النصارى عن المسيح ، إذ يقول في نص آخر بأن المسيح قال لليهود : « **الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد** » ، وفهم اليهود منه موتًا حقيقيًا ، فقالوا : « **ألعلك أعظم من أنبياء إبراهيم الذي مات ، والأنبياء ماتوا** » ، فلم يتهمهم بسوء الفهم ، بل قال لهم : « **إن كنت أمجد نفسي فليس مجدي شيئًا ، أبي هو الذي يمجدني** » (يوحنا ٨ : ٥١-٥٤) .

إذًا هذه النصوص تتحدث عن معجزات يصنعها المؤمنون ، فهل يتحقق شيء منها في حياة أولئك الذين يدعون الإيمان بالمسيح ؟

هل حقق آباء الكنيسة فضلًا عن بقية المؤمنين أمثال معجزة المسيح أو أفضل منها ؟ هل أحيوا موتى ؟ هل شفوا مرضى ؟ هل أتقنوا لغات عدة وصاروا يتكلمون

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٥١٤) .

بألسنة مختلفة ؟ أم هم غير مؤمنين فلم تقع منهم هذه المعجزات وأمثالها ؟

ولو كانت هذه النصوص حقًا من أقوال المسيح لما مات بابوات الكنيسة ، ولما رأينا القسس والمبشرين يجتهدون في تعلم اللغات للتبشير ثم قد ينجحون وقد لا ينجحون ، ولو كان حقًا لما مات البابا اسكندر السادس ولا غيره من النصارى مسمومًا !!

وفي مناظرة ديدات لكبير قساوسة السويد ستانلي شوبرج وقف واحد من الجمهور ، وقرأ على القس شوبرج نص مرقس (١٦ : ١٦-١٨) ، وطلب إليه إن كان مؤمنًا أن يشرب زجاجة سُم رفعها الرجل بيده قائلًا : « **اشرب هذا السائل السام المميت ولا تمت ، لأن عندك إيمان بألوهية يسوع ، وعندك إيمان بصدق** » .

فتغير وجه شوبرج ، وتلعثم في القول ، وقال : « إننا لو شربنا شيئًا سامًا لا نموت . إن هذا أمر غريب ، أنا مؤمن بالله وبالروح القدس كحقيقة ، الروح القدس يخبرنا ماذا سيحدث لنا . لقد قالت لي زوجتي منذ ثلاثين يومًا : يا استانلي كن حذرًا ، إن شخصًا ما سيغتالك بالسم .. أنا أرى الشيطان بداخلك (للسائل) ، أنا لا أريد أن أقوم باستعراض .. » . ثم حمل السمّ وصبه في حوض الزرع .

التعويض السريع في الدنيا :

ومن الأمور التي ذكرتها الأناجيل أيضًا ، ويكذبها واقع الناس ما جاء في مرقس أن بطرس قال للمسيح : « **ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فأجاب يسوع وقال : أقول لكم : ليس أحد ترك بيتًا أو إخوة أو أخوات أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولًا لأجلي ولأجل الإنجيل ، إلا ويأخذ مائة ضعف الآن في هذا الزمان بيوتًا وإخوة وأخوات وأمهات وأولادًا وحقولًا ، مع اضطهادات ، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية** » (مرقس ١٠ : ٢٨-٣٠) ومثله في متى : « **يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية** »

(متى ١٩ : ٢٩) ، وفي لوقا : « **يأخذ في هذا الزمان أضعافًا كثيرة** » (لوقا ١٨ : ٢٩-٣٠) .

وحار المحققون في فهم كيفية الحصول على هذا التعويض ، كيف يمكن للإنسان أن يصبح عنده أمهات وآباء كثر .. وإذا فُهم أن الآباء والإخوة والأمهات أمور مجازية ، فكيف يفهم تعويض الحقول والزوجات ؟ ومتى رأينا ذلك لأحد أولئك الذين يهجرون أوطانهم للتبشير ، فيتركون أمهاتهم وأخواتهم وأموالهم ، متى أعطوا جزاء في الدنيا مائة ضعف .

والنص واضح الدلالة أنه يتحدث عن جزاء دنيوي « **مع اضطهادات** » ، وستحصل « **في هذا الزمان** » ثم وعد بالحياة الأبدية في الآخرة .

فهذا النص من الكذب ، ولو كان حقًا لرأينا الناس يسرعون إلى إجابة هذه الدعوة، ولكشفت التجربة الواقعة منها عن معطيات يستبق الناس إليها ويقتتلون من أجلها .

وأما الأب متى المسكين فيصور الوعد برمزية غريبة ، فيقول : « عوض الأب فالمسيح يعطيه روح البنوة للأب السماوي ، وعوض الام سيشعر بأمومة الكنيسة ، وعوض المرأة هنا يرفع عن الرجل والمرأة كل منهما إحساس العوز للآخر .. ويصبح عوزًا نحو السماء لإعطاء أولاد بالروح يرثون الملك السماوي ، كذلك الأولاد يتحول الحنين إليهم إلى الحنان عليهم كأولاد لله بعد » [1] .

نبوءة الألف سنة

تحدث سفر الرؤيا عن حدث سيقع بعد ١٠٠٠ سنة من مجيء المسيح ، فقد أخبر يوحنا أنه رأى في رؤياه «ملاكًا نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٥٥٣) .

يده، فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية ، وأغلق عليه، وختم عليه لكي لا يضل الأمم في ما بعد» (الرؤيا ٢٠: ١-٣).

ولكن حبس هذا الشيطان سينتهي بعد ١٠٠٠ سنة من تقييد «حتى تتم الألف السنة، وبعد ذلك لابد أن يُحَل زمانًا يسيرًا .. ثم متى تمت الألف السنة يُحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض: جوج وماجوج، ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر، فصعدوا على عرض الأرض» (الرؤيا ٢٠: ٣-٩).

ولن ينجو من هذا كله إلا سكان المدينة المقدسة (أورشليم): «وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة، فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم، وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذاب. وسيعذبون نهارا وليلا إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ٢٠: ٩-١٠).

ومع دخول الألفية الثانية أيقن المؤمنون بسفر الرؤيا أن الموعد المضروب لإطلاق الشيطان من حبسه سيكون بعد مرور ألف سنة على حبس المسيح له، أي في حوالي عام ١٠٣٣م ، سرَتْ في أوربا حالة من الهلع ، لاقتراب نهاية مدة سجن الشيطان ، وحلول حلِّه من عقاله ، وبدئه في الإفساد في الأرض ، فـ«كانت جماهير عديدة يعطون أملاكهم للكنائس والأديرة، وتركوا كل شيء، وذهبوا إلى فلسطين .. وفي أماكن كثيرة تركت الأبنية المقدسة والعالمية حتى تخرب ، وفي بعض الأحوال هدموها زاعمين أنهم لا يحتاجون إليها بعد» [1]، وما هي إلا سنوات حتى أفاق الناس من تصديقهم للنبوءة، وتبين أنها كانت سرابًا ليس إلا، فلا هو رجع الشيطان، ولا هي بقيت لهم أموالهم، ولا

(١) تاريخ الكنيسة، يوحنا لورانس موسهيم، ص (٣٥٨).

عزاء لمن أسلم عقله إلى أوهام ومنامات متخم في الطعام، ولم يصغ إلى صوت ضمير البابا ديونيسيوس الذي شرح سفر الرؤيا ، وقال لقرائه: «يجب قراءته مع الحذر الكلي»[1].

الأرض كروية أم مسطحة ؟

ويتحدث سفر الرؤيا عن الأرض وقد رآها يوحنا مسطحة لها أربع زوايا ، ويقف ملَك عند كل زاوية من الزوايا الأربع ، يقول يوحنا : « **وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض ، ممسكين أربع رياح الأرض ، لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما** » (الرؤيا ٧ : ١) ، وقد أعاد يوحنا ذكر زوايا الأرض الأربعة ثانية في قوله : « **ثم متى تمت الألف السنة يُحَل الشيطان من سجنه ، ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض** » (الرؤيا ٢٠ : ٧).

وأكد متى هذا التصور للأرض حين تحدث عن تجربة إبليس للمسيح ، فعندما أراد أن يريه جميع ممالك الأرض أصعده إلى جبل عال ، فرأى جميع العوالم والممالك، « **ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها** » (متى ٤ : ٨) .

والذي مكنه من رؤيتها علو الجبل الذي صعد عليه ، وهذا قد يستقيم فيما لو كانت الأرض مسطحة ، لكنه يستحيل مع كرويتها ، كما لا يخفى .

وهذا النص كان واحدًا من أسئلة التي طرحها زاباتا أمام لجنة من اللاهوت في جامعة سالا منكا ١٦٢٩م، وأكد لهم شكوكه في بعض المعطيات الإنجيلية ، ومنها «نجم بيت لحم، وفي الإحصاء المزعوم لكل الأرض الذي أجراه أغسطس، وفي قتل الأبرياء ،

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية، الشماس منسى القمص، ص (١٢٠).

وإغراء الشيطان ليسوع فوق جبل يستطيع الإنسان منه أن يرى كل ممالك الأرض. وأين كان يقع هذا التل العجيب؟ »[1].

لكن هذه الأسئلة لم تجد جوابًا إلا سَوق زاباتا إلى المحرقة عام ١٦٣١م، ليلقى في زفيرها الجواب المفحم على أسئلته التي أعيى الكنيسة أن تجد له جوابًا.

وقد سبقه أوريجانوس في القرن الثالث إلى إنكار هذا النص : «إن القصص الواردة في الكتاب المقدس والتي تقول: إن الشيطان صعد بعيسى إلى جبل عالٍ، وعرض عليه ملكوت الأرض ليست إلا أساطير»، ونجا من الإدانة والحرق بفضل تخريج ذكي لجأ إليه، وهو التخلص من دلالات النصوص الظاهرية أو ما يسميه «الحرفية»، والهروب منها إلى التفسير الرمزي الذي يمسخها : «إن هذه القصص قد اخترعت في بعضٍ لكي توضح بعض الحقائق الروحية» [٢].

يقول المؤرخ يوحنا موسهيم: «هذا المتوقد الذكاء رأى أن لا طريقة سهلة يناضل بها عن كل ما قيل في الكتب المقدسة ضد أشراك الهراطقة وأعداء المسيحية لو فسر لغة الكتاب المقدس حرفيًا؛ صمم عزمه على تفسير الكتاب المقدس كما اعتاد الأفلاطونيون على أن يفسروا تاريخ آلهتهم، فعلَّم أن الكلمات في أماكن كثيرة من الكتاب المقدس لا معنى لها، وفي بعض الأماكن حيث اعترف بان لها معنى ما؛ اعتقد بأنه يراد بالعبارة المذكورة معنى سري مكتوم»[٣].

---

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (٣٨/ ٢٠٢).

(٢) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١١/ ٣١١).

(٣) تاريخ الكنيسة ، يوحنا لورانس موسهيم، ص (١٠٥).

ثالثًا : أغلاط بشهادة العقل :

كما ثمة أغلاط في الأناجيل يشهد العقل بأنها لا تصدر عن الوحي ، لأنه أي العقل يشهد بخطئها وجهل قائلها بقوانين الله في الطبيعة .

نجم في سماء أورشليم :

ذكر متى قصة المجوس الذين جاءوا للمسيح عند ولادته وسجدوا له فقال : « **ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيردوس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق ، وأتينا لنسجد له .. ذهبوا إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ، ووقف فوق حيث كان الصبي ، فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا ..** » (متى ٢ : ١-١٠) .

فعند عرض القصة على العقل فإنه يرفضها لأمور :

أن متى يتحدث عن نجم يمشي ، وحركته ـ على رغم بعده الهائل ـ ملحوظة على الأرض تشير إلى بعض أزقة أورشليم دون بعض ، ثم إلى بيت من بيوتها ، حيث يوجد المسيح ، فيتوقف وهو في السماء ، فكيف مشى ، وكيف دلهم على البيت ، وكيف وقف ؟! وكيف رأوا ذلك كله ؟ أسئلة ليس لها إجابة .

كيف عرف المجوس خبر المسيح ونجمه وهم لا يعرفون الله ؟ وكيف يسجدون لنبي وهم لا يؤمنون بدينه ؟

وهنا يجيب أوريجانوس: «المجوس على اتصال بالأروح ، وبتوجيههم يستخدمونهم في الأغراض التي يريدونها، وهم ينجحون في هذه الأعمال طالما كان لا يظهر شيء أكثر روحانية .. [ولما ولد يسوع] فقدت الأرواح قوتها، وصارت ضعيفة

.. أدركوا أن السبب لابد أن يكون جوهريًا ، وإذا رأوا علامة من الله في السماء»[1].

ويواصل أوريجانوس تفسير ما حدث ، فيستعين بأساطير الوثنيين «لقد لوحظ أنه عند الحوادث الهامة وتغيرات التاريخ البعيدة الأثر تظهر نجوم من هذا النوع للإشارة إلى تغييرات في الأسر والحروب .. لقد قرأنا في الكتاب الذي كتبه كيريميون الرواقي عن المذنبات، وكيف كانت تظهر أحيانًا عندما تكون هناك حوادث سارة مزمعة أن تحدث»[2].

ثم لماذا تحمل المجوس عناء هذه الرحلة الطويلة ؟ هل لمجرد أن يسجدوا بين يديه ويقدموا له الهدايا ثم يعودون !! ؟ أليس هذا الخبر من الكذب بدليل أن أحدًا من قدماء المجوس ومؤرخيهم لم ينقل مثل هذا ، وكذلك لم ينقله الإنجيليون الآخرون ، ومنهم لوقا الذي تتبع كل شيء بتدقيق .

كما يتحدث النص عن اهتمام الوالي هيرودس بأمر المولود وأنه أضمر قتله ، وطلب من المجوس أن يخبروه إذا وجدوا الطفل ليسجد له ، ثم أُوحي للمجوس في المنام أن لا يرجعوا لهيرودس ، ففعلوا ، فلو كان اهتمام هيرودس حقًا لقام معهم إلى بيت لحم وهي على مقربة من أورشليم ، أو لأرسل معهم خاصته ، إذ الموضوع بالنسبة إليه جِدٌّ خطير .

وأما ما ذكره متى عن قتل هيرودس للأطفال بعد تواري المجوس قبل أن يقف على الطفل فهذا كذب بدليل أن أحدًا من المؤرخين لم يذكره على أهمية هذا الحدث، كما ننبه إلى أن هيرودس الكبير قد مات سنة (٤ ق م) كما تذكر ذلك كافة المصادر التاريخية .

(١) ضد كلسس (سلوس)، أوريجانوس، (الكتاب الأول، الفقرة ٦٠).
(٢) المصدر السابق (الكتاب الأول، الفقرة ٥٩).

يقول الأب الكاثوليكي ريموند براون: « فحصتُ كل أثر لذلك من السجلات الفلكية في فترة ميلاد يسوع: المذنبات، وتزامن الكواكب، ونجوم السوبر نوفا (النجم المستعر الأعظم). وأصبح جليًا أنه لا يوجد سجل فلكي لما وصف في إنجيل متى ... درستُ كافة السجلات التاريخية حول ولاية كيرينيوس على سوريا والتعدادات التي أمر بها أوغسطس وحتى التعداد السكاني (لليهودية، لم يشمل الناصرة) والذي أجري تحت ولاية كيرينيوس وتم بعد حوالي عشر سنوات من وفاة هيرودس الكبير ويفترض بالتالي أن يكون قد حدث بعد ميلاد يسوع »(١).

الركوب على الجحش والأتان معًا :

ومما يكذبه العقل ولا يتصوره ما ذكره متى عند حديثه عن دخول المسيح أورشليم فقال : « **وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما ، فجلس** (أي المسيح) **عليهما** » (متى ٢١: ٧) فجلوس المسيح على الجحش والأتان معًا لا يتصوره العقل .

وهو غلط وكذب أراد متى من خلاله أن يحقق قراءته الخاطئة لنبوءة توراتية «**فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : قولوا لابنة صهيون : هو ذا ملكك يأتيك وديعًا راكبًا على أتان وجحش ابن أتان** » (متى ٢١: ٤-٥) ، فمتَّى هنا يقتبس نبوة زكريا القائلة : « **ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون ، اهتفي يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتي إليك ، هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان** » (زكريا ٩: ٩) ، و- كعادة الإنجيليين - لا يجد متى ويوحنا أي حرج في تغيير النصوص التوراتية عندما وجد ما يستدعي ذلك ، فقد عمد إلى اختصار النص ، وحذف من

---

(١) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، الأب ريموند براون، ص (١٥٥-١٥٦)، وأحال إلى تفاصيله في كتابه الآخر «ميلاد المسيا».

الاقتباس ما لا يتناسب مع شخص المسيح ، وهو قوله : « **عادل ومنصور** » ، لأنه أدرك أنها ستثير عليه مشاكل، فالمسيح ليس بالملك الأرضي المنتظر الذي من صفاته العدل والظفر ، فحذف هاتين الصفتين ، وأبقى صفة الوداعة والركوب على الحمار والجحش معًا .

لكن ههنا أخطأ البشير متى في قراءة النص التوراتي، فنص زكريا وفق القراءة الصحيحة له؛ لم يتحدث عن «**راكب على حمار وعلى جحش ابن أتان**»، بل هو وفق عدد من النسخ، ومنها العربية المشتركة والبولسية هكذا: « **وراكب على حمار؛ على جحش ابن أتان**»، أي بحذف أداة العطف التي تجعل الحمار والجحش مركوبين اثنين، يقول الأب متى المسكين في بيان هذا الخطأ النساخي: «معروف أن الأدب النبوي اليهودي وخاصة ما يأتي منه بالأشعار؛ يأتي تكرار الكلام لتحسين النغم والوزن ولتوضيح المعنى .. عاد يكرر راكبًا على حمار، ثم أراد أن يوضح أنه حمار صغير «**ابن أتان**»، فأخطأ النساخ وبعدهم المترجمون وكتبوها : «**على حمار وعلى جحش ابن أتان**» بإضافة الواو، فجاء المعنى مغلوطـًا ، وكأنه جالس على حمار وعلى جحش معًا، والصحيح: أنه حمار صغير، أي جحش ... ولكن كما فهم النساخ للترجمة السبعينية هكذا نقل عنها القديس متى في انجيله كما هي، واضطر أن يعدِّل المعاني والألفاظ، لتصير بالمثنى، أي: «**حمار وجحش ابن أتان**» معًا» .. وهذا الخطأ بالنقل غير المقصود تلافاه كل من القديسين مرقس ولوقا ويوحنا حيث ذكروا أنه جحش واحد»[١] .

عجائب متى عند موت المصلوب :

ومثله يرفض العقل ما حكاه متى من عجائب حصلت عند موت المسيح يقول: « **وأسلم الروح ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض**

---

(١) شرح إنجيل القديس يوحنا ، الأب متى المسكين (١/ ٧٢٨) .

تزلزلت ، والصخور تشققت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧ : ٥١-٥٤).

والقصة من الغلط بل والكذب ، إذ لم يعهد مثل هذه العودة للقديسين والراقدين، ولم يعهد أن عاد هؤلاء أو غيرهم من الموت .

ثم ماذا بعد العودة هل تزوجوا ؟ وهل عادوا لبيوتهم ؟ أم ماتوا بعدها ؟ أم .. ، ثم ماذا كانت ردة فعل اليهود وبيلاطس والتلاميذ أمام هذا الحدث العظيم ؟

الإجابة : لا شيء . إذ لم يذكر شيء عند متى ولا عند غيره ممن لم يذكر هذه العجائب ، ولو كانت حقًا لسارت في خبرها الركبان ، ولآمن الناس بالمسيح حينذاك، يقول الأب كننغسر : يجب الامتناع عن الهزء (أي بمثل هذه الأخبار) ، لأن نية متى كانت محترمة جدًا ، إنه يدمج المعطيات القديمة للرواية الشفهية مع مؤلَفه ، ولكن يبقى إخراجه لائقًا بعيسى ، المسيح النجم .

وقال أندريوس نورتن (ت ١٨٥٣م) الملقب بحامي الإنجيل في كتابه: «براهين أصالة الأناجيل» : « هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة عند اليهود بعد ما صارت أورشليم خرابًا ، فلعل أحدًا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ، وأدخلها الكاتب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم ، فترجمها على حسبه » [١].

ونقول ما قاله العلامة أبو زهرة : « لعل كثيرًا مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن » ، فكيف يتسنى لنا بيان هذا الزائف وإخراجه من الكتاب ؟ [٢] .

---

(1) The Evidences of the Genuineness of the Gospels . Andrews Norton.pp 442.

(٢) محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة ، ص (١٠٧).

كيف اختفت هذه الأغلاط وغيرها عن أعين النصارى :

لقد بقيت هذه الأغلاط وغيرها حبيسة دفتي الكتاب المقدس قرونًا طويلة ، بقي خلالها الكتاب المقدس حكرًا على رجالات الكنيسة بعيدًا عن أيدي العامة الذين لم يكونوا يقرؤونه ، فالكنيسة «لم تكن تشجع هذه القراءة، لأنها لم تكن تثق بتفسير العامة لأسرار الكتب الدينية»[١] ، ووفق عبارة المؤرخ أندرو ملر: «ولم تكن الكتب المقدسة قبلاً متاحة للعلمانيين»[٢]، لكن لاحقًا قرر مجمع تولوز ١٢٢٩م «جعل حيازة الكتاب المقدس جريمة كبرى» حين أصدر قراره: « منع كتب العهد القديم والجديد عن العلمانيين ؛ إلا من كان يريد منهم اقتناء كتاب المزامير .. ولكنا نحرم تحريمًا باتًا ترجمة أي جزء من الكتاب الأخرى إلى اللغات الدارجة » [٣] .

وهو قرار امتدحه الكاهن الكاثوليكي جون مسلييه (ت ١٧٣٣م) راعي أبرشية في شمبانيا في كتابه «عهدي الجديد» الذي نشره بعد موته، فقال في هجومه القاسي على كنيسته ودينها: «الكنيسة كانت حكيمة إلى حد ما في إبعاد الكتاب المقدس عن العامة، وكان يجدر بها أن تحتفظ به بعيدًا عن متناول رجال الدين أيضًا»[٤].

ولما ظهرت الطباعة حاولت الكنيسة منع طباعة الكتاب وأصدرت مراسيم شهيرة تتوعد بالحرق والقتل من يقوم بذلك كمراسيم أراندل ، وقد نفذت هذه المراسيم بالفعل ، لكن ذلك كله لم يفد شيئًا ، فقد انتشرت نسخ الكتاب المقدس وبعض ترجماته في القرن السادس عشر .

فلم تيأس الكنيسة التي أكد آباؤها أن شرح الأناجيل وفهم ما فيها هو من اختصاص البابا الذي يُعينه في ذلك روح القدس ، لكن مارتن لوثر وأتباعه رفضوا هذه

---

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١٧/ ١١).

(٢) مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ، ص (٣٤٥)

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة ، أندرو ملر ، ص (٣٤٥) ، ويجدر التنبيه أن هذا المجمع هو الذي أنشأ محاكم التفتيش .

(٤) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (٣٨/ ١١).

الخصوصية للكنيسة ، وطالبوا بأن يكون حق قراءة وفهم الكتاب المقدس لكل أحد ، فانعقد مجمع ترنت نوتردام في ١٥٤٢-١٥٦٣م للرد على دعوة لوثر الذي ينادي بنشر الكتاب المقدس الذي رآه لوثر لأول مرة حين كان عمره عشرين سنة !!

وكان من قرارات مجمع تريدنت نوتردام : « إذا كان ظاهرًا من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللفظ الدارج ، فالشر الناتج من ذلك أكثر من الخير ، فلأجل هذا ليكن للأسقف أو القاضي في بيت التفتيش سلطان حسب تميزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف ليأذن في قراءة الكتاب باللفظ الدارج لأولئك الذين يظنون أنهم يستفيدون ، ويجب أن يكون الكتاب مستخرجًا من معلم كاثوليكي ، والإذن المعطى بخط اليد ، وإن كان أحد بدون الإذن يتجاسر أن يتجرأ أو يأخذ هذا الكتاب فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم »[1] .

ويبدو في قرار المجمع هروب وهلع من اكتشاف العامة لأغلاط الكتاب المقدس وما فيه من المفاسد ، وهو ما يؤكده بعض المحققين ، حين يربطون بين الإلحاد الذي شاع في أوربا وانتشار نسخ الكتاب المقدس واطلاع العامة على ما فيه .

رأي النصارى في أغلاط كُتّاب الأناجيل :

وبعد : لعل المرء يتساءل ما هو رأي النصارى بأغلاط الأناجيل ؟ وهل يقرونها؟

في الإجابة نقول : لا ريب أن أتباع الكنيسة الذين أغلقوا عقولهم في وجه الحقيقة يرفضون أن يحوي الإنجيل غلطًا ، لأن روح القدس لا يغلط ، ومن هؤلاء الدكتور القس شروش حيث يقول : « إنا نعلم أن الإنجيل هو وحي الله ، لأن التنبؤ بالأحداث قد تم قبل وقوع الأحداث بقرون ، إن للإنجيل تأثيره على المجتمعات البشرية طالما تم الإيمان به والعمل بمقتضاه . أكثر من ذلك فإن دقة الإنجيل قد

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٣٥٢) .

وجدت من يتحداها ، ولكنها لم تجد من ينجح في التحدي » .

ويقول أيضًا : « إن صحة محتويات الإنجيل قد أثبتتها الوثائق التاريخية والحفريات الأثرية والوثائق القديمة ، وتوجد الآن أكثر من خمس وعشرين ألف وثيقة من الوثائق المقدسة بالمتحف البريطاني من أجلكم ، لكي تتأكدوا من صحة مشيئة الله »[١] .

ولما كانت الحقيقة ـ بوجود الغلط في الأناجيل والرسائل ـ ساطعة كالشمس عمل بعض علماء النصرانية على التخلص من هذه الأغلاط بالإقرار بأن الإلهام لم يكن مصاحبًا للإنجيليين حال كل كتابة كتبوها ، يقول هورن : « إذا قيل إن الكتب المقدسة أوحي بها من عند الله لا يراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله .. ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ، وفي كل حكم كانوا يحكمون به » .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة هل هو إلهامي أم لا ؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها ، فقال جيروم وكثيرون : ليس كل قول إلهامي .. الذين قالوا : إن كل قول إلهامي لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة »[٢] .

وهذا القول يطالب قائلوه بتعيين المواضع غير الإلهامية وإقامة الدليل على خصوصها بعدم الإلهام أو إقامة الدليل على خصوص المواضع التي يقولون بإلهاميتها ، وإذا لم يتم ذلك وجب التوقف في شأن الكتب المقدسة ، إذ فيها ما هو عمل بشري لا يجوز اعتباره مصدرًا دينيًا .



---

(١) انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ص (٣٥) .

(٢) إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٣٥٨) .

التحريف في العهد الجديد

ولقد يتساءل المرء أين وقع التحريف في الأناجيل ؟ هل وقع من الإنجيليين وأصحاب الرسائل ، أم من النساخ الذين تصرفوا في النصوص حسب أهوائهم وعقائدهم ، أم من أولئك الذين أضافوا القداسة للكتب الشخصية التي خطها الحواريون ، أم من ذلك كله ؟ ولعل الأخير هو أولاها بالصواب .

أولاً : تحريف الإنجيليين : هل كان الإنجيليون أمناء في النقل عن بعضهم ؟

أصبح من المسلم به - كما أسلفنا - أن لوقا نقل ما نسبته ٥١٪ من فقرات إنجيل مرقس ، بينما نقل متى ما نسبته ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس . فهل كان متى ولوقا أمينان في نقلهما عن مرقس ، أم كانا يتصرفان بنص مرقس كما يحلو لهما ؟

الحقيقة البينة أن كلا الاثنين تصرف برواية مرقس حسب ما تبدى له ، وخاصة متى الذي كان يضخم دائمًا فيما ينقله من أحداث ينقلها من رواية مرقس ، لتناسب غلوه في شخص المسيح أو لتحقق نبوءة توراتية لم تحققها رواية مرقس ، بينما اهتم لوقا بتنقيح المواقف التي تظهر يسوع على صورة لا يقبلها في إنجيل مرقس، يقول الأب الكاثوليكي ريموند براون: «يظهر أن متى لديه عادة التضخيم في صنع المعجزات وجعلها أكثر مأساوية. .. ميل لوقا لتلطيف أي شيء يعكس غضب يسوع»[1].

والأمثلة على تحريف «التضخيم» و«التلطيف» كثيرة ذكرها المحققون ، منها :

---

(١) ١٠١ سؤال وجواب حول الكتاب المقدس، الأب ريموند براون، ص (١٢٩).

* حين كان المسيح في الجليل يعلِّم؛ قال عنه بعض سامعيه: «**أليس هذا هو النجار ابن مريم أخو يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان؟**» (مرقس ٦: ٣)، ولحظ متى في عبارة «**النجار ابن مريم**» تعريضًا في نسب المسيح، بنسبته إلى أمه كما ينسب أبناء الزواني[1]، فعمد إلى تغيير العبارة، لتصبح: «**أليس هذا ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا.؟**» (متى ١٣: ٥٥).

وما فعله متى هنا ، ولوقا في مواضع أخرى هو محاولات منهما: «أن يصقلا أسلوبه بطرق كثيرة»[2] ، ولفظة «الصقل» أكثر دبلوماسية في وصف ما فعله متى ولوقا من تحريف متعمد ، فـ«من صفات إنجيل مرقس الصراحة التامة في سرد القصة، مما جعل البشيرين متى ولوقا يحاولان تخفيف وقع هذه الصراحة»[3]، ووفق عبارة حبيب سعيد: «حاولا بكل تدقيق وعناية أن يلطفا قصص مرقس التي رواها شهود العيان .. ففي بشارة مرقس مثلاً نرى يسوع يدهش، أو يكتئب، أو يغضب، أو يحزن، ولكن متى ولوقا يهملان هذه التفاصيل عادة»[4].

إن استخدام ألفاظ «الصقل» و «التلطيف» و«التخفيف» لن يثنينا عن تعرية الحقيقة، وتسميتها باسمها الحقيقي (التحريف)، ويمكن لنا أن نقرنه بمبرره، فنسميه «تحريف الصقل» و «تحريف التلطيف».

وفي هذا الشاهد نلحظ أمرًا جديرًا بالنظر، فقد اتهم كلسس الوثني المسيح بأنه نجار، وهو اتهام صحيح مطابق لما ورد في (مرقس ٦: ٣)، لكن خصمه أوريجانوس

(١) انظر: ألغاز الإنجيل، فراس السواح، ص (٨٣) .
(٢) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، ص (٢١٧) .
(٣) المصدر السابق، ص (٢١٦) .
(٤) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٥٩) .

صاحب المعرفة الواسعة في الأسفار المقدسة ردَّ عليه: «إن كليسوس أعمى بالنسبة لهذا الموضوع ، إنه لم يُذكر في أي من الاناجيل الموجودة في الكنيسة على أن المسيح وصف أنه نجار!!»، فكيف جحد أوريجانوس نص مرقس؟

يقلِّب البرفسور بارت إيرمان الاحتمالات، ويبدأ بأيسره، وهو أن أوريجانوس نسي نص مرقس، أو أنه كانت لديه نسخة أخرى لا تجعل المسيح نجارًا، وهذا ما يميل إليه إيرمان ، لأن «هناك مخطوطات تحتوي على هذا التغيير، وفي إحدى النسخ الأولى من مخطوطات إنجيل مرقس، والتي تدعى (P^{45}) والتي تعود إلى أوائل القرن الثالث، وفي عدة نسخ لاحقة فإن الآية تقرأ بشكل مختلف، حيث يسأل اهل بلد يسوع: (اليس هذا هو ابن النجار)» [1]، ولو صح هذا فإننا أمام تحريف نساخ المخطوطات في إنجيل مرقس .. تحريف انطلى على الجميع من لدن مرقس إلى يومنا هذا، ولا يستثنى إلا شخص متى الذي تنبه للتحريف ، وكتب القراءة الصحيحة.

* يقول مرقس عن المصلوب : « **أعطوه خمرًا ممزوجةً بمر** » (مرقس ١٥: ٢٣).

لكن متى نقل عن مرقس وغيّر ، فقال : « **أعطوه خلًا ممزوجًا بمرارة** » (متى ٢٧: ٣٤) ، ومن المعلوم أن الخل غير الخمر .

ولقد قصد متى من هذا التغيير أن يحقق النبوءة التوراتية المزعومة « **يجعلون في طعامي علقمًا ، وفي عطشي يسقونني خلًا** » (المزمور ٦٩: ٢١) ، فأبدل كلمة الخمر التي كتبها مرقس بالخل .

يقول مرقس : « **إن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي** » (مرقس ٣: ٣٥) .

---

(١) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٢٥٣).

وينقلها متى : « **إن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي** » (متى ١٢: ٥٠) . فكلمة أبي وضعت لأسباب لاهوتية .

❋ ومثله يقال عندما سأل المسيح تلاميذه عما يقولون فيه ، فأجاب بطرس : « **أنت المسيح** » (مرقس ٨: ٢٩) .

لكن متى عدل في إجابة بطرس وجعلها : « **أنت هو المسيح ابن الله الحي** » (متى ١٦: ١٦) .

❋ ومثله لما ظهر لهم المسيح مع موسى قال بطرس لسيده كما ينقل مرقس : « **يا سيدي جيد أن نكون هنا** » (مرقس ٩: ٥) .

ولكن متى يعدّل نص مرقس ، ويقول : « **يا رب جيد أن نكون ههنا** » (متى ١٧: ٤) .

❋ ومن غلو متى تغييره لما جاء في مرقس عن عدم قيام المسيح بالمعجزات في الجليل حيث يقول : « **ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم** » (مرقس ٦: ٥-٦) . حيث لم يصنع ولا قوة واحدة ، لكنه شفى قليلين ، لكن شفاء القليلين لم يكن كافيًا لإيمان أولئك القساة ، فتعجب المسيح لعدم إيمانهم .

لكن متى عزّ عليه أن لا يصنع المسيح أي قوة ، فقال : « **ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم** » (متى ١٣: ٥٨) . إذًا هو صنع معجزات ، ولكن ليس كثيرًا ، وبرر قلة المعجزات بعدم إيمانهم . فأصبحت سببًا لقلة المعجزات بعد أن كانت عند مرقس نتيجة لها .

❋ وحين أخبر مرقس عن طلب الفريسيين آية من المسيح، «**فتنهد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية** » (مرقس

٨: ١٢)، وهكذا فلا معجزة لذلك الجيل، وهو بهذا اللفظ خاطئ يناقض ما يروى عن معجزات المسيح، فتولى متى إعادة الصياغة، لتصبح مقولة المسيح أكثر قبولاً: « **جيل شرير فاسق يلتمس آية ، ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي، ثم تركهم ومضى**» (متى ١٦ : ٤)، ورغم هذا التعديل ، فإن مشكلة النص لا تنتهي ، إذ المسيح لم يحقق آية يونان النبي؛ علاوة على أنه صنع العديد من المعجزات.

* ومثله تلاعب لوقا بما نقله عن مرقس ، فقد أورد مرقس ـ الذي تصفه المصادر المسيحية بأنه يقدم أصدق صورة عن المسيح ـ أورد آخر عبارات المصلوب على الصليب، وكانت صراخه اليائس « **إلهي إلهي ، لماذا تركتني** » (مرقس ١٥ : ٣٤).

لكن لوقا ـ وكما يرى ول ديورانت ـ لم تعجبه عبارة مرقس ، ورآها لا تتفق مع تعليم بولس عن المسيح الفادي الذي جاء ليصلب ، فأبدلها بقوله : « **يا أبتاه في يديك أستودع روحي** » (لوقا ٢٣ : ٤٦) .

* والغلو عند متى في شخص المسيح جعله يخالف مرقس في كثير من الأحداث التي نقلها عنه ، فزاد فيها بما اعتقد أنه يرفع من قدر المسيح ، من ذلك أن مرقس ذكر خبر المجنون الممسوس بالشياطين والذي شفاه المسيح وأخرج منه الشياطين وجعلها تدخل في الخنازير ، فيقول : « **وجاءوا إلى عبر البحر ، إلى كورة الجدريين ، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس .. فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له ، وصرخ بصوت عظيم وقال : ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي . أستحلفك بالله أن لا تعذبني ..**

وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى . فطلب إليه كل الشياطين قائلين : أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها . فأذن لهم يسوع للوقت ، فخرجت الأرواح النجسة ، ودخلت في الخنازير » (مرقس ٥ : ٢-١٣) .

لكن متى جعل صاحب القصة مجنونان بدلًا من واحد فقال : « **ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدًا .. وإذا هما قد صرخا قائلين : ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ! أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟**

وكان بعيدًا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . فالشياطين طلبوا إليه قائلين : إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير . فقال لهم : امضوا ، فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير » (متى ٨: ٢٨-٣٢) .

ويحاول القمص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متى التوفيق بين روايتي المجنون والمجنونين ، فيقول : « يبدو أن أحد المجنونين كان شخصية معروفة هناك ، وأن جنونه كان شديدًا بطريقة واضحة ، فاهتم به القديسان لوقا ومتى متجاهلين المجنون الآخر »[1]، إذًا فشهرة أحد المجنونين جعلت البشيرين يغفلان ذكر معجزة المسيح بشفاء المجنون الآخر ، لأنه مجنون مغمور وليس بمشهور !

* وذكر مرقس ولوقا شفاء الأعمى ، يقول مرقس : « **وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس جالسًا على الطريق يستعطي . فلما سمع أنه يسوع الناصري ابتدأ يصرخ ويقول : يا يسوع ابن داود ، ارحمني .. فأجاب يسوع ، وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : يا سيدي أن أبصر . فقال له يسوع : اذهب . إيمانك قد شفاك . فللوقت أبصر ، وتبع يسوع في الطريق** » (مرقس ١٠ : ٤٦-٥٢ ، وانظر لوقا ١٨ : ٣٥-٤٢) .

لكن متى روى نفس القصة وجعل الأعمى أعميين اثنين ، فقال : « **فيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير . وإذا أعميان جالسان على الطريق ، فلما سمعا أن**

---

(١) تفسير إنجيل متى، تادرس يعقوب ملطي، ص (٢٠٦).

يسوع مجتاز صرخا قائلين : ارحمنا يا سيد ، يا ابن داود .. فوقف يسوع وناداهما وقال: ماذا تريدان أن أفعل بكما ؟ قالا له : يا سيد أن تنفتح أعيننا . فتحنن يسوع ولمس أعينهما ، فللوقت أبصرت أعينهما ، فتبعاه » (متى ٢٠ : ٢٩ ـ ٣٤) ، فهذا غلو من متى وتحريف للقصة التي ينقلها عن مرقس .

ولا يفوتنا هنا التنبيه على أن لوقا جعل القصة قبل دخول المسيح إلى أريحا فقال : « **ولما اقترب من أريحا كان أعمى جالسًا على الطريق يستعطي** » (لوقا ١٨ : ٣٥) ، فهل شفى المسيح الأعمى قبل دخوله أريحا أم بعد خروجه منها ؟!

وثمة تحريف آخر وقع به الإنجيليون في هذه الواقعة ، وهو مكان حصول هذه المعجزة ، هل هو كورة الجدريين كما زعم مرقس (٥ : ١) ولوقا (٨ : ٢٦) أم هو كورة الجرجسيين كما في متى (٨ : ٢٨) ، فالاسمان يدلان على مكانين مختلفين ، فالأول منهما كما تقول دائرة المعارف الكتابية تقع اليوم في « أطلال أم قيس على المرتفعات جنوبى العيون الساخنة في وادي اليرموك والمسماة « الحمة » على بعد نحو ستة أميال إلى الجنوب الشرقي من بحر الجليل » .

وأما كورة الجرجسيين فتقع على بعد ستين كيلو متر إلى الجنوب من جدرة ، وما تزال أطلال هذه المدينة الرومانية الشهيرة ترى اليوم في مدينة جرش الأردنية ، وموقع المدينتين ظاهر لكل من نظر خريطة من خرائط الكتاب المقدس ، ولسوف يلحظ الناظر للخريطة أمرًا آخر مهمًا ، وهو أن كلا المدينتين لا تقعان بجوار بحر ، فلا تصلحان مكانًا لهذه الأعجوبة .

ويحار الشراح في تقريب المكانين البعيدين ، فتتفق عقلية كاتبو دائرة المعارف عن افتراض لا دليل عليه ، فقالوا بأنه « من المؤكد أن سلطان جدرة ـ باعتبارها المدينة الرئيسية

في تلك المنطقة ـ قد امتد إلى كل المنطقة شرقي البحر بما فيها مدينة « جرسة»[1] ، وبهذه الطريقة البهلوانية أصبحت كورة الجرجسيين هي ذاتها كورة الجدريين !

* وأخبر مرقس عن قدوم المسيح لأورشليم راكبًا على جحش فيقول : «**أرسل اثنين من تلاميذه ، وقال لهما : اذهبا إلى القرية التي أمامكما ، فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشًا مربوطًا لم يجلس عليه أحد من الناس . فحلاه، وأتيا به .. الرب محتاج إليه ... فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما** (أي التلميذين) **فجلس عليه** » (مرقس ١١ : ١-٧) .

لكن متى بالغ في روايته لنفس الخبر ، فجعل المسيح راكبًا على أتان وجحش في وقت واحد ! يقول متى : « **حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلًا لهما : اذهبا إلى القرية التي أمامكما ، فللوقت تجدان أتانًا مربوطة وجحشًا معها ، فحلاهما، وأتياني بهما ... الرب محتاج إليهما .. وأتيا بالأتان والجحش ، ووضعا عليهما ثيابهما ، فجلس عليهما** » (متى ٢١ : ١-٧) .

وأما العالم المسيحي يوحنا بن زكريا المعروف بابن سباع ، فرأى أن يستثمر هذا الركوب المزدوج على حيوانين في وقت واحد، فجعل منه معجزة باهرة : «إن ركوبه على حيوانين يمشيان مشيًا واحدًا صار أعجوبة، وجعل الناس يصرخون قائلين: هو شعنا (خلصنا) يا ابن داود، هو شعنا في الأعالي، مبارك الآتي باسم الرب»[2].

بينما ينبِّر الأب متى المسكين على دلالة ركوب المسيح على الحمار، فقد كان

---

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية (٢/ ٥١١) .

(٢) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، ابن سباع، ص (١٦٢) .

هذا «رمز السلام»، يرى أن التنصيص على أن الحمار ابن أتان يكتنف سرًا أخلاقيًا بليغًا ، فهو حمار ابن حمار وأتان ، وليس بغلًا ولا حصانًا ، فـ « ذكر ابن أتان تأكيدًا لتواضعه ؛ أنه حمار ، وهذا بيت القصيد » ، وأما العبارة الفجة التي وردت في القصة «الرب محتاج إليهما» (الأتان والجحش)، فحاول المسكين تجميلها بالقول: «الرب لا يحتاج إلى شيء، فهي مجرد تغطية حتى لا يفهم الغريب ما وراء الكلمات.. فالجو مشحون بسرية الرمز والنبوة»[1].

* ولما تحدث المسيح ﷺ عن يوم القيامة أخبر أنه لا يعلم متى يكون ، فقال : « **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن ؛ إلا الآب** » (مرقس ١٣: ٣٢) ، وهو خبر لم يناسب متى الذي لا يتخيل المسيح غير عارف بموعد القيامة ، فعدل النص وقال : « **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السموات ؛ إلا أبي وحده** » (متى ٢٤: ٣٦)[2].

* ومثله في التحريف زيادات متى الخيالية على الأحداث التي صاحبت موت المعلق على الصليب « **فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم ، وأسلم الروح ، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من**

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى ، الأب متى المسكين ، ص (٥٦٨، ٥٧٦، ٥٧٧).

(٢) قد يكون التحريف في هذا المثال من فعل نساخ المخطوطات، وليس الإنجيلي متَّى، فقد ورد نص إنجيل متَّى في كثير من المخطوطات، ومنها الفاتيكانية والسينائية، وفيه «**ولا الابن**» مطابقًا لما في مرقس، وهو ما نجده في معظم الطبعات العربية والأجنبية، بينما تمسكت نسخة الفانديك وأخواتها التقليدية بحذف كلمة «**ولا الابن**»، اعتمادًا على فقد الكلمة من الكثير من المخطوطات، وفي مقدمتها : واشنطن، وباسيل (ق٨)، وهيراكلينس (ق ٧) .

القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧: ٥٠-٥٣) ، هذا ولم يذكر لنا متى شيئًا عما فعله هؤلاء العائدون من الموت ، ولا عن ردة فعل الناس على ظهورهم وعلى تلك الأحداث العظيمة .. .

وهذه الأعجوبة على ضخامتها وأهميتها لم يشر إليها مرقس ، ولو كانت حقًا لما صح أن يهملها لأهميتها ، كذلك لم يذكرها لوقا ـ المتتبع لكل شيء بتدقيق ـ ولا يوحنا ، فثبت أنها من وضع متى ونسج خياله .

* وأراد يوحنا المعمدان أن ينبِّر على مكانة المسيح، فقال: «**يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أنحني، وأحل سيور حذائه، أنا عمدتكم بالماء، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس**» (مرقس ١: ٧)، ونقرأ القول نفسه في لوقا مع زيادة: «**يأتي من هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار** » (لوقا ٣: ١٦)، فقد أضاف: «**ونار**».

وأما متى فنقل القصة نفسها، فلا هو مثل متى، ولا يطابق لوقا، بقول: «**أنا أعمدكم بماء للتوبة ، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلا أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار** » (متى ٣: ١١)، فوافق متى لوقا في زيادة «**ونار**»، وخالفه في موضوع الحذاء، فالمعمدان بحسب متى قال: «**لست أهلاً أن أحمل حذاءه**»، بينما بحسب مرقس ولوقا ويوحنا قال: «**لست بمستحق أن أحل سيور حذائه** » (يوحنا ١: ٢٧)، وثمة فرق بين حمل الحذاء وحل أربطة الحذاء؛ وإن كان كلاهما يراد منه إظهار التواضع.

واتفاق المعنى بين النصين لن يمنعنا أن نسأل: أي العبارتين قالها المعمدان؟ وكيف تغيرت إلى القراءة الثانية؟ ألا يمكن أن يقع مثل هذا التغيير في مواطن أخرى فنتيه عنها لأنها لم تظهر في مواضع اخرى بقراءة مخالفة؟

والموضوع الأهم: هل أخبر المعمدان أن معمودية المسيح ستكون بالروح القدس فقط أم بالروح والنار؟ ومن الذي سوغ لمرقس الاختصار أو لمتى ولوقا الزيادة؟

❋ وتلاعب الإنجيليين بكلام المسيح ، وهم ينقلون قوله لتلاميذه ، فقد قال لهم ـ حسب لوقا ـ : « **أنتم أفضل من عصافير كثيرة ، أقول لكم : كل من اعترف بي قُدَّام الناس ؛ يعترف به ابن الانسان قُدَّام ملائكة الله ، ومن أنكرني قدام الناس ؛ ينكر قُدَّام ملائكة الله** » (لوقا ١٢ : ٧-٩) ، فقد جعل لوقا اعتراف المسيح وإنكاره قدام ملائكة الله .

وهو بذلك يخالف متى الذي جعل إنكار المسيح واعترافه قدام الله ، لا الملائكة ، فقد نسب إلى المسيح قوله : « **أنتم أفضل من عصافير كثيرة ، فكل من يعترف بي قُدَّام الناس ؛ أعترف أنا أيضًا به قُدَّام أبي الذي في السموات ، ولكن من ينكرني قُدَّام الناس ؛ أنكره أنا أيضًا قُدَّام أبي الذي في السموات** » (متى ١٠ : ٣١-٣٣)، فأيهما هو قول المسيح ؟! وماذا عن الآخر ؟

❋ وتحدث مرقس عن تعليم المسيح لتلاميذه وتحذيرهم من الرياء الذي يقع به الآخرون: «**وأوصاهم قائلاً: انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس**» (مرقس ٨: ١٥)، ولكن كلمة «هيرودس» تحولت عند متى إلى «الصدوقيين»، ففيه نقرأ: «**وقال لهم يسوع: انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين**» (متى ١٦: ٦)، ولا ريب أن المعنى الروحي العام للنص لن يتغير، لكن ما تغير هو الألفاظ التي ينسبها كل من الإنجيلين إلى المسيح، فإما أن المسيح قال: (هيرودس) أو قال: (الصدوقيين)، فأحد البشيرين حرَّف كلام المسيح.

❋ ومن صور التلاعب بالنصوص والتصرف فيها ما صنعه متى ولوقا في كلام

المسيح في وليمة الفريسي ، ففي إنجيل متى نقرأ: « **لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة** » (متى ٢٣ : ٣٤) ، فالمسيح نسب إلى نفسه إرسال أنبياء وحكماء وكتبة .

لكن لوقا يخالفه ، فيذكر أن المسيح نسب القول إلى حكمة الله ، لا إلى نفسه ، فيقول :« **لذلك أيضًا قالت حكمة الله : إني أرسل إليهم أنبياء ورسلًا ، فيقتلون منهم ويطردون** » (لوقا ١١ : ٤٩) .

اعترافات بالتلاعب في الأناجيل :

أمام وضوح الحقيقة لا يجد المفسر جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى من سبيل إلا يعترف بهذا التطوير للروايات ، ويحاول تبريره فيقول : « لقد حدث تحوير ملحوظ في مخطوطات (الأناجيل) ، وذلك في المواضع التي ذكرت فيها ألقاب الرب» (يسوع) [١]، فهو يعترف بوقوع التحريف ، لكنه يتهم نساخ المخطوطات، ويبرئ متى الكاتب .

والصحيح أن التلاعب بالنص يرجع إلى كُتاب الأناجيل ، وليس نساخ المخطوطات ، إذ أن الزيادة تطرِد دائمًا في متى عما في مرقس ، ولو كان الخلل في المخطوطات لما اطردت الزيادة في متى دائمًا .

وقد صدق العلامة كيز مان حين قال : « إن لوقا ومتى قد قاما بتغيير نص مرقس الذي كان بحوزتهما مائة مرة عن عمد لأسباب عقائدية » [٢] .

(١) **Saint Matthew. J Fenton. pp 271.**، والترجمة بحسب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٩٥)

(٢) انظر : عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية ، حسني الأطير ، ص (٢٠٨) .

ثانيًا : تحريف الإنجيليين في نقلهم من المصادر التوراتية :

وكذا وقع كتاب العهد الجديد في تحريف الأسفار التوراتية وهم ينقلون عنها ، ليكون صورة أخرى من صور التحريف .

❋ فقد وقع به بولس وهو ينقل عن مزامير داود ، يقول بولس : « **لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا ، لذلك عند دخوله إلى العالم ، يقول** : **ذبيحة وقربانًا لم تُرد ، ولكن هيأت لي جسدًا ، بمحرقات وذبائح لم تسر** .. » (عبرانيين ١٠ : ٤-٦) .

وقد نقل بولس النص عن المزامير ، وحرفه ، ففي المزامير « **بذبيحة وتقدمة لم تسر ، أذني فتحت ، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب** .. » (المزمور ٤٠ : ٧) ، فقد أبدل « **أذني فتحت** » بقوله : « **هيأت لي جسدًا** » ، ولا مناسبة بينهما، فقوله: «أذني فتحت» إشارة إلى شريعة توراتية وردت في سفر (الخروج ٢١: ٦)، وهي ثقب أذن العبد إذا فضل البقاء مع سيده على العتاق منه[1].

واعترف بوقوع التحريف في أحد النصين جامعو تفسير هنري واسكات ، ولم يعينوا الموضع المحرف منهما ، فقد اعتبر آدم كلارك ما جاء في المزمور محرفًا ، فيما اعتبره دوالي ورجر وديمنت في تفسيرهما ما جاء في رسالة بولس هو المحرف [٢] .

❋ ومثله وقع في التحريف كاتب أعمال الرسل حين قال: «**لأن داود يقول فيه: كنت أرى الرب أمامي في كل حين، إنه عن يميني لكي لا أتزعزع ، لذلك سُرّ قلبي، وتهلل لساني ، حتى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء**» (أعمال ٢: ٢٥-٢٦)، فلوقا ينقل هذا النص من سفر المزامير، ويغير يعض كلماته، فسفر المزامير لم يتحدث تهلل

---

(١) انظر : الله في المسيحية، عوض سمعان، ص (٣٠٩).

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٤٤٣) .

اللسان، بل عن ابتهاج الروح، فقال: «**لذلك فرح قلبي، وابتهجت روحي، جسدي أيضًا يسكن مطمئنًا** » (المزمور ١٦ : ٩)، فثمة فرق كبير بين «**لساني**» و «**روحي**»، وهو تحريف من اللاحق الذي لم يلتزم الأمانة وهو ينقل عن سفر المزامير.

❋ ويقتبس كاتب سفر رومية من سفر التثنية التوراتي، فيتلاعب بالنص كما يحلو له، ليجعل منه نبوءة تتحدث عن المسيح، فقد قرأ في السفر حديثه عن وصية الله ، وأنها ميسرة وقريبة، وليست بعيدة عن متناول أيدينا، فلا هي في السماء ولا في أعماق البحر: «**إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ، ليست عسرة عليك، ولا بعيدة منك ، ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء، ويأخذها لنا ، ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟ ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ، ويأخذها لنا ، ويُسمعنا إياها لنعمل بها؟ بل الكلمة قريبة منك جدًا، في فمك، وفي قلبك لتعمل بها** » (التثنية ٣٠: ١١-١٤).

وأراد بولس أن يصنع من النص نبوءة عن المسيح، فقام بتحوير النص وتغيير عباراته ، وإخراجه عن مساقه، فوقع في نوعي التحريف (اللفظي والمعنوي).

فأما التحريف المعنوي، فجعله النص التوراتي حديثًا عن إنزال المسيح من السماء، وإخراجه من الموت، هذا تغيير لسياق النص الذي لم يكن يتحدث عن المسيح ولا عن غيره، فمن أين أتى بولس بتفسيره الغريب حين قال: «**لأن موسى يكتب: ... وأما البر الذي بالإيمان فيقول هكذا : (لا تقل في قلبك: من يصعد إلى السماء؟) أي ليُحدر المسيح، (أو من يهبط إلى الهاوية) أي ليُصعد المسيح من الأموات ، لكن ماذا يقول: الكلمة قريبة منك، في فمك، وفي قلبك**» (رومية ١٠: ٦-٨)، فتحول النص من حديث عن وصية الله التي لا تحتاج إلى من يصهد لإحضارها إلى نبوءة عن المسيح وإنزاله من السماء.

وأما التحريف اللفظي فهو التبديل المتعمد للكلمات التي تعيق الربط بين النص والمسيح، ففي حين كان النص التوراتي يتحدث عن البحر «**من يعبر لأجلنا البحر**» ، رأى بولس ضرورة تغيير البحر والحديث عن الهاوية (الموت أو القبر)، فجعل النص هكذا : « **أو من يهبط إلى الهاوية** »، وهكذا تحول النص إلى حديث عن خروج المسيح من الموت!!.

* وأحيانًا يقع التحريف من الإنجيليين بسبب تشابه صورة الكتابة، من غير تعمد منهم، فتشابه كلمتي (الرب אלוהים) و (أدوم אדום) في الكتابة العبرية أخطأ كاتب سفر اعمال الرسل، وهو ينقل عن سفر عاموس قوله: «**في ذلك اليوم أقيم مظلّة داود الساقطة، وأحصّن شقوقها، وأقيم ردمها، وأبنيها كأيام الدهر ، لكي يرثوا بقية أدوم [אדום] وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم**» (عاموس ٩: ١١-١٢)، ولما اقتبس لوقا النص قال: « **وهذا توافقه أقوال الأنبياء، كما هو مكتوب: سأرجع بعد هذا، وأبني أيضًا خيمة داود الساقطة، وأبني أيضًا ردمها، وأقيمها ثانية ، لكي يطلب الباقون من الناس الرب [אלוהים] وجميع الأمم الذين دعي اسمي عليهم** » (أعمال ١٥: ١٥-١٧)، ففي حين تحدث سفر عاموس عن قبيلة (أدوم אדום) ، فإن لوقا – أو بالأحرى ناسخ النسخة التي نقل منها لوقا- قرأها (الرب אלוהים)، وأثبت الخطأ في سفره المقدس « **يطلب الباقون من الناس الرب** »، وبقي هذا الخطأ النسخي شامخًا في كل طبعات الكتاب المقدس وكل تراجمه في كل لغات العالم .. خطأ سببه ناسخ لا يفرق بين (الرب אלוהים) و (أدوم אדום)(١).

ولقد كان يستحسن وضع هذا الشاهد في أخطاء نساخ المخطوطات لولا أن ثمة

(١) انظر : دائرة المعارف الكتابية (٣/ ٣٠٨) .

ما جعلني أفضل سوقه في سياق تحريفات الإنجيليين للنص التوراتي الذي يقتبسون منه، وهو أن كاتب سفر الأعمال عمد إلى تغيير نص عاموس في موضعين، فقد حذف من سفر عاموس قوله: «**وأحصن شقوقها**»، وأبدل قول عاموس: «**وأبنيها كأيام الدهر**» بقوله: «**وأقيمها ثانية**»، فهو - وإنْ لم يؤد إلى إحداث معنى جديد – تغيير وتبديل.

* كما وقع التحريف من الإنجيليين بنسبة أقوال إلى التوراة لم تذكرها ، منه ما جاء في متى عن المسيح « **وأتى وسكن في مدينة يقال لها ناصرة ، لكي يتم ما قيل بالأنبياء : إنه سيدعى ناصريًا** » (متى ٢: ٢٣) ، ولا يوجد شيء من ذلك في كتب الأنبياء .

ومما يؤكد أن التحريف هنا متعلق بمتى أن التلميذ نثنائيل حين بشره فليبس بالمسيح الناصري استغرب أن يبعث مسيح من الناصرة « **فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟** » (يوحنا ١: ٤٦) ، ولو كانت نبوءة الناصري موجودة قبلُ لما كان وجه للغرابة .

يقول طابعو الرهبانية اليسوعية تعقيبًا على النص : « يصعب علينا أن نعرف بدقة ما هو النص الذي يستند إليه متى » ، فهم يميلون إلى تبرئة متى من الكذب، من غير أن يجرؤوا على إلقاء التهمة على العهد القديم، وكذلك صنع مفسرو التفسير التطبيقي بقولهم: «لا يسجل العهد القديم بصورة محددة هذه العبارة «سيدعى ناصريًا» ، ومع هذا فكثيرون من العلماء يعتقدون أن متى كان يشير إلى نبوة غير مدونة في الكتاب»[(١)].

(١) التفسير التطبيقي، ص (١٨٧١) .

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس : « ولم تكن الناصرة ذات أهمية في الأزمنة القديمة ، لذلك لم يرد لها أي ذكر في العهد القديم ، ولا كتب يوسيفوس ولا الوثائق المصرية والآشورية والحثية والآرامية والفينيقية السابقة للميلاد ، وأول ما ذكرت في الإنجيل »[١].

ويقول المفسروليم باركلي: « هذه النبوءة تواجه المفسرين بصعوبة كبيرة، ذلك لأنه لا يوجد عدد في العهد القديم بهذا المعنى، وحتى مدينة الناصرة نفسها غير مذكورة على الإطلاق في العهد القديم، ولم يوجد حل كاف لهذه المشكلة»، هذه المشكلة التي يعتبرها الأب الدكتور ريموند براون « أصعب اقتباس في الإنجيل » [٢].

وكان القديس جيروم قد افتقد هذا النص، ثم توصل إلى أن هذه النبوءة مسطورة في سفر إشعيا في قوله: «ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله» (إشعيا ١١: ١)، وذلك في قوله: «غصن» التي تحرفت من كلمة «ناصري»، واتهم مترجمي السبعينية بالمسؤولية عن هذا التحريف الذي يسميه جيروم «رجس»[٣].

❋ ومثله ما نسبه التلميذ يعقوب إلى الكتاب في رسالته ، وهو غير موجود في الكتاب بعهديه القديم والجديد ، كما يشهد محققو الترجمة العربية المشتركة في تعليقهم على قوله : « **أم تظنون أن الكتاب يقول باطلًا : الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الحسد** » (يعقوب ٤: ٥)، بالقول: «لا يرِد هذا النص في أسفار العهد القديم أو

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص (٩٤٦) .

(٢) تفسير إنجيل متى، وليم باركلي، ص (٣٧)، وميلاد المسيا، ريموند براون، ص (٢٢٣) .

(٣) انظر: رسائل القديس هيرونيمس (جيروم) (١/ ٣٣٥).

الجديد»[١] .

* وأيضاً نفتقد في العهد القديم ما نسبه متى إلى المسيح في أصحاح إنجيله الخامس وهو ينسخ أحكام القدماء التي وردت في شرائع التوراة ، ومنها أنه قال : «**سمعتم أنه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك . وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم** » (متى ٥ : ٤٣-٤٤) ، والفقرة التي يشير إليها من كلام القدماء هي قول سفر اللاويين: « **لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك ، بل تحب قريبك كنفسك** » (اللاويين ١٩ : ١٨) ، وليس في هذه الفقرة ولا في غيرها أمر ببغض الأعداء ، وزعمُ متى أنها موجودة في كتب القدماء محض ادعاء وتحريف ، لذا قال القس صموئيل يوسف : « هل الله يوصي بالبغضة ؟ ربما يعتقد الإنسان أن هذا حدث في العهد القديم، غير أنه لم يرد شيء من ذلك على الإطلاق في وصايا الله (قارن لاويين ١٩ : ١٨) » [٢].

* ومن صور التحريف ما وقع به يعقوب ولوقا حين تحدثا عن انقطاع المطر بدعاء النبي إيليا ، فذكرا أنه استمر ثلاث سنين وستة أشهر ، محرفين ما ورد في العهد القديم ، الذي أفاد بأن انقطاع المطر لم يكمل الثلاث سنوات ، فيقول يعقوب في رسالته: « **كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا ، وصلى صلاة أن لا تمطر ، فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر** » (يعقوب ٥ : ١٧) ، ووافقه لوقا فزعم أن المسيح قال: « **أقول لكم : إن أرامل كثيرة كنّ في إسرائيل في أيام إيليا ، حين أغلقت السماء مدة ثلاث سنين وستة أشهر ، لما كان جوع عظيم في الأرض كله** » (لوقا ٤ : ٢٥) .

والقصة ـ كما أسلفت ـ منقولة ومحرفة عن سفر الملوك وفيه : « **قال إيليا : .. إنه لا يكون طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي** » (١ ملوك ١٧ : ١) ، ثم « **بعد**

(١) حاشية الترجمة العربية المشتركة (٣/ ٣٥٧).

(٢) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٦٧) .

أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا في السنة الثالثة قائلًا : اذهب وتراءى لأخاب فأعطي مطرًا على الأرض » (١ ملوك ١٨ : ١) ، وفعل ، فنزل المطر ، وكان ذلك في السنة الثالثة، ولعله في أولها ، أي لم يكمل انقطاع المطر ثلاث سنوات ، فضلًا عن الأشهر الستة التي زادها يعقوب ولوقا .

* وينقل متى من سفر النبي إشعيا ، فيغير في النبوءة ليقدم لنا مثالًا للحرية التي تعامل بها الإنجيليون مع النصوص التوراتية ، إذ يقول : « **فقد تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة : تسمعون سمعًا ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وآذانهم قد ثقل سماعها ، وغمضوا عيونهم ، لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ، ويرجعوا فأشفيهم** » (متى ١٣ : ١٤-١٥) .

وهو اقتباس تصرف فيه متى وهو ينقله من سفر إشعيا الذي يقول في سفره متوعدًا بني إسرائيل : « **فقال : اذهب وقل لهذا الشعب : اسمعوا سمعًا ولا تفهموا ، وأبصروا إبصارًا ولا تعرفوا ، غلِّظ قلب هذا الشعب ، وثقّل أذنيه ، واطمس عينيه ، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ، ويرجع فيشفى** » (إشعيا ٦ : ٩-١٠) .

فقد كان نص إشعيا حديثًا بصيغة المستقبل عما سيؤول إليه حال بني إسرائيل ، فجعلها متى بصيغة الإخبار عن الحال الحاضر ، ولو كان يعتبر ما يعاصره من عصيان اليهود وقسوة قلوبهم تفسيرًا لتلك النبوءة ، لكان فعله مقبولًا ، لكنه بالحقيقة كان ينقل النبوءة ويغير بألفاظها « **تمت فيهم نبوة إشعياء القائلة : تسمعون ..** » .

* ومثله تحرر بولس من كل ضوابط الأمانة والدقة في النقل ، وهو ينقل عن سفر إشعيا فيقول : « **مكتوب : أنا حيّ يقول الرب ، إنه لي ستجثو كل ركبة ، وكل لسان سيحمد الله** » (رومية ١٤ : ١١) ، فقد تصرف في نص العهد القديم مرتين : الأولى : حين نسب إليه قول الرب بأنه حي . والأخرى : حين أخبر أن الألسنة ستحمد الله ، بينما نص إشعيا يتحدث عن الألسنة التي ستحلف بالله ، يقول إشعيا : «

بذاتي أقسمت ، خرج من فمي الصدق ، كلمة لا ترجع ، إنه لي تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان » (إشعيا ٤٥ : ٢٣) .

* ومن سفر (إشعيا ٢٨ : ١٦) اقتبس كل من بولس وبطرس حديث النبي إشعيا عن المستقبل الذي ينتظر بني إسرائيل ، فقال بحسب النص الماسوري العبري: «**يقول السيد الرب: هانذا أؤسس في صهيون حجرًا، حجر امتحان، حجر زاوية، كريمًا أساسًا مؤسسًا، من آمن لا يهرب، وأجعل الحق خيطًا، والعدل مطمارًا، فيخطف البرد ملجأ الكذب، ويجرف الماء الستارة**» (إشعيا ٢٨: ١٦– ١٧)، وقبل أن نمضي إلى اقتباسات العهد الجديد ننبه إلى أن الترجمة السبعينية القديمة كتبت: «**ها إني واضع في صهيون حجرًا مختارًا، فلا تعثر، ولا تسقط في إثم**»، فالحجر صار «**مختارًا**» بدلاً من «**حجر امتحان**»، فالسبعون كما يقول جيروم: «**يعطون معنى معاكسًا**»[1].

وهذا النص اقتبسه بطرس فقال: «**في الكتاب: هانذا أضع في صهيون حجر زاوية مختارًا كريمًا، والذي يؤمن به لن يخزى**» (١ بطرس ٢: ٦)، فقد اختار بطرس المعنى الإيجابي الذي قدمه الآباء السبعون في ترجمتهم «**مختارًا كريمًا**»، وأهمل ما قال النص الماسوري العبري: « **حجر امتحان** »، وهو معنى تحدث عنه الأصحاح الثامن: «**ويكون مقدسًا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتيِّ إسرائيل، وفخًا وشرَكًا لسكان أورشليم**» (إشعيا ٨: ١٤).

وأما بولس فاقتبس النص موافقًا العبري فقال: «**كما هو مكتوب: ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة، وصخرة عثرة، وكل من يؤمن به لا يخزى** » (رومية ٩: ٣٣)، فقد اختار المعنى السلبي الذي ورد في النص الماسوري، وتجاهل النص السبعيني الذي تحدث عن الحجر المختار.

---

(١) رسائل هيرونيموس (جيروم)، الرسالة إلى باماكيوس، ص (١/ ٣٣٨) .

والسؤال: ما هو رأي القديس جيروم في هذا التلاعب بين النصين السبعين والماسوري، وبين الاقتباسين الإنجيليين؟

يجيب جيروم: «ويتضح من جميع تلك النصوص أن الرسل والإنجيليين في نقلهم شهادات العهد القديم، تعمدوا نقل المعنى دون التقيد بالحرف، ولم يهتموا كثيرًا بالحفاظ على شكل الجملة وعلى سبكها، بل ركزوا اهتمامهم على أن يأتي كلامهم واضحًا وبمتناول الفهم»[1].

❋ كما عمد الإنجيليون إلى التحريف في مصادرهم التوراتية، فلهم طريقتهم الغريبة في صنع النبوءة واقتناصها من التوراة، فيختارون من النص التوراتي ما يخدمهم ويبترونه ، ويهملون سياقه، فقد قرأوا في سفر النبي إشعيا قوله: « **كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالي؛ يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم** » (إشعيا ٩: ١)، ومعناه: في الزمان الأول أهينت أرض زبولون وأرض نفتالي وأما في الزمان الأخير فستكرم تلك الأنحاء التي تقع ما بين طريق البحر وفي جليل الأمم.

ولما اقتبس متى هذا النص كتب: «**لكي يتم ما قيل باشعياء النبي القائل: (أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم)**»، فحذف من النص الأفعال التي تجعل للنص معنىً ، وهي قوله: «**كما أهان الزمان الأول ... يكرم الأخير**»، ليقدم نموذجًا آخر من الاعتداء على النص التوراتي وتغييره بحسب الهوى.

❋ ومن صور اصطناع النبوءة بإخراج النص عن سياقه ما فعله متى حين زعم أن النبي إرمياء تنبأ عن قتل هيرودس لأطفال بيت لحم، فقال: «**فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان**

---

(١) رسائل هيرونيموس (جيروم)، الرسالة إلى باماكيوس، ص (١/ ٣٣٨) .

الذي تحققه من المجوس ، حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: صوت سمع في الرامة، نَوح وبكاء وعويل كثير، راحيل تبكي على أولادها، ولا تريد أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين» (متى ٢: ١٦-١٨)، فالحديث في إرمياء كان نبوءة عن قتل الأطفال عند السبي البابلي، وذلك بيِّن في السياق: « **هكذا قال الرب: صوت سمع في الرامة ، نوح بكاء مرّ ، راحيل تبكي على أولادها، وتأبى أن تتعزى عن أولادها، لأنهم ليسوا بموجودين ، هكذا قال الرب: امنعي صوتك عن البكاء، وعينيك عن الدموع، لأنه يوجد جزاء لعملك، يقول الرب: فيرجعون من أرض العدو .. فيرجع الأبناء إلى تخمهم**» (إرميا ٣١: ١٥-١٧).

* ومن صور التحريف ما صنعه متى وهو يتلاعب بنسب المسيح ، فيحذف من النسب ما لا يروق له ، ثم يعمد إلى خداع القارئ والتمويه عليه ، لقد أدرك متى أن ذرية الملك يهوياقيم محرومة من الجلوس على كرسي داود (انظر إرميا ٣٦: ٣٠-٣١) ، فحذف اسمه من نسب المسيح مخافة أن يدرك القارئ أنه لاحظّ للمسيح في الجلوس على كرسي داود ، فقال : « **ويوشيا ولد يكنيا وإخوانه عند سبي بابل** » (متى ١ : ١١) ، ومن المعلوم أن يكنيا من أحفاد يوشيا ، وليس ابنا مباشرًا له ، إذ هو ابن الملك المحروم يهوياقيم بن يوشيا (انظر ١ أخبار ٣: ١٤-١٥) .

كما أخطأ متى ثانية حين زعم أن ولادة يكينيا عند سبي بابل « **ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل** » (متى ١ : ١١) ، إذ يكينيا قد ولد قبل السبي بوقت طويل ، وتولى الملك وعمره ثماني سنوات أو ثمانية عشرة سنة ، على خلاف بين الأسفار [انظر (٢ ملوك ٢٤ : ٨) ، و (٢ أخبار ٢٦ : ٩)] ، وتسمى بيهوياكين ، وفي عهده (٥٩٧ ق.م) دخل البابليون فلسطين أول مرة ، وسَبَوه وكبار مملكته إلى بابل ، وذلك قبل السبي الكبير بإحدى عشرة سنة ، خلافًا لمتى الذي يزعم أنه ولد عند السبي، يقول سفر إرميا : « **سبى نبوخذ راصر ملك بابل يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذ** »

(إرميا ٢٤: ١) ، فكيف يزعم متى أنه ولد عند سبي بابل ؟!

* ومن تحريف متى نسبته المسيح إلى الملك يكنيا المسمى بيهوياكين وكنياهو (انظر إرمياء ٣٧: ١) ، فهذا الملك عقيم لا ولد له ، ولن يكون في نسله جالس على كرسي داود ، لأن الرب حرمه من ذلك كما نقل سفر إرمياء : « **هكذا قال الرب : اكتبوا هذا الرجل عقيمًا ، رجلًا لا ينجح في أيامه ، لأنه لا ينجح من نسله أحد جالسًا على كرسي داود وحاكمًا بعدُ في يهوذا** » (إرمياء ٢٢: ٣٠) ، فكيف يكون يكنيا من أجداد المسيح وهو رجل عقيم ؟ وكيف سيرث المسيح على كرسي داود أبيه إذا كان من ذرية هذا الملك الذي حرم الله نسله من الملك ؟ إن أحدًا غير البشير متّى لا يستطيع الإجابة عن هذه الأسئلة !

* ومن التحريف ما صنعه لوقا حين زعم أن شالح هو ابن قينان بن أرفكشاد خلافًا لما ورد في التوراة في عدد من المواضع ، يقول لوقا : « **عابر بن شالح بن قينان بن أرفكشاد** » (لوقا ٣: ٣٥-٣٦) ، في حين أن سفر التكوين يقول : « **وأرفكشاد ولَد شالح** » (التكوين ١٠: ٢٤) ، ويؤكده في السفر الذي يليه ، فيذكر أن الأب أرفكشاد ولد ابنه شالح ، وعمره خمس وثلاثون سنة « **وعاش أرفكشاد خمسًا وثلاثين سنة ، وولد شالح** » (التكوين ١١: ١٢) (وانظر ١ أخبار ١: ١٨ ، و ١ أخبار ١: ٢٤) ، ولم يذكر في أي من المواضع التوراتية اسم قينان ، فما صنعه لوقا تحريف ولا ريب ، أو أنه كان يرى تحريف النصوص التوراتية ، فخالفها لذلك .

ويوافقنا الدكتور وهيب جورجي والقس سمعان كلهون على وقوع التحريف في إضافة أو حذف هذا الاسم ، ويختلفان في اسم المحرِّف، فالدكتور جورجي يرى أن «سقوط اسم قينان من جدول الأنساب العبري ينسب إلى النساخ»، فالتحريف كان في النص التوراتي العبري ، بينما يرى القس كلهون بأن قينان « ليس له ذكر في العهد القديم في الأصل العبراني ، فالظاهر أنه قد دخل في غفلة أحد النساخ » ، فناسخ

الإنجيل ـ حسب رأيه ـ هو المسؤول عن وقوع هذا التحريف ، وليس الإنجيلي لوقا ، وأما الدكتور جورج بوست فيرى «أنه أُدخل إدخالاً في الترجمة السبعينية، ومن هذه الترجمة نقل لوقا الإنجيلي اسمه، فذكره في جدول أنسابه»[(١)] ، وللقارئ أن ينسب التحريف إلى من شاء (نساخ التوراة العبرية، نساخ التوراة اليونانية، أو نساخ الإنجيل، أو لوقا) ، لكني أصر على أن يتفق معي ومع الدكتور جورجي والقس كلهون على وقوع التحريف في هذه الفقرة .

* ومن التحريف ما أضافه لوقا إلى سفر إشعيا في الأصحاح ٦١ حيث زعم أن المسيح فتح السفر وقرأ فيه عبارة لا نجدها اليوم فيه ، حيت يقول : « **فدفع إليه سفر إشعياء النبي ، ولما فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبًا فيه : روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب ، لأنادي للمأسورين بالإطلاق ، وللعمي بالبصر ، وأرسل المنسحقين في الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة** » (لوقا ٤ : ١٨) ، فقوله : « **وللعمي بالبصر ، وأرسل المنسحقين في الحرية** » غير موجودة في هذا الموضع الذي كان يقرأ منه المسيح (انظر إشعيا ٦١: ١-٣) ، والفقرة الثانية منها موجودة في (إشعيا ٥٨ : ٦) .

وينقل الأب متى المسكين حيرة العلماء في هذا الاختلاف بين النص التوراتي المقروء والمنسوب إليه في الإنجيل ، فيقول : « وقد اختلفت آراء العلماء في هذه الإضافة ، إذ يقول البعض : إنها من وضع مسيحي متأخر ، وآخرون مثل العالم ك . بروت يقول : إن هذه الإضافة هي بسبب جمع النصين في قراءة واحدة في الليتورجية اليهودية ، بينما العالم ب . ريكه يقول بكل جرأة : إن المسيح نفسه أضافها بسلطان

---

(١) اتفاق البشيرين ، القس سمعان كلهون ، ص (٨٦) ، ومقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٥٧)، وقاموس الكتاب المقدس، جورج بوست (٢/ ٢٣٥).

نبوته الخاصة » [1] ، فالجميع مقرٌ بأن العبارة مضافة غير موجودة في إشعيا ٦١ ، لكنهم مختلفون في تحديد شخص الذي أضافها ، هل هو المسيح ، أم اليهود ، أم المسيحيون في زمن متأخر .

* وأخيرًا ، فإن من التحريف ما تصرف به متى وهو ينقل عن سفر ميخا ، فقال : « **هكذا مكتوب بالنبي : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي** » (متى ٢ : ٥-٦) ، فميخا لم ينف عن بيت لحم أنها الصغرى من مدن يهوذا ، بل وصفها بأنها الصغيرة بين مدن يهوذا فقال : « **أما أنت يا بيت لحم أفراتة ، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطًا على اسرائيل** » (ميخا ٥ : ٢).

يقول القديس جيروم: «إن بين الإنجيلي والنبي تناقضًا في الصيغة، لا في الكلام فحسب.. فالإنجيلي [متى] يقول: إن بيت لحم ليست الصغرى في حواضر يهوذا، فيما المصدر الذي استقى منه [ميخا] يقول العكس تمامًا: «**أنت الصغرى**» .. أضف إلى ذلك أن عبارة: «**من يتسلط في إسرائيل**» تختلف كليًا عن عبارة: «**من يرعى شعبي إسرائيل**»» [2].

كما تصرف متى في النبوءة التوراتية، حين غيَّر كلمة (أفراتة) إلى (يهوذا)، و(ألوف يهوذا) إلى (رؤساء يهوذا)، إضافة إلى تغييره (إسرائيل) إلى (شعبي) .

---

(١) الإنجيل بحسب القديس لوقا (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٢٠٢) .

(٢) رسائل القديس هيرونيموس (جيروم) (١/ ٣٣٦)، ولم يكن مقصود جيروم اتهام الكتاب المقدس بالتحريف، بل الدفاع عن نفسه في مواجهة متهميه بالتحريف في الترجمة، لأنه غيَّر بعض الكلمات، فرد عليهم بسرد مجموعة من المفارقات في اقتباسات الإنجيليين من التوراة، وقال: «أعود إلى هذه النصوص، لا لكي اتهم الإنجيليين بالتزوير .. بل لأرد التهمة عني إلى منتقدي، فأفوز منهم بأن يجيزوا لي ما كانوا سيجيزونه للرسل في الكتب المقدسة» أي من تبديل بعض الكلمات، وعدم الالتزام بالترجمة الحرفية.

ولو عدنا إلى النص في سياقه التاريخي لانتفت لدينا العلاقة بينه وبين المسيح، فالنص في سياق الحديث عن منقذ ينقذ الشعب من أشور ، فقد سبقه: «**الآن تتجيّشين يا بنت الجيوش، قد أقام علينا مترسة يضربون قاضي إسرائيل بقضيب على خده** » (ميخا ٥: ١)، ولحقه: «**ويكون هذا سلامًا إذا دخل أشور في أرضنا، وإذا داس في قصورنا، نقيم عليه سبعة رعاة وثمانية من أمراء الناس، فيرعون أرض أشور بالسيف وأرض نمرود في أبوابها ، فينقذ من أشور إذا دخل أرضنا، وإذا داس تخومنا**» (ميخا ٥: ٥-٦).

ثالثًا : انتشار التحريف في الصدر الأول :

رأينا قبل أصحاب النصوص الإنجيلية وهم يقعون في التحريف ، في الصدر الأول من النصرانية ، وقد كثر حينذاك المنتحلون للنبوة والزاعمون أنهم يكتبون القصة الحقيقية لعيسى عليه السلام .

ومنذ ذلك الحين صدرت الدعوات تحذر من التحريف الذي يتعرض له الإنجيل ، وفي أولها دعوة يوحنا : « **أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح .. لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم** » (١ يوحنا ٤ : ١) ، لقد أصبح إدعاء النبوة والتحريف مرضًا مستشريًا في القرن الميلادي الأول .

ويحذر التلميذ يهوذا من أولئك الذين زوروا كلامًا على المسيح « **إنه قد دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة ، فجار يحولون نعمة إلهنا .. هو ذا قد جاء الرب ليضع دينونة على الجميع ، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم .. وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار .. إنه في الزمن الأخير سيكون قوم مستهزؤون سالكين بحسب شهوات فجورهم** » (يهوذا ٤-١٨) .

ويحذر بطرس من التحريف المعنوي بتغيير المعاني الصحيحة ، فيقول : «**كتب إليكم أخونا الحبيب بولس . أيضًا بحسب الحكمة المعطاة له ، كما في الرسائل كلها أيضًا متكلمًا فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة الفهم ، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضًا لهلاك أنفسهم** » (٢ بطرس ٣: ١٥-١٦) .

وكثرة التحريف والكتب التي تدعي الحق زورًا وكذبًا هيّج لوقا لكتابة إنجيله ، ففي مقدمته يقول : « **إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا .. أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمتَ به** »

(لوقا ١ : ١-٤)، فلوقا رأى هذه الكتب الكثيرة محرفة ، فكتب ما رآه صحيحًا ، وقد بلغت هذه الكتب من الكثرة أن قاربت المائة .

وسريان التحريف وانتشاره انتشار النار في الهشيم جعل الفيلسوف الوثني كلسس (سلوس) (ق٢) يقول في كتابه (True Discourse) الذي رد عليه أوريجانوس : « بعض المؤمنين [يقصد النساخ المسيحيين]، كما لو أنهم في نوبة شُرب، يعارضون أنفسهم، ويغيرون النص الأصلي للإنجيل ثلاثة أو أربعة أو مرات عديدة، ويغيرون من شخصيته، ليمكنهم من إنكار صعوبات في وجه النقد» [١] .

وكان الهرطوقي ماني (ت ٢٧٧م) يصرخ برفض أكثر الكتب المقدسة ، ونقل عنه المؤرخ المسيحي يوحنا موسهيم ذلك بقوله: «وتواريخ المسيح الأربعة التي نحن نسميها أناجيل، إما أنه أنكرها على الرسل، أو اعتقد بأنه ولو ألفتها الرسل قد أفسدها ومزجها وحشاها بخزعبلات اليهود الناسُ الخداعون المكارون» [٢].

ونقل القديس إيريناوس (ت ٢٠٢م) ما يجول في عصره من اتهامات بالتحريف للعهد الجديد على ألسنة المخالفين: «فإنهم يدورون ويطعنون في هذه الكتب المقدسة نفسها، وكأنها ليست صحيحة، وليس لها سلطان ، ويؤكدون أنها غامضة .. يدعون أن الحق لم يصل إلينا بوثائق مكتوبة، بل شفاهية»[٣] ، وهذا الاتهام لم ينكره أوريجانوس، بل أثبته متهمًا به الهراطقة المسيحيين.

وتنبه مقدمة الرهبانية اليسوعية لرسالة يعقوب إلى أمر مهم شاع في عصر الرسل، وهو نسبة المؤلفين المجهولين كتاباتهم إلى شخصيات مشهورة ، ولعل أبرز

---

(١) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٧١)، وانظر: ص (٢٤٩).

(٢) تاريخ الكنيسة ، يوحنا لورنس موسهيم، ص (١١٧).

(٣) ضد الهرطقات، إيريناوس، (ك٣، ف٢)

دليل عليه كثرة الأناجيل الأبوكريفا (المنحولة) التي تنسب إلى تلاميذ المسيح وأمه وحوارييه.

لقد كانت قرون المسيحية الأولى بيئة خصبة للكذب والنحل، لذا شكا المطران ثيونيسيوس من تحريف المسيحيين لكتبه، فقد كتبها، ثم «ملأها اتباع الشياطين بالتفاهات، آخذين منها أشياء، ومضيفين أشياء أخرى .. فلا عجب عندئذ إذا اجترأ بعضهم على العبث بكلمات الرب نفسه» [(١)] ، فشيوع التحريف يجعل كافة صوره ممكنة.

استحلال آباء الكنيسة للتحريف :

ولكن الداهية التي ساهمت بانتشار التحريف هي ما يذكره المستشرق الأسكتلندي المتعصب وليم ميور (ت ١٩٠٥م) في كتابه الذي ألفه بالأردية (تاريخ كليسيا) (أي الكنيسة) ، حيث قال : «إن أوريجانوس وغيره أفتوا بجواز جعل الكتب الكاذبة ، ونسبتها إلى الحواريين أو التابعين أو إلى قسيس من القسيسين المشهورين»[(٢)].

يؤكد المؤرخ يوحنا موسهيم سهولة وقوع التحريف في الصدر الأول لانتشار مقولة أفلاطون وفيثاغورث الذين كانوا «يستحسنون الغش والكذب لأجل الحق والتقوى، واليهود القاطنون في مصر تعلموا منهم هذه القضية.. فانتشرت هذه الرذيلة بين المسيحيين، ولا يقدر أن يشك بهذا من يذكر الكتب المزورة بأسماء أناس فاضلين ... المسيحيين غير الملطخين بالآراء الآراتيقية لك يكونوا بريئين من هذا

---

(١) الاقتباس الخاطئ عن يسوع، بارت إيرمان، ص (٧٢).

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ٦٩).

الذنب، وهذا واضح لا ينكر »[١] .

من كتب العهد الجديد ؟

نشرت مجلة تايم في عددها الصادر في اكتوبر ١٩٨٦ مقالًا عن ندوة دولية حضرها ١٢٠ مشاركًا نصرانيًا درسوا صحة الأقوال المنسوبة للمسيح في الأناجيل الأربعة ، فوجدوا أنه لا يصح منها سوى ١٤٨ قولًا من بين ٧٥٨ قولًا منسوبًا إليه .

وذكر كتاب (The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus) «الأناجيل الخمسة» الذي أصدرته الندوة عام ١٩٩٣م أن ١٨٪ فقط من الأقوال التي تنسبها الأناجيل إلى يسوع ربما يكون قد نطق بها فعلاً.

وفي اجتماع الندوة ١٩٩٥ قرروا أن رواية ميلاد يسوع غير حقيقية سوى ما يتعلق باسم أمه، ومثله قصة آلام المسيح ومحاكمته، ونشروا ذلك في كتاب : (The Acts of Jesus: The Search for the Authentic Deeds of Jesus)[٢] .

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة ، يوحنا موسهيم ، ص (٧١).

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٠٤) .

رابعًا : ظهور الطباعة ، والتحريف الطباعي للعهد الجديد :

وفي القرن السادس عشر ظهرت الطباعة وأدواتها ، ليظهر معها نوع جديد من أنواع التحريف ، يؤكد أن القوم قد استمرؤوا باطلهم وتحريفهم .

وقد أصدر ارازموس سنة ١٥١٦م أول طبعاته.

وفي عهد الملك جيمس الأول ملك انجلترا واسكتلندا عقد مؤتمر ديني عام ١٦٠٤م أسفر عن تشكيل لجنة ترجمة من البروتستانت تولت إنتاج النص الرسمي للكتاب المقدس باللغة الإنجليزية ، وختم الملك جيمس هذه النسخة بخاتمه ، وطبعت سنة ١٦١١م .

ومنذ عهد الملك جيمس توالت الطعون لهذه الترجمة الأشهر في تاريخ المسيحية ، فقد رفعت للملك جيمس عريضة تقول : « إن الزبورات التي هي داخلة في كتاب صلاتنا مخالفة للعبري بالزيادة والنقصان والتبديل في مائتي موضع تخمينًا ».

وتوالت الطعون لهذه الترجمة والتي عنها ترجم العهد الجديد إلى أكثر لغات العالم .

وفي عام ١٨٨١م عُدلت نسخة الملك جيمس ، وسميت بالنسخة القياسية المنقحة ، ثم نقحت ١٩٥١م ، وسميت أيضًا (النسخة القياسية المنقحة) (R.S.V)، وكان تنقيحها على يد اثنين وثلاثين عالمًا لاهوتيًا تساندهم هيئة استشارية تمثل خمسين طائفة دينية ، ثم أعيد تنقيحها عام ١٩٧١م ، وصدرت بنفس الاسم (R.S.V) ، وجاء في مقدمة هذه الطبعة : « لكن نصوص الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدًا .. وإن هذه العيوب والأخطاء عديدة وخطيرة ، مما يستوجب التنقيح في الترجمة الإنجليزية » .

ومما حذفته النسخة المنقحة نص يوحنا المشهور في التثليث (انظر ١ يوحنا ٥: ٧) ونهاية إنجيل مرقس (انظر ١٦: ٩-٢٠) [١] .

وتبدو إمكانية تطوير النص أيضًا عند الكاثوليك ، حيث جاء في مقدمة العهد الجديد للكاثوليك « بوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصًا مثبتًا إثباتًا حسنًا ، وما من داع إلى إعادة النظر إلا إذا عثر على وثائق جديدة » [٢] .

وقد كان الكاثوليك قد أصدروا نسخة لاتينية خاصة بهم تسمى نسخة (دوي) ، وطبعت لأول مرة عام ١٥٨٢م ثم ١٦٠٩م ، وتختلف هذه النسخة عن نسخة الملك جيمس المعاصرة لها في أمور أهمها زيادة سبعة من الأسفار التوراتية (الأبوكريفا) غير موجودة في ترجمة الملك جيمس البروتستانتية .



(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٢/ ٥٧٢-٥٧٣) ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص (١٣٣-١٣٩) ، هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟ أحمد ديدات ، ص (١٨-١٩) .

(٢) انظر : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٢٦) .

تناقضات الأناجيل

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ [النساء : ٨٢] .

تعطي الآية معيارًا صحيحًا للتحقق من صحة نسبة أي كتاب إلى الله ﷻ ، فالبشر من طبعهم الخطأ والنسيان ، والتخليط بعد تقادم الأيام ، ولذا تأتي كتاباتهم منسجمة مع هذه الطبائع البشرية .

ولو طبقنا هذا المعيار على الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ، فإنا سنرى آثار هذه الطبائع تتجلى في أخطاء الإنجيليين وتخالفهم وتناقضهم في الأحداث والأحكام التي يوردونها في كتاباتهم .

ووجود التناقض يدحض دعوى إلهامية هذه الكتب ، واعتبارها جزء من كلمة الله التي أوحاها إلى بعض تلاميذ المسيح .

ويعترف النصارى ضمنًا بصحة هذا المعيار ، لذا نرى شراح العهد الجديد يعمدون إلى تفسير التناقضات والصعوبات التي تواجه النص ، ويتأولونها بعيدًا عن الحقيقة التي ينطق بها النص ، ليقينهم بأن بقاء التناقض يعني بشرية الكتب ونفي إلهاميتها وقداستها .

ولما كان النصارى يؤمنون بالأناجيل الأربعة ، وهي جميعًا تتحدث عن قصة المسيح كان لابد أن تتشابه هذه القصص ، في معانيها ومضامينها أو ـ على الأقل ـ أن تتكامل لتكون رواية متكاملة عن المسيح .

لكن عند المقارنة بين المعطيات الإنجيلية في الحدث الواحد نستطيع استذكار ما قاله الامبرطور الروماني المرتد إلى الوثنية يوليان (ت ٣٦٣م): « الأناجيل يناقض بعضها بعضـاً، وإن أهم ما تتفق فيه هو أنها أبعد ما تكون عن العقل؛ فإنجيل يوحنا يختلف كل الاختلاف عن الثلاثة الأناجيل الأخرى في روايتها وفيما تحتويه من أصول الدين» [1]، وهكذا أمكن ليوليان أن يفتتح لنا النقد الأعلى للكتاب المقدس فيما نراه من تناقضات يحيل العقل الجمع فيها على وجه من الوجوه.

وأمام هذه التناقضات كان لابد للنصارى أن يختاروا بعض هذه الأناجيل أو بعض رواياتهم فيجعلونها مقدسة ، ويرفضون ما وراء ذلك ، أو أن يعترفوا ببشرية الأناجيل الأربعة كتابة ووضعًا ، فيمكن فهم التناقض حينذاك ، وأما الإصرار على أن هذا المتناقض كله من الله ، فهذا ما نرفضه نحن وهم على سواء . فهل تتناقض الأناجيل فعلًا ؟

أمثلة التناقض في العهد الجديد :

ضرب المحققون عشرات الأمثلة لتناقض الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها ، منها ما يتعلق ببعض الأحداث التي تقصها الأناجيل ، ومنها ما يجعل المسيح متناقضًا مع نفسه زمنها على الخصوص تلك التناقضات المتعلقة بروايات حادثة الصلب ، ومنها تلك التي خالف فيها الإنجيليون ما في العهد القديم ، فبدلوا في رواياته أو أخطؤوا ، فحصل منهم التناقض :

---

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١٢/ ٣٥) .

أولاً : تناقضات الإنجيليين في رواياتهم بعض الأحداث :

نسب المسيح :

لعل أهم وأصرح تناقضات العهد الجديد تناقض متى ولوقا في نسب يوسف النجار ، فقد اختلفا اختلافًا لا يمكن الجمع فيه ، كما تناقض لوقا ومتى مع ما جاء في سفر أخبار الأيام الأول ، وهو يتحدث عن بعض ملوك إسرائيل الذين جعلهم متى من أجداد المسيح .

يقول متى : « **كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . إبراهيم ولد إسحق . وإسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وإخوته ، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون . وحصرون ولد أرام ، وأرام ولد عمينا داب . وعمينا داب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون ، وسلمون ولد بوعز من راحاب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث . وعوبيد ولد يسى ، ويس ولد داود الملك .**

وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا ، وسليمان ولد رحبعام . ورحبعام ولد أبيا . وأبيا ولد آسا . وآسا ولد يهوشافاط . ويهوشافاط ولد يورام . ويورام ولد عزيا . وعزيا ولد يوثام . ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا . وحزقيا ولد منسي . ومنسي ولد آمون . وآمون ولد يوشيا . ويوشيا ولد يكنيا وإخوانه عند سبي بابل .

وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتئيل . وشألتئيل ولد زربابل . وزربابل ولد أبيهود . وأبيهود ولد ألياقيم . وألياقيم ولد عازور . وعازور ولد صادوق . وصادوق ولد أخيم . وأخيم ولد أليود . وأليود ولد أليعازر ، وأليعازر ولد متان . ومتان ولد يعقوب . ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي ولد منها يسوع ، الذي يدعى المسيح .

فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلًا . ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلًا ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا » (متى ١ : ١-١٧) .

لكن لوقا يورد نسبًا آخر للمسيح يختلف تمام الاختلاف عما جاء في متى يقول لوقا : « **ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو ـ على ما كان يظن ـ ابن يوسف بن هالي ، بن متثات بن لاوي بن ملكي بن ينا بن يوسف بن متاثيا بن عاموص بن ناحون ابن حسلي بن نجاي ، بن ماث بن متاثيا بن شمعي بن يوسف بن يهوذا ، بن يوحنا بن ريسا .**

ابن زربابل بن شألتئيل بن نيري ، بن ملكي بن أدى بن قصم بن ألمودام بن عير ، ابن يوسي بن أليعازر بن يوريم بن متثات بن لاوي . بن شمعون بن يوذا بن يوسف بن يونان بن ألياقيم بن مليا بن مينان بن متاثا بن ناثان بن داود .

ابن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن أرام بن حصورن بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ابن تارح بن ناحور ، بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن فينان بن أرفكشاد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان ابن أنوش بن شيت بن آدم ابن الله » (لوقا ٣: ٢٣-٣٨) .

توقف المحققون مليًا عند التناقض في نسب المسيح ، وقد استوقفتهم ملاحظات منها :

❋أن متى ولوقا اتفقا في ابتداء النسب بيوسف النجار ، ثم افترقا ليلتقيا من جديد بزربابل بن شألتئيل ، حيث جعله متى الجد العاشر ليوسف النجار ، فيما جعله لوقا الجد التاسع عشر ليوسف .

ثم اختلف الإنجيليان من جديد اختلافًا كبيرًا ، فقد جعل متى المسيح من ذرية ملوك بني إسرائيل سليمان ثم رحبعام ثم أبيا ثم آسا ثم يهوشافاط .. بينما يجعله لوقا

من نسل ناثان بن داود ، وليس في أبنائه من ملك على بني اسرائيل .

ولا يعقل أن يكون المسيح من ذرية أخوين ، أي سليمان وناثان ابنا داود عليه السلام ، كما لا يعقل أيضًا ذات الأمر بخصوص زربابل وأبوه شألتئيل ، فإما أن يكونوا (المسيح وزربابل وشألتئيل) من نسل سليمان أو من ذرية أخيه ناثان .

* وأيضًا بلغ الاختلاف بين القوائم الثلاث مدى يستحيل الجمع فيه على صورة من الصور ، فالاختلاف في أعداد الأجيال كما الأسماء ، وثمة خلل في الأنساب وإسقاط لعدد من الآباء .

هذه الفوضى في نسب المسيح دعت الكاهن الكاثوليكي جون مسلييه (ت ١٧٣٣م) راعي أبرشية في شمبانيا إلى إصدار كتابه «عهدي الجديد»، واعتذر في مقدمته إلى شعب كنيسته ، وتساءل: «لماذا اختلف نسب السيد المسيح في إنجيل متى اختلافـًا كبيراً عنه في إنجيل لوقا. إذا كان كلاهما منزلاً من عند الله؟ لماذا تنتهي سلسلتا النسب هاتان بيوسف إذا كان سيعفي سريعـًا من إنجاب يسوع؟ لماذا يمتدح ابن الله بأنه ابن داود الذي كان زانيـًا بكل معنى الكلمة؟»[1] وحاشا لداود عليه السلام أن يكون زانيًا، فهذا من افتراءات مؤلفي الأسفار المجهولين.

وقد حرص متى على تقسيم سلسلة الأنساب التي ذكرها إلى ثلاثة مجموعات في كل منها أربعة عشر أبًا فيقول : « **فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلًا ، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلًا ، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا** » (متى ١ : ١٧) .

(١) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (٣٨/ ١١).

لكن متى لم يوفِ بالأرقام التي ذكرها ، إذ لم يذكر بين المسيح والسبي سوى اثني عشر أبًا . وقد تصرف متى في المجموعة الثانية ، فأسقط عددًا من الأسماء ليحافظ على الرقم ١٤ ، فأسقط ما بين يورام وعزيا ثلاثة آباء ، هم أخزيا بن يورام وابنه يواشى وابنه أمصيا والد عزيا .

ولعل صورة التناقض والتلاعب تتضح إذا تأملنا في الجدول الذي يقارن بين سلسلتي لوقا ومتى ، فيما بين داود ويوسف النجار ، ونضع إلى جوارهما ما جاء في سفر (١ أخبار ٣: ١٠-١٩) ، لنقف على الأسماء التي أسقطها متى ، لتنتظم له سلسلته التي أرادها ، فقد غيّر في نسب المسيح ، لتتناسب وحساباته الخاصة :

م	إنجيل متى (١:١-١٧)	أخبار الأيام (٣: ١٠-١٩)	إنجيل لوقا (٣: ٢٣-٣٨)	م	إنجيل متى (١:١-١٧)	أخبار الأيام (٣: ١٠-١٩)	إنجيل لوقا (٣: ٢٣-٣٨)
١	داود	داود	داود	٢٢	زربابل	زربابل	شالتئيل
٢	سليمان	سليمان	ناثان	٢٣	أبيهود		زربابل
٣	رحبعام	رحبعام	متاثا	٢٤	الياقيم		ريسا
٤	أبيا	أبيا	مينان	٢٥	عازور		يوحنا
٥	آسا	آسا	مليا	٢٦	صادوق		يهوذا
٦	يهوشافاط	يهوشافاط	ألياقيم	٢٧	أخيم		يوسف
٧	يورام	يورام	يونان	٢٨	أليود		شمعي

٨	..	أخزيا	يوسف	٢٩	اليعازر		متاثيا
٩	..	يواش	يهوذا	٣٠	متان		مآث
١٠	..	أمصيا	شمعون	٣١	يعقوب		نجاي
١١	عزيا	عزريا	لاوي	٣٢	يوسف		حسلي
١٢	يوثام	يوثام	متثات	٣٣			ناحوم
١٣	أحاز	أحاز	بوريم	٣٤			عاموص
١٤	حزقيال	حزقيال	أليعازر	٣٥			مُتاثيا
١٥	منسي	منسي	يوسي	٣٦			يوسف
١٦	آمون	آمون	عير	٣٧			ينا
١٧	يوشيا	يوشيا	ألمودام	٣٨			ملكي
١٨	..	يهوياقيم	قصم	٣٩			لاوي
١٩	يكنيا	يكنيا	أدي	٤٠			متثات
٢٠	شالتئيل	..	ملكي	٤١			هالي
٢١	..	فدايا	نيري	٤٢			يوسف

والسؤال كيف يجمع علماء الكتاب المقدس بين تناقضات أنساب المسيح ؟

يقول صاحب كتاب (شمس البر) : « معرفتنا بطريقة تأليف جداول النسب في

تلك الأيام قاصرة جدًا » ، ويعلق بوكاي : « لاشك أن نسب المسيح في الأناجيل قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى » [١] .

لكن النتيجة الخطيرة والمهمة المترتبة على وجود هذا التناقض هي : أن إنجيل متى لم يكن معروفًا للوقا مع أنه قد سبقه بنحو عشرين سنة ، ولو كان لوقا يعرفه ، أو يعتبره إنجيلًا مقدسًا لراجعه ولما خالفه ، فدل ذلك على عدم وجود إنجيل متى يومذاك ، أو إسقاط الاعتبار له .

لكن محرري قاموس الكتاب المقدس أوصلونا إلى نتيجة أخرى أهم منها ، وهي أن « هذه الفروق تبرهن استقلال كل من البشيرين عن الآخر في ما كتبه واعتماده على مصادر تختلف عن مصادر الآخر ، ولكنها ليست أقل منها أهمية ووثوقًا » [٢] ، بمعنى أن مصدرهما لم يكن الروح القدس ، بل لكل منهما مصدره الخاص .

أسماء التلاميذ الاثني عشر :

ومن التناقضات بين الأناجيل أيضًا اختلاف الأناجيل في أسماء التلاميذ الاثني عشر ، إذ يقدم العهد الجديد أربع قوائم للتلاميذ الاثني عشر تختلف كل واحدة عن الأخرى ، وبيانه :

أن أسماء التلاميذ ذكرها متى في إنجيله (١٠ : ١-٤) ، ومرقس أيضًا (انظر ٣ : ١٦) ، وذكرها لوقا في إنجيله في (٦ : ١٤) ثم في أعمال (١ : ١٣) .

---

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (١١٩-١٢٠) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٣٧) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٣٧) .

وتتشابه القوائم الأربعة في عشرة أسماء وهي سمعان بطرس ، وأخوه اندرواس، ويعقوب بن زبدي ، وأخوه يوحنا ، وفيلبس ، وبرثو لماوس ، وتوما ، ومتى ، ويعقوب بن حلفي ، وسمعان القانوي أو الغيور .

ويتفق متى ومرقس ولوقا على ذكر يهوذا الأسخريوطي ، فيما أهمل في أعمال الرسل ، وهو ما يمكن أن نعتبره توافقًا ، إذ قد أهمل ذكر التلميذ الخائن .

وأما الاسم المكمل للإثني عشر ، فيذكر متى ومرقس اسم لباوس الملقب : تداوس ، فيما يذكر لوقا في إنجيله وأعمال الرسل يهوذا بن حلفي .

ولا يمكن أن يكون لهذا التلميذ هذه الأسماء الثلاثة ، لأنه كما في تعليق الآباء اليسوعيين على (متى ١٠ : ٣) : « يستبعد أن تكون هذه الأسماء المختلفة قد أطلقت على شخص واحد ، لأن هذه هذه الأسماء الثلاثة هي سامية كلها ، حين كان لشخص واحد اسمان في ذلك الزمان ؛ كان أحدهما يهوديًا ، والآخر يونانيًا أو رومانيًا . إن التقليد الذي حافظ بثبات على عدد الرسل الاثني عشر لم يتردد إلا على اسم واحد منهم »[١] .

وإذا كانت الأناجيل تختلف بأمر بمثل هذه الأهمية والوضوح ، فكيف لنا أن نثق بما وراء ذلك من أخبار ووقائع وتفصيلات تعرضها عن حياة المسيح وغيره .

من الذي طلب الملكوت ، الأم أم ابناها ؟

ومن تناقضات الأناجيل أيضًا ما تناقض فيه متى مع مرقس ، فقد ذكر متى أنه « **تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها وسجدت ، وطلبت منه شيئًا ، وقالت له : قل : أن**

---

(١) حاشية النص في نسخة الرهبانية اليسوعية، ص (٦٣).

يجلس ابناي هذان ، واحد عن يمينك ، والآخر عن اليسار في ملكوتك ، فأجابها يسوع: لستما تعلمان ما تطلبان .. » (متى ٢٠: ٢٠-٢٣) .

وفي مرقس تذكر القصة نفسها وبنفس حيثياتها ، لكن الذي طلب الملكوت هما الابنان ، وليس أمهما ، يقول مرقس : « **وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين : يا معلّم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا .. فقالا له : أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك ، والآخر عن يسارك في مجدك . فقال لهما يسوع : لستما تعلمان ما تطلبان ..** » (مرقس ١٠: ٣٥-٣٨) .

يقول جون فنتون في تفسيره لإنجيل متى : لقد أحدث متى بعضًا من التغيرات والحذف لما في إنجيل مرقس ، وأهم ما في ذلك ، أنه بينما في إنجيل مرقس نجد أن التلميذين نفسيهما يطلبان من يسوع ، إذ بأمهما هي التي تطلب منه حسب رواية متى[1].

هل أوصى المسيح تلاميذه بأخذ العصا أم أوصاهم بتركها ؟

ومن التناقضات أن مرقس يذكر وصية المسيح لتلاميذه بعد أن أعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة فقال : « **وأوصاهم أن لا يحملوا شيئًا للطريق غير عصا فقط ، لا مزودًا ولا خبزًا ولا نحاسًا في المنطقة ، بل يكونوا مشدودين بنعال ، ولا يلبسوا ثوبين** » (مرقس ٦: ٨-٩) .

لكن الوصية في لوقا تتفق مع مرقس في أمور وتختلف في أخرى فقد جاء فيها : « **وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى ، وقال لهم : لا تحملوا شيئًا للطريق ، لا عصا ولا مزودًا ولا خبزًا ، ولا فضة ولا يكون للواحد ثوبان** » (لوقا ٩:

---

(١) **Saint Matthew. J Fenton. pp 324.**، والترجمة بحسب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٨٧).

٢-٣) . فقد تناقضا في وصية المسيح بخصوص العصا .

كما ناقض إنجيلُ متى القديسَ مرقس في حمل العصا والأحذية ، إذ نسب إلى المسيح قوله : « **لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ، ولا نحاسًا في مناطقكم ، ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ، ولا أحذية ولا عصا** » (متى ١٠ : ٩-١٠) ، فقد نص متى على منعهم من اقتناء (أي تملك) الأحذية والعصا ، مخالفًا ما جاء في إنجيل مرقس .

هل سمعوا صوت اللّه أم أن اللّه لا يسمع صوته :

يتحدث يوحنا عن الله الآب فيقول : « **والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي ، لم تسمعوا صوته قط ولا رأيتم هيئته** » (يوحنا ٥ : ٣٧) ، وعليه فإن أحدًا لم يسمع صوت الله.

في حين أن الإنجيليين الثلاثة يتحدثون عن صوت لله سمعه الناس بعد عمادة المسيح على يد يوحنا المعمدان، يقول مرقس: «**وكان صوت من السماوات: أنت ابني الحبيب الذي به سررتُ**» (مرقس ١ : ١١)، و(انظر متى ١٧ : ٥، ولوقا ٣: ٢٢)، وكذلك سمع بطرس صوت الله حين كان فوق الجبل المقدس، يقول بطرس: «**أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء؛ اذ كنا معه في الجبل المقدس**» (٢ بطرس ١ : ١٧)، فكيف يتحدث بطرس والإنجيليون عن سماع صوت الله وهو يبشر بالمسيح؛ في حين أن يوحنا يذكر أن أحداً لم يسمع صوت الله ولم يره؟

متى يبست التينة ؟

وتتحدث الأناجيل عن إتيان المسيح شجرة تين ، فلما وجدها غير مثمرة دعا عليها قائلًا : « **لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد ، فيبست تلك الشجرة للوقت ، فنظر**

التلاميذ وتعجبوا » (متى ٢١ : ١٩-٢٠) ، إذًا كان يباسها في الحال .

وهذا ما يناقضه مرقس ، إذ ذكر دعاء المسيح على الشجرة ثم « **لما صار المساء خرج إلى خارج المدينة ، وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول ، فتذكر بطرس ، وقال له : يا سيدي ، انظر التينة التي لعنتها قد يبست !** » (مرقس ١١ : ١٩-٢٠) ، ومعنى هذا أنها لم تيبس في الحال ، كما لم يكتشف التلاميذ يباسها إلا في الغد .

هل حضر القائد إلى المسيح ؟

ويذكر متى أن المسيح عندما دخل كفر ناحوم « **جاء إليه قائد مائة يطلب إليه ويقول : يا سيدي ، غلامي مطروح في البيت مفلوجًا متعذبًا جدًا** » (متى ٨: ٥-٧) .

ويروي لوقا القصة وذكر بأن القائد لم يأت للمسيح، بل « **فلما سمع عن يسوع (أي القائد) أرسل إليه شيوخ اليهود يسأله أن يأتي ويشفي عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا إليه باجتهاد ..** » (لوقا ٧: ٣-٤) ، فهل حضر القائد أم لم يحضر .

أم المجنونة ، كنعانية أم فينيقية ؟

وجاءت المرأة تشكو إلى المسيح مرض ابنتها بالجنون ، وهذه المرأة عند متى « **كنعانية** » (متى ١٥ : ٢٢) ، غير أنها عند مرقس « **فينيقية سورية** » (مرقس ٧: ٢٦) ، فأيهما الصحيح ؟

متى حصلت قصة تطييب المرأة لقدمي المسيح ؟

وتتحدث الأناجيل الأربعة عن قصة المرأة الخاطئة التي دهنت قدمي المسيح بالطيب ومسحت قدميه بشعرها ، ويختلف الإنجيليون في تحديد الوقت الذي جرت فيه القصة ، فقد جعلها لوقا في أوائل تبشير المسيح ، في حين جعلها الآخرون متلازمة مع قصة الصلب ، واختلفوا هل كانت قبل الفصح بيومين أم قبله بستة أيام .

أما لوقا جعل القصة من أوائل قصص المسيح (انظر لوقا ٧: ٣٦-٥٠) وإبان حياة يوحنا المعمدان ، فقد ذكر لوقا قصة إرسال المعمدان تلاميذه إلى المسيح في نفس الأصحاح (انظر لوقا ٧: ١٩-٢٣) .

لكن مرقس يزعم أن هذه القصة حدثت قبل عيد الفصح بيومين « **كان الفصح وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه . ولكنهم قالوا : ليس في العيد لئلا يكون شغب في الشعب .. جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن** » (١٤ : ١-٤) ، والفصح الذي يتحدث عنه مرقس في أواخر تبشير المسيح ، أي العيد الذي حصلت فيه حادثة الصلب .

وأما يوحنا فجعل القصة قبل الفصح بستة أيام ، بدلًا من يومين ، يقول يوحنا : « **ثم قبل الفصح بستة أيام .. فأخذت مريم منًّا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ، ودهنت قدمي يسوع ومسحت** » (يوحنا ١٢ : ١-٣) ، وهو يتحدث عن ذات الفصح الذي تحدث عنه مرقس ، أي الذي سبق أحداث الصلب ، فمتى حصلت القصة ؟ وهل أخطأ روح القدس في إبلاغ بعضهم ؟ أم أن الإنجيليين كانوا هم المخطئين ؟

هل جرب إبليس المسيح على الجبل أولًا أم في الهيكل ؟

ويتحدث الإنجيليون عن تجربة إبليس للمسيح في موضعين ، أحدهما في القدس عند الهيكل ، والثانية عند جبل عال جدًا ، لكن الإنجيليين يختلفون في ترتيب الحدثين ، فمتّى يرى أن تجربة الهيكل أولًا ثم تلته تجربة الجبل ، فيقول : « **ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة ، وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل .. ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدًا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها** » (متى ٤ : ٥-٨) .

وهذا الترتيب يخالف فيه لوقا ، والذي يرى أن تجربة الجبل حصلت أولًا « **ثم أصعده إبليس إلى جبل عال ، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان .**

وقال له إبليس : لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهنّ .. ثم جاء به إلى أورشليم ، وأقامه على جناح الهيكل ، وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل » (لوقا ٤ : ٥-٩) .

ويحار القس الدكتور إبراهيم سعيد في ترتيب التجربتين ، ثم لا يجد ما يدفع حيرته وحيرة قرائه ، فيقول : « تميل جمهرة المفسرين في القرن الماضي إلى الترتيب المذكور في متى ، بينما يتفق المفسرون العصريون على تفضيل الترتيب في لوقا » [١]، بينما يجزم القس سمعان كلهون بأن ترتيب متى للتجارب هو الصحيح[٢].

ويبقى السؤال مطروحًا أمام المؤمنين بصحة الإنجيلين معًا: أي التجربتين كانت أولًا ؟ إنها إحدى معضلات العهد الجديد .

متى ظهر إيليا وموسى للتلاميذ ؟

ويتحدث الإنجيليون عن ظهور موسى وإيليا أمام التلاميذ بعد أن ذهبوا مع المسيح إلى جبل للصلاة ، وذلك بعد مغادرة المسيح قيصرية بعدة أيام ، اختلف الإنجيليون هل كانت ستة أيام أم ثمانية أيام ، يقول لوقا : « **وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلّي** » (لوقا ٩ : ٢٨) .

ويخالفه متى فيقول : « **وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه، وصعد بهم إلى جبل عال منفردين** » (متى ١٧ : ١) ، فهل كان ظهور موسى وإيليا بعد ستة أيام أم ثمانية ؟ .

وفي محاولة يائسة لحل هذا التناقض يقول الأب متى المسكين : « وهذا اللبس

---

(١) شرح بشارة لوقا ، القس إبراهيم سعيد ، ص (٨٥) .

(٢) اتفاق البشيرين، القس سمعان كلهون ، ص (١٠٨) .

ربما لأن القديس متى لم يحسب السبت في الوسط ، أما القديس لوقا فحسبه وحسب اليوم الذي تكلم فيه القديس بطرس عن استعلان المسيح »[1] .

ولا إخال القارئ إلا مدركًا أن ما قدم له الأب المسكين بقوله : « ربما » إنما هو محض تخرص وتخيل لا أساس له ، وكان الأولى به الإقرار بأن أحد الإنجيليين قد أخطأ في روايته .

هل تبرر إبراهيم بالإيمان فقط ؟

ولعل من أهم صور التناقض بين كتبة العهد الجديد اختلافهم في أهمية العمل للحصول على البر ، مع اتفاقهم على أهمية الإيمان ، فبولس يقلل من أهمية العمل ، ويراه غير ذي فائدة عند الله ، ويستدل لصحة مذهبه ببرارة إبراهيم عليه السلام بالإيمان قبل اختتانه والتزامه بالشريعة ، ويرى أن الأعمال إنما هي أجرة سداد لدين البرارة التي منحها الله له ، فيقول : « **لأنه إن كان إبراهيم قد تبرر بالأعمال فله فخر . ولكن ليس لدى الله . لأنه ماذا يقول الكتاب : فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برًا .**

أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة ، بل على سبيل دين . وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له برًا ، كما يقول داود أيضًا في تطويب الإنسان الذي يحسب له الله برًا بدون أعمال .. أفهذا التطويب هو على الختان فقط أم على الغرلة أيضًا ؟ لأننا نقول : إنه حسب لإبراهيم الإيمان برًا . فكيف حسب ؟ أوَهو في الختان أم في الغرلة ؟ ليس في الختان بل في الغرلة » (رومية ٤ : ٢-٦)، فالإيمان دون العمل هو طريق البر ، وكما تبرر إبراهيم به يتبرر المؤمنون ، هذا هو مذهب بولس « **الإنسان يتبرر بالإيمان ، بدون أعمال الناموس** » (رومية ٣: ٢٧-٢٨).

وأما التلميذ يعقوب فيخالفه ويناقضه ، حين يرى أن الإيمان بدون عمل لا

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٥٠٢) .

يجدي شيئًا ، بل هو إيمان ميت ، ويستدل لذلك ببرارة إبراهيم مناقضًا بولس ، حيث لم يكف إيمان إبراهيم ليكون بارًا عند الله ، إذ أصبح بارًا بالعمل ، حين قدم ابنه إسحاق ذبيحة بين يدي الله ، فحسب ذلك له برًا ، يقول يعقوب : « **ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال ، إذ قدم اسحق ابنه على المذبح ، فترى أن الإيمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان ، وتم الكتاب القائل : فآمن إبراهيم بالله فحسب له برًا ودعي خليل الله .**

ترون إذًا أنه بالأعمال يتبرر الإنسان ، لا بالإيمان وحده .. لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت » (يعقوب ٢: ٢١-٢٦) ، فهل تبرر إبراهيم بالإيمان وحده ، أم أن الإيمان بدون عمل جسد ميت ؟

أين كانت موعظة المسيح ؟

ويذكر الإنجيليون موعظة المسيح الطويلة لتلاميذه ، والتي عزّى فيها الفقراء والجياع ، وتهدد الأغنياء والمتخمين ، لكنهم اختلفوا في الموضع الذي كانت فيه الموعظة ، « **ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل ، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه ..** » (متى ٥ : ١) ، فمتّى يرى أن الموعظة كانت على الجبل .

وهو ما يخالفه فيه لوقا ، والذي يجعل الموعظة في سهل ، لا في الجبل ، فيقول: « **ونزل معهم ، ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه ..** » (لوقا ٦ : ١٧) .

ويحاول الأب متى المسكين الجمع بين النصين ، فيأتي بقول لا علاقة له بأي من النصين من قريب ولا بعيد ، فيقول : « **ربما يكون أنه بعد أن ألقى العظة على الجبل جالسًا نزل إلى السهل ليشفي المرضى واقفًا ثم صعد مرة أخرى** » [1] .

---

(١) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (٢١٢) .

نهاية يهــوذا :

ويتحدث العهد الجديد عن نهايتين مختلفتين للتلميذ الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي خان المسيح ، وسعى في الدلالة عليه وتسليمه مقابل ثلاثين درهمًا من الفضة ، فيقول متى : « **لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ ، قائلًا : قد أخطأت ، إذ سلمت دمًا بريئًا . فقالوا : ماذا علينا ؟ أنت أبصر . فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة ، وقالوا : لا يحل أن نلقيها في الخزانة ، لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء . لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم** » (متى ٢٧: ٢-٥) .

ولكن سفر أعمال الرسل يحكي نهاية أخرى ليهوذا وردت في سياق خطبة بطرس، حيث قال : « **أيها الرجال الإخوة ، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلًا للذين قبضوا على يسوع ، إذ كان معدودًا بيننا ، وصار له نصيب في هذه الخدمة ، فإن هذا اقتنى حقلًا من أجرة الظلم ، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط ، فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلومًا عند جميع سكان أورشليم ، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما ، أي حقل دم** » (أعمال ١ : ١٦-٢٠) .

فقد اختلف النصان في جملة من الأمور :

* كيفية موت يهوذا ، فإما أن يكون قد خنق نفسه ومات « **ثم مضى وخنق نفسه** » ، وإما أن يكون قد مات بسقوطه ، حيث انشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه فمات « **وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها** » ، ولا يمكن أن يموت يهوذا مرتين ، كما لا يمكن أن يكون قد مات بالطريقتين معًا .

❋ من الذي اشترى الحقل ، هل هو يهوذا « **فإن هذا اقتنى حقلًا من أجرة الظلم** » ، أم الكهنة الذين أخذوا منه المال « **فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري** » ؟

❋ هل مات يهوذا نادمًا « **لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ..قد أخطأت، إذ سلمت دمًا بريئًا** » أم معاقبًا بذنبه كما يظهر من كلام بطرس ؟

❋ هل رد يهوذا المال للكهنة « **وردّ الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ**»، أم أخذه واشترى به حقلًا « **فإن هذا اقتنى حقلًا من أجرة الظلم** » ؟

❋ هل كان موت يهوذا قبل صلب المسيح وبعد المحاكمة « **ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي ، حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم .. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه** » أم أن ذلك كان فيما بعد ، حيث مضى واشترى حقلًا ثم مات في وقت الله أعلم متى كان ؟

❋ هل سمي الحقل حقل دم لأنه كان ثمنًا لدم المسيح « **فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم ، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء ، لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم** » ، أم لأن دم يهوذا قد سال فيه لما انشق بطنه « **فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم ، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط ، فانسكبت أحشاؤه كلها ، وصار ذلك معلومًا عند جميع سكان أورشليم ، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما ، أي حقل دم** » .

ثانيًا : هل يتناقض المسيح ؟

وتظهر الأناجيل المسيح متناقضًا مع نفسه في أقواله ، ومرد ذلك إلى تناقض الإنجيليين الأربعة ، أو تناقض الواحد منهم مع نفسه .

بطرس شيطان أم رسول ؟

يتناقض متى في صفحة واحدة وهو يتحدث عن رأي المسيح في بطرس ، فقد قال له : « **طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك ، لكن أبي الذي في السماوات .. أنت بطرس .. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولًا في السماوات ..** » .

ولكنه ناقض ذلك بعده بسطور حين قال عنه : « **قال لبطرس : اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس** » (متى ١٦ : ١٧ -٢٣).

ثم يتحدث متى عن إنكار بطرس للمسيح في ليلة المحاكمة بل وصدور اللعن والسب منه (انظر متى ٢٦: ٧٤) .

ثم يقول عنه في موضع آخر : « **متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا ، تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر** » (متى ١٩ : ٢٨) ، فأي الأقوال تصدق في حق بطرس ، وجميعها منسوبة للمسيح ؟

هل المحايد معنا أو ضدنا ؟

ومن التناقض الذي نسبه الإنجيليون إلى المسيح عليه السلام ما زعمه متى أن المسيح قال لتلاميذه : « **من ليس معي فهو علي ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق** » (متى ١٢ : ٣٠) .

وهذا يناقض ما ذكره مرقس عنه : « **من ليس علينا فهو معنا** » (مرقس ٩ : ٤٠) ، فبأي الهديين يهتدي التلاميذ .

ما هو موقف المسيح من أعدائه ؟

ويعود لوقا للتناقض فينسب إلى المسيح موقفين متناقضين من الأعداء ، فزعم مرة أنه أمر بمحبتهم فقال : « **أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وباركوا لاعنيكم** » (لوقا ٦ : ٢٧-٣٨) .

لكنه نسب إلى المسيح مناقضة ذلك عندما ذكر ـ على لسانه ـ مثل الأمناء العشرة الذي ضربه المسيح لمملكته ، وقد تمثل فيه قول الملك الذي رفضه شعبه ، فقال : « **أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم إلى هنا ، واذبحوهم قدامي** » (لوقا ١٩ : ٢٧) [1] ، فأي الهديين في المعاملة مع الأعداء صدر من المسيح ؟

هل المطلوب بغض الوالدين أم محبتهما ؟

ومن التناقض أيضًا ما وقع فيه لوقا حين زعم أن المسيح قال : « **إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته ، حتى نفسه أيضًا ، فلا يقدر أن يكون تلميذًا** » (لوقا ١٤ : ٢٦) .

ثم في موضع آخر يذكر لوقا أن رجلًا سأل المسيح عن طريق الحياة الأبدية فكان من إجابته « **أكرم أباك وأمك** » (لوقا ١٨ : ٢٠) .

وفي مرقس أن المسيح قال : « **تحب قريبك كنفسك** » (مرقس ١٢ : ٣١) ، فهل المطلوب من التلاميذ بغض الوالدين أم محبتهما وإكرامهما ؟

---

(١) يرى القس الدكتور إبراهيم سعيد أن هذا النص يتحدث عن دينونة المسيح لليهود الرافضين لتمليكه عليهم ، وأنه تحقق في « خراب أورشليم والمعاملة السيئة التي عومل بها اليهود في كل العالم .. على أن هذا القول لا يعني اليهود وحدهم ، بل يشمل كل من كان على شاكلتهم » . شرح بشارة لوقا ، ص (٤٧٣) .

هل يعقل أن يكون مصير المسيح عليه السلام جهنم ؟

وتتناقض الأناجيل حين تذكر أن المسيح توعد الذين يشتمون إخوانهم بالنار ، ثم تزعم أنه صنعه ، فقد قال : « **ومن قال : يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم** » (متى ٥: ٢٢) .

في حين أن لوقا زعم أن المسيح قال لتلميذيه اللذين لم يعرفاه بعد القيامة : « **أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء** » (لوقا ٢٤: ٢٥) ، وأنه قال لبطرس : « **اذهب عني يا شيطان** » (متى ١٦: ٢٣) .

وخاطبه في موطن آخر : « **يا قليل الإيمان لماذا شككت** » (متى ١٤: ٣١) ، فهل يحكم النصارى على المسيح باستحقاقه النار ، أم يحكمون على هذه النصوص بالقصور والتناقض .

ثالثًا : التناقض بين العهد القديم والعهد الجديد :

وكما تناقض الإنجيليون وكتاب الرسائل مع بعضهم فإنهم تناقضوا مع أسفار العهد القديم ، في مختلف القضايا التي شاركوا كُتاب العهد القديم في الحديث عنها ، اللاهوتية منها والتاريخية .

التناقضات في صفات اللّه :

يقول يوحنا : « **الله لم يره أحد قط** » (يوحنا ١ : ١٨) وكلامه حق .

لكنه متناقض مع ما جاء في عدة مواضع في التوراة ، منها قول يعقوب : « **نظرت الله وجهًا لوجه** » (التكوين ٣٢: ٣٠) .

ومثله ما جاء في سفر الخروج أن موسى أصر على رؤية الله فقال له الرب : « **هو ذا عندي مكان ، فتقف على الصخرة ، ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة ، وأسترك بيدي حتى أجتاز ، ثم أرفع يدي فتنظر ورائي ، أما وجهي فلا يرى** » (الخروج ٣٣: ٢١-٢٣) .

كما يتناقض قول يوحنا مع زعم لوقا بأن استفانوس قد رأى الله بصورته ومجده، إذ يقول : « **وأما هو فشخص إلى السماء ، وهو ممتلئ من الروح القدس ، فرأى مجدَ الله ويسوعَ قائمًا عن يمين الله . فقال : ها أنا أنظر السماوات مفتوحة ، وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله** » (أعمال ٧: ٥٥-٥٦) .

كما وصف يوحنا الله الآب بأنه لم يسمع أحد صوته ، فيقول : « **والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي ، لم تسمعوا صوته قط ، ولا رأيتم هيئته** » (يوحنا ٥: ٣٧) ، وعليه فإن أحدًا لم يسمع صوت الله ، وهو بذلك يخالف ما جاء في التوراة ، التي تذكر أن بني إسرائيل سمعوا صوت الله حين كلمهم في حوريب « **فكلمكم الرب من وسط**

النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ، ولكن لم تروا صورة ، بل صوتًا » (التثنية ٤ : ١٢) ، فهل سمع البشر صوت الله أم لم يسمعوه ؟

ويصف بولس الله ﷻ بوصف حق ، فيقول : « **الله ليس إله تشويش ، بل إله سلام** » (١ كورنثوس ١٤ : ٣٣) .

ولكنه يناقض بذلك ما جاء في سفر التكوين « **وقال الرب : هوذا شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم .. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددوهم من هناك على وجه كل الأرض** » (التكوين ١١ : ٦-٩) .

هل كل المطعومات مباحة ؟

ومن التناقضات أيضًا أن التوراة تتحدث عما يجوز أكله وما لا يجوز من الأطعمة مما ينجس أكله . (انظر اللاويين ١١ : ١-٤٧) .

لكن مرقس يذكر أن المسيح خالف ذلك فقال كلاما غريبًا أباح فيه كل طعام فقال : « **اسمعوا مني كلكم وافهموا : ليس شيء من خارج الإنسي إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس** » .

وقد صعُب فهم هذا على تلاميذه فأعادوا السؤال عنه ، فأعاد الجواب ، وقال : « **لأنه لا يدخل إلى قلبه ، بل إلى الجوف ، ثم يخرج إلى الخلاء ، وذلك يطهر كل الأطعمة** » (مرقس ٧: ١٤-١٩) . فهذه أغرب طريقة في تطهير الطعام ، وهي تناقض أحكام التوراة وتخالفها وتنقضها .

من الذي اشترى أرض شكيم ؟

ومن التناقضات أيضًا ما بين أعمال الرسل وسفر التكوين فيمن اشترى أرض شكيم من بني حمور ، هل هو إبراهيم أم إسحاق ؟

فقد جاء في أعمال الرسل « **نزل يعقوب إلى مصر ، ومات هو وآباؤنا ، ونقلوا**

إلى شكيم (نابلس) ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة من بني حمور أبي شكيم » (أعمال ٧: ١٥-١٦) .

وفي سفر التكوين أن أرض شكيم قد ابتاعها يعقوب لا إبراهيم ، حيث يقول : « **ثم أتى يعقوب سالمًا إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان .. وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور أبي شكيم بمائة قسيطة** » (التكوين ٣٣: ١٨-١٩) .

والخطأ من كاتب أعمال الرسل لأن الأرض التي ابتاعها إبراهيم ، هي في أرض حبرون (الخليل) أ واشتراها من عفرون ، وفيها دفن سارة ، ثم دفن هو فيها كما في سفر التكوين « **ووزن إبراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث ، أربعمائة شاقل فضة .. بعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون ، في أرض كنعان** » (التكوين ٢٣: ١٦-١٩) . فمن الذي اشترى أرض شكيم ، يعقوب أم إبراهيم ؟

كم سنة حكم شاول على بني إسرائيل ؟

جاء في سفر صموئيل أن شاول ملك على بني إسرائيل لمدة سنتين ، حيث يقول : « **كان شاول ابن سنة في ملكه ، وملك سنتين على إسرائيل** » (١ صموئيل ١٣: ١) ، وهو مناقض لما ذكره سفر أعمال الرسل ، حيث جاء فيه : « **ومن ثم طلبوا ملكًا، فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلًا من سبط بنيامين أربعين سنة** » (أعمال ١٣: ٢١) ، فهل ملك شاول أربعين سنة أم سنتين فقط ؟

متى بنى سليمان الهيكل؟

يحكي سفر الملول الأول أن سليمان عليه السلام بنى الهيكل بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني إسرائيل من مصر: « **وكان في سنة الأربع مائة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في السنة الرابعة لملك سليمان على إسرائيل في شهر زيو ،**

وهو الشهر الثاني أنه بني البيت للرب» (١ ملوك ٦: ١).

هذا الرقم (٤٨٠) لا يتوافق مع التواريخ التي يذكرها لنا بولس في سفر أعمال الرسل، حيث يلخص حياة بني إسرائيل: «**ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر، وبذراع مرتفعة أخرجهم منها، ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية، ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان، وقسم لهم أرضهم بالقرعة، وبعد ذلك في نحو أربع مائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي، ومن ثم طلبوا ملكًا، فأعطاهم الله شاول بن قيس، رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة، ثم عزله، وأقام لهم داود ملكًا**» (أعمال ١٣: ١٨ - ٢٢)، وقد استمر داود في الحكم أربعين سنة كما في سفر صموئيل: « **كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة**» (٢صموئيل ٥: ٤)، ثم مات فحكم بعده ابنه سليمان الذي بنى البيت.

ولو أردنا أن نعرف سنة حكم سليمان بحسب سفر أعمال الرسل؛ فإنا ولا ريب سنجمع عدد سني التيه ٤٠ « **أربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية** »، وسنوات استيلائهم على الأرض زمن يشوع، وهي لم تذكر في النص، سنوات حكم القضاة ٤٥٠ «**نحو أربع مائة وخمسين سنة أعطاهم قضاة**»، وسنوات حكم شاول ٤٠ «**فأعطاهم الله شاول بن قيس، رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة**»، وسنوات حكم داود ٤٠ « **كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة** »، وسيكون حاصل الجمع ، أي سنة تولي سليمان للملك هو (٥٧٠) بعد الخروج، لأن ٤٠+ ٤٥٠ + ٤٠+ ٤٠= ٥٧٠ سنة، وهو رقم بعيد جدًا عن الرقم الذي ذكره سفر الملوك الأول (٤٨٠). معضلة لا حل لها.

ومن أراد زيادة يقين بخطأ الحساب التوراتي فليقرأ ما يقوله القمص تادرس يعقوب ملطي: «يأتي هذا الرقم نحو أربعمائة وخمسين سنة لفترة القضاة حتى

صموئيل النبي مطابقًا لحسابات المؤرخ يوسيفوس الذي يعطي ٥٩٢ سنة من خروج شعب إسرائيل من مصر إلى بناء الهيكل، وهي ٤٠ سنة في التيه، مضافًا إليها ٢٥ سنة زمن حكم يشوع حسب تقرير يوسيفوس، مضافًا إليها ٤٥ سنة زمن القضاة، ثم حكم شاول ٤٠ سنة، ثم ٤٠ سنة حكم داود (١مل ٢: ١١) ثم أربع سنوات لسليمان للإعداد لبدء بناء الهيكل، فالمجموع ٥٩٩ سنة، ويكون الفارق ٧ سنوات»[١]، وهكذا فالرقم (٤٨٠) مخالف كذلك لما حكاه المؤرخ اليهودي يوسيفوس، والرقم الصحيح بعد إضافة حكم يشوع وهو (٥٥٩).

من ابن الله الذي بشّر به داود ؟

نقل بولس في رسالته إلى العبرانيين بشارة الله لداود بابنه سليمان ، لكنه جعلها نبوءة بالمسيح عليه السلام ، فيقول : « **كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء .. صائرًا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم ، لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك . وأيضًا أنا أكون له أبًا ، وهو يكون لي ابنًا** » (عبرانيين ١ : ٥) .

وقد اقتبس بولس العبارة الواردة في سفر صموئيل الثاني (٧: ١٤) ، وجعلها نبوءة عن المسيح ، ففيه : « **أنا أكون له أبًا ، وهو يكون لي ابنًا** » فقد ظن بولس أن هذه العبارة نبوءة عن المسيح عليه السلام فنقلها في رسالته .

إلا أن هذا الاقتباس غير صحيح ، فالنص جاء في سياق الحديث إلى داود ، فقد أمر الله النبي ناثان أن يقول لداود : « **فهكذا تقول لعبدي داود .. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم نسلك الذي يخرج من أحشائك ، وأثبت مملكته ، هو يبني**

(١) تفسير أعمال الرسل، القمص تادرس يعقوب ملطي ، ص (٢/ ٥٨٥).

بيتًا لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ، أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا ، وإن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم » (٢ صموئيل ٧: ٨-١٧) ، فالمتنبئ عنه يخرج من أحشاء داود، وليس من ذريته ، وهو يملك على بني إسرائيل بعد اضطجاع داود أي موته ، وهو باني بيت الله ، وهو متوعد بالعذاب إنْ مال عن تعاليم الله «تعوج أؤدبه»، وكل هذا قد تحقق في سليمان كما تذكر التوراة .

إن أيًا من تلك المواعيد لم يتحقق في المسيح ﷺ ، فهو عندهم إله لا يصح أن يتوعد بالعذاب من الله لأنه لا يخطئ ابتداءً ، كما أنه لم يبنِ لله بيتًا ، ولم يملك على بني إسرائيل يومًا واحدًا ، ولم يثبت كرسي مملكته ، لأنه لا مملكة له أصلًا في هذا العالم كما أخبر هو فقال : « **أجاب يسوع : مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون ، لكي لا أسلّم إلى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا** » (يوحنا ١٨ : ٣٦) .

وقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول أن اسم صاحب النبوءة يكون «**سليمان**» ، فقد قال لداود : « **هوذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة ، وأريحه من جميع أعدائه حواليه ، لأن اسمه يكون: سليمان . فأجعل سلامًا وسكينة في إسرائيل في أيامه . هو يبني بيتا لاسمي ، وهو يكون لي ابنًا ، وأنا له أبًا ، وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد** » (١ أخبار ٢٢ : ٩) .

وقد لحظ المفسر وليم باركلي ما تعرض له النص من تغيير، فقال: «قد يبدو للبعض منا أن في اقتباس بعض هذه الآيات شيئًا غريبًا ، فمثلاً، الآية المأخوذة من صموئيل الثاني ٧: ١٤ هي في أصلها إشارة مباشرة إلى سليمان، لا إلى المسيا أو الابن ... ولكن حيث وجد المسيحيون الأوائل كلمة «الابن» أو «الرب» رأوا بإلهام من الروح

القدس : أن المقصود بهما شخص يسوع»[1] ، وهكذا فقد أعطاهم باركلي الحق في التلاعب في النصوص وتغيير التاريخ، ليصبح المسيح هو الملك الذي يدوم ملكه ويؤدبه الله بالبلايا حين يخطئ!! المهم عندهم أن نصطنع نبوءات في التوراة عن المسيح.

من الذي دعي من مصر ؟

ومن تحريف النبوءات المزعومة ما صنعه متى في قوله عن المسيح وعودته من مصر إبان طفولته : « **كان هناك إلى وفاة هيرودس ، لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : من مصر دعوتُ ابني** » (متى ٢: ١٤-١٥) ، فقد زعم أن ذلك يحقق النبوءة التوراتية التي في سفر هوشع (انظر هوشع ١١: ١-٢) .

لكن النص الذي في هوشع لا علاقة له بالمسيح ، فالنص يتحدث عن عودة شعب إسرائيل من مصر مع موسى ، والحديث في أصل السياق عن يعقوب ، ثم ينتقل للحديث عن أبنائه وعودتهم من مصر ، ثم عبادتهم للأوثان بعد ذلك وإعراضهم عن دعوات الله لهم ، فيقول : « **لما كان إسرائيل غلامًا أحببته ، ومن مصر دعوت ابني ، كلما دعوا ولوا وجوههم ، وذبحوا لبعاليم ، وقربوا للأصنام** » (هوشع ١١: ١-٢) ، والنص وفق الترجمة السبعينية والفولجاتا يبتعد بالنص عن موضع الدلالة، فيقول: «**إذ كان إسرائيل صبيًا أحببته، ومن مصر دعوت بنيه**»[2]، فالحديث ليس عن ابن واحد، بل عن أبناء كُثر.

فالنص لا علاقة له بالمسيح ، فعبادة الأصنام التي يتحدث عنها النص حصلت قبل المسيح ، ولا تنطبق على معاصري المسيح ، لأن اليهود تابوا عن عبادة الأوثان توبة جيدة

---

(١) تفسير الرسالة إلى العبرانيين، وليم باركلي، ص (٣٢) .

(٢) رسائل هيرونيموس (جيروم)، الرسالة إلى باماكيوس، ص (١/ ٣٣٤) .

قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة بعدما أطلقوا من أسر بابل ، ثم لم يعودوا بعد تلك التوبة كما يتضح ذلك لقارئ الكتاب المقدس ، وهو ما تشهد له كتب التواريخ .

واستخدام هذه الصيغة (ابني) في شعب بني إسرائيل معهود في التوارة ، فقد جاء فيها « **عندما تذهب لترجع إلى مصر .. فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب : إسرائيل ابني البكر . قلت لك : أطلق ابني ليعبدني** » (الخروج ٤ : ٢١-٢٣) .

وإضافة إلى ما سبق ، فإنه ليس من دليل تاريخي ولا كتابي خلاف هذا النص يؤيد فكرة وصول المسيح إلى مصر، ولا يمكننا التنبؤ بسبب اختلاق هذه الرحلة، لكننا نردد مع ول ديورانت: «وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس من طقوسها»[1].

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٢١٠).

رابعًا : النصارى بين الاعتراف بالتناقضات والمكابرة :

وتبذل محاولات يائسة وساذجة للجمع بين هذه المتناقضات وتقديمها بصورة متوافقة متكاملة ، لكن التكلف يكتنف جميع هذه المحاولات التي غالبًا ما تظهر باهتة ، إضافة لما تحمله من صور للجمع لا دليل عليها .

لذا فإن الفيلسوف الناقد اليهودي اسبينوزا صدق وهو يقول عن التوراة ، وينطبق حديثه على العهد الجديد : « فإذا ظن أحد أني أتحدث بطريقة عامة جدًا دون أساس كاف ، فإني أرجو أن يكلف نفسه العناء ، ويدلنا على ترتيب يقين لهذه الروايات يستطيع المؤرخون اتباعه في كتاباتهم للأخبار دون الوقوع في خطأ جسيم ، وعلى المرء في أثناء محاولته تفسير الروايات والتوفيق أن يراعي العبارات والأساليب، وطرق الوصل في الكلام ، ويشرحها بحيث نستطيع طبقًا لهذا الشرح أن نقلدها في كتاباتنا ، ولسوف أنحني مقدمًا في خشوع لمن يستطيع القيام بهذه المهمة ، وإني على استعداد لأن أشبهه (بأبوللو) نفسه .

على أني أعترف بأني لم أستطع أن أجد من يقوم بهذه المحاولة ، على الرغم من طول بحثي عنه ، ومع أني مشبع منذ طفولتي بالآراء الشائعة عن الكتاب المقدس ، فقد كان من المستحيل ألا أنتهي إلى ما انتهيت إليه . وعلى أية حال فليس هناك ما يدعونا إلى أن نعطل القارئ هنا ، وأن نعرض عليه في صورة تحد أن يقوم بمحاولة ميئوس منها »[(١)] .

وقليلون هم الذين يعترفون بالحقيقة ، ومنهم محررو مجلة (الحقيقة المجردة - الناصعة -) النصرانية والتي يقول عدد يوليو ١٩٧٥م منها : « هناك ادعاءات كثيرة

---

(١) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص (٣٢٥) .

لتناقضات في الكتاب المقدس لم يستطع العلماء حلها حتى الآن ، وفيها ما يسر كل كافر ملحد ، فهناك بعض الصعوبات النصية التي ما زال العلماء يتصارعون معها إلى يومنا هذا ، ولا ينكر هذه الحقيقة إلا من كان جاهلًا بالكتاب المقدس » .

ومثلهم يقول مفسرو الترجمة المسكونية للتوراة عن الأناجيل بأنها « صورة لأدب غير مترابط ، مفتقر هيكله إلى حسن التتابع .. يبدو أن ما فيه من تضاد غير قابل للتذليل »[١] .

ونختم بإقرار متحفظ جدًا من الكاتب حبيب سعيد، وهو ينصح المؤمنين بالكتاب المقدس: «يجب التسليم بلا مواربة أن هناك بعض الفارق أو التناقض أو الاختلاف في قليل من الروايات .. لم يدع أحد العصمة اللفظية الحرفية لروايات الأناجيل، فقد كان الكُتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التي يخضع لها الكُتاب عادة في كل جيل، ولا نجني شيئًا إذا نحن تظاهرنا أو ادعينا أن ليس بين البشائر بعض الفوارق التافهة»[٢].



(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات ، ص (٧٧) ، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٩٤) .

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، ص (٢٢٧).

الأثر التشريعي والأخلاقي للعهد الجديد

جاء في كلام المسيح « **احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ، من ثمارهم تعرفونهم ، هل يجتنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينًا ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية .**

لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع ثمارًا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة، كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار ، فإذًا من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧: ١٥ ـ ٢٠) .

يسوق المسلمون هذا النص الإنجيلي ويطلبون من النصارى التحاكم إليه ، ومن ثم تكون الثمار دالة على حسن الغرس أو سوئه .

واقع المجتمعات النصرانية :

وعند النظر إلى المجتمع النصراني بشكل عام يسجل المحققون على المجتمع النصراني انتشار عدد من الموبقات ، من أهمها : (الزنا والشذوذ ـ الانتحار والجرائم ـ التمييز العنصري البغيض ـ التفكك الأسري والعلاقات الاجتماعية السيئة ـ المخدرات والمسكرات والخمور ـ الانسلاخ من الدين وشيوع الإلحاد ـ الوحشية مع الأمم الأخرى ..) .

ويتبين من هذا كله من خلال بعض الأرقام التي أوردها المحققون نقلًا عن إحصائيات صادرة في الغرب إضافة إلى قراءتهم الصحيحة للمجتمع النصراني .

فقد نشرت مجلة بونتي الألمانية إحصاءً حول معتقدات الألمان ، ونتيجة الإحصاء أن ٦٥٪ من الألمان يؤمنون بالله ، و٥٠٪ يؤمنون بالحياة بعد الموت والجزاء فيه .

وفي جنوب أفريقيا حيث نسبة النصارى ٩٨٪ ينتشر زنا المحارم بين البيض بنسبة ٨٪ ، بينما يبلغ عدد مدمني الخمر في أمريكا كما يقول القس جيمي سويجارت أربعة وأربعين مليون إضافة إلى أحد عشر مليون سكير .

ويذكر جون ستون بحثًا ميدانيًا أجري عام ١٩٧٨م ، وكان من نتيجته أن ٤٪ من المجتمع الأمريكي يمارسون السحاق أو الشذوذ طوال حياتهم ، و١٠٪ يمارسونه لمدة ثلاث سنوات ، وتشير أرقام اتحاد تنظيم الأسرة في بريطانيا إلى أن نصف الفتيات المراهقات تحت ١٦ سنة يمارسن الزنا [1] .

كيف يواجه العهد الجديد هذا الواقع ؟

وللمرء أن يتساءل : ماذا لدى الإنجيل من مقومات الإصلاح لهذا الفساد وتلك الأرقام الوبائية ؟ وهل للإنجيل علاقة بهذه الأرقام ؟

الإجابة تتلخص في قصور التشريعات الإنجيلية عن معالجة الأوضاع الفاسدة في المجتمعات النصرانية ، بل ليس من التجني في شيء إذا قلنا بأن الكتاب المقدس هو أحد أسباب الفساد في تلك المجتمعات ، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة [2] .

وقد تجلت مسئولية الكتاب عن هذا الفساد بأمور تتفاوت في أثرها ، لكنها مجتمعة حوت أسباب البلاء وجذوره ، وفي كل ذلك ما يدل على أنه ليس كلمة الله ، لأن الله يرسل أنبياءه بكتبه ليهدي الناس ويخرجهم من الظلمات والشرور إلى الهدى والنور .

---

(١) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص (١٤٠ ، ١٦٩-١٧٣) ، الكنيسة والانحراف الجنسي ، أحمد عبد الله ، (٧٩-٨٢) .

(٢) لا يعني هذا أن الكتاب المقدس خلو من التعاليم السامية والتي هي في الحقيقة بقية أنوار الأنبياء وهديهم، لكن شابها ما أضافه الكتبة من الباطل ، فانطفأت أنوار الحق ، وبهتت ، وغاصت درره في بحور التحريف .

أولاً : العهد الجديد ومنافاته للفطرة الإنسانية :

ثمة نصوص إنجيلية كثيرة تجلى فيها مصادمة الإنجيل الموجود بين أيدينا للفطرة الإنسانية التي خلق الله عليها عباده ، مما يترك أثرًا سلبيًا أخلاقيًا أو اجتماعيًا على قارئيها ، منها :

أنه ثمة نصوص تصطدم مع طبيعة الإنسان وفطرته التي فطره الله عليها ، ومنه ما جاء في العهد الجديد من حث على التبتل وترك الزواج يقول بولس : « **أقول لغير المتزوجين وللأرامل : إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا** » (١ كورنثوس ٧: ٨) .

وفي نص آخر يقول : « **لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله** » (رومية ٨: ٧) ، وعليه فالأكل والشرب والنوم والزواج .. وغيرها من حاجات الإنسان الفطرية إنما يمارسها الإنسان وهو يعادي ربه ، لأن الفكرة الخاطئة التي تسيطر على بولس هي العداوة بين الجسد والروح « **لأن الجسد يشتهي ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون** » (غلاطية ٥: ١٧) ، وهذا الصراع المفترض بين الروح والجسد يشوه الحياة الإنسانية التي لا تسعد إلا بتكامل حاجات الجسد ورغبات الروح .

وقد ألقت هذه النصوص بظلال سيئة الرائحة على «كثيرين من الرهبان المصريين كانوا أميين يحتقرون العلوم الدنيوية ، ويرون أنها غرور باطل ، ومنهم من كان يرى أن النظافة لا تتفق مع الإيمان؛ وقد أبت العذراء سلفيا أن تغسل أي جزء من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية ١٣٠ راهبة لم تستحم واحدة منهن قط أو تغسل قدميها، لكن الرهبان أنسوا إلى الماء حوالي آخر القرن الرابع، وسخر الأب اسكندر من هذا الانحطاط، فأخذ يحِنُّ إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها

الرهبان "يغسلون وجوههم قط »[١].

وذات الصورة بنقلها فيلسيان شالي، فـ «كثيرون هم القديسون، وبعض الصوفيين الذين يعيشون في القذارة، ويفرضون على أنفسهم شتى أنواع الألم؛ احتقارًا منهم للجسد، وفي القرن الثامن عشر كانت "مؤسسة مذهب الطمأنينة" الصوفي والسيدة غويون تضع حجارة في حذائها، وتمزق جسدها بالشوك، وترغم نفسها على وضع لسانها فوق أسوأ بصاق يمكن أن يراه الإنسان»[٢].

وأما التلميذ يعقوب فيبالغ في تحذيره من محبة العالم ، من غير أن يفرق بين الخير والشر ، فيقول : « **أيها الزناة والزواني ، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة للّه ، فمن أراد أن يكون محبًا للعالم فقد صار عدوًا الله** » (يعقوب ٤ : ٤) ، فهل محبة الخير أو الوالدين أو حتى شهوات الإنسان الفطرية من نكاح وتناسل وطعام وشراب ، هل محبة هذه المحبوبات عداوة لله ؟!

وفي مرة أخرى ينسب متى إلى المسيح أنه قال : « **يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات ، من استطاع أن يقبل فليقبل** » (متى ١٩ : ١٢) .

ويذكر متى دعوة المسيح إلى التخلي عن الدنيا بما فيها الحاجات الأساسية والضرورية للحياة الإنسانية السوية ، فقد جاءه رجل فقال للمسيح بأنه حفظ الوصايا كلها « **فماذا يعوزني بعد ؟ قال له يسوع : إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء ، فيكون لك كنز في السماء ، وتعال واتبعني ، (لكن الشاب الصالح) مضى حزينًا ، لأنه كان ذا أموال كثيرةً .**

---

(١) قصة الحضارة، ولديورانت (١٢/ ١٢٢) .

(٢) موجز تاريخ الأديان، فيلسيان شالي، ص (٢٥٢) .

فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله ، فلما سمع تلاميذه بهتوا جدًا قائلين : إذًا من يستطيع أن يخلص » (متى ١٩ : ٢٠-٢٥) .

فهذا النص وأمثاله محارب لدفعة الحياة التي بها يقوم العمران والحضارات ، يقول برنارد شو: «لو عمل الأغنياء قاطبة بهذه النصيحة في وقت واحد، فالنتيجة الوحيدة ستكون إضافة نفسه ومن يعيلهم إلى قائمة الفقراء، بينما لا يكون في عمله فائدة للفقراء أكثر من أن يتيح لقلة منهم فرصة لإقامة حفلة سكر معربدة»[1].

ومثله تلك الدعوة التي نرى فيها دعوة للتكاسل والقعود ، تبأس البشرية إن فعلتها ، وهي ما جاء في لوقا : « **لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون ، ولا للجسد بما تلبسون، الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ، تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد ، وليس لها مخدع ولا مخزن ، والله يقوتها .. تأملوا الزنابق كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل .. فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا .. بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزاد لكم** » (لوقا ١٢ : ٢٢-٣١) .

ومثله يذكر متى أن المسيح أمر تلاميذه : « **لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا نحاسًا في مناطقكم ، ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصًا** » (متى ١٠ : ٩-١٠) ، فكيف تعمر الأرض لو امتثل الناس جميعًا بهذا الأمر المحال .

ومما يصادم الفطرة الإنسانية المثالية غير المعقولة ولا المحمودة في بعض فقرات العهد الجديد كما في قول متى الذي نسبه إلى للمسيح في قوله : « **وأما أنا**

---

(١) المسيح ليس مسيحيًا، جورج برنارد شو، ص (٩١).

فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم » (متى ٥ : ٤٤)[1] ، فعلاوة على كون الأمر بمحبة الأعداء أمرًا محالًا لم تطبقه المجتمعات النصرانية في يوم من الأيام ، فإنه لا يحسن أن يكون المسيح قد أمر بمحبة الشيطان ، أكبر أعداء الإنسان ، ومثله يقال في شياطين الإنس الذين يبغضهم الله ، ولا يحسن بالمؤمن أن يحبهم وقد أبغضهم ربه جل وعلا .

وتزداد النكارة والغرابة من أمر الكتاب المؤمنين بمحبة أعدائهم مهما أساؤوا وصنعوا ، بينما يطلب في موضع آخر من المؤمنين أن يبغضوا أولئك الذين أحسنوا إليهم أو يلوذون بهم من والِدين وإخوة وأبناء ، فإن بغضهم وكراهيتهم شرط للتلمذة عند السيد المسيح كما زعم لوقا « **إن كان أحد يأتي إليّ ، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وإخوانه حتى نفسه أيضًا فلا يقدر أن يكون تلميذًا** » (لوقا ١٤ : ٢٦-٢٧) .

(١) قوله : «باركوا لاعنيكم» في هذه الفقرة من إنجيل متى مشكوك في أصالته، لم تتضمنه أهم المخطوطات الكتابية (السينائية والفاتيكانية)، وقد حذفته جميع النسخ النقدية باعتباره نصًا دخيلًا على الكتاب المقدس، ولن يشاهده القارئ العربي في أي ترجمة عربية سوى الفانديك التقليدية .

ثانيًا : العجز التشريعي للعهد الجديد :

ورأى المحققون أيضًا أن تشريعات الأناجيل عاجزة عن إقامة الحياة المستقيمة المتكاملة بما تحمل هذه الأناجيل من مثالية مقيتة يستحيل أن تصلح الحياة معها ، ومن ذلك ما نسبه متى إلى المسيح : « **من لطمك على خدك ، فحول له الآخر أيضًا** » (متى ٥: ٣٩) ، وقد ورد النص في مقابل القصاص ، ولذلك فهو إلغاء لشريعة القصاص ، أو إضافة أخلاقية تفتقر إلى المعقولية ، وكأني به يحث على الرضا بالضيم والظلم ، وهو ولا ريب سبب عظيم في ظهور الفساد والبغي .

ومثله قول لوقا : « **من ضربك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر ، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ... ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه به** » (لوقا ٦: ٢٨-٢٩) ، فهل يصنع هذا أحد من العقلاء ؟ ولو صنعه الناس فأي واقع من الظلم والاضطهاد والشرور سيكون ؟!، يقول بروس: «ليس من السهل تنفيذ أوامر يسوع البسيطة في مجتمع معقد كمجتمعنا ..هذه الوصية تقع في دائرة السلوك الشخصي، مهما يكن من أمر فهناك الكثيرون من المسيحيين يعتقدون بأن هذا التعليم ينبغي أن يوضع موضع التطبيق من قبل الجماعات والدول أسوة بالأفراد »[1]، فأين تحققت هذه الطوباوية؟ ومتى؟ وهل تستقيم الحياة الشخصية فضلا عن المجتمعية بإنفاذ مثل هذه المثالية الحالمة؟.

إن أحدًا يعيش في دنيانا المليئة بالوحوش والظلم لن يطبق هذا التعليم، بل حتى المسيح نفسه ضرب به عرض الحائط حين ضربه خدم رؤساء الكهنة فلم يعرض له الخد الآخر ، بل قال له : « **إن كنت قد تكلمت رديًا فاشهد على الردي ، وإن حسنًا**

---

(١) أقوال يسوع الصعبة، ف بروس، ص (٧٠).

فلماذا تضربني » (يوحنا ١٨ : ٢٣) .

كما ثمة تساؤل آخر يبحث عن إجابة : هل طبقت الكنيسة هذا الخلق في جولة من جولات تاريخها المرير؟ أم أن واقع الحال يؤذن بأن هذا المقال من المحال ، وإذا عجزت الكنيسة والمسيح عن ذلك ، فغيرهما عنه أعجز .

ويحرم العهد الجديد الطلاق إلا بعلة الزنا ، فيقول : « **فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان .. أقول لكم : إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني ، والذي يتزوج بمطلقة يزني** » (متى ١٩ : ٦-٩) .

وهذا التشريع سبب من أسباب انتشار البغاء ، إذ هو المخرج والسبيل الذي يلجأ إليه أولئك الذين حالت مشاكل الحياة واختلافات البشر دون إكمال مسيرتهم الزوجية ، وحرم عليهم العهد الجديد أن يبنوا حياتهم على الطُهر من جديد .

ولا يمكن أن تستقيم الحياة مع هذا التشريع العجيب ، إذ ثمة أمور كثيرة تجعل الحياة بين الزوجين ضربًا من المحال ، ولا مخرج من ضنكها إلا الطلاق ، الذي بمنعه تقع الكثير من المضار ، وهو ما دفع الكنيسة البروتستانتية لإباحة الطلاق ، وهو ما تحاول الكنائس الأخرى إقراره بغية الخروج من هذا التشريع الغريب .

وأما ما ذكره متى من علة تحريم الطلاق وهو قوله : « **فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان** » (متى ١٩ : ٦) فليس بصحيح ، لأن الزواج ليس جمعًا إلهيًا بين اثنين ، بل هو اتفاق بين اثنين على الزواج وفق شريعة الله وسنّته ، فمثله في ذلك مثل سائر الشعائر التي أمر بها الله .

وثمة عجز تشريعي آخر تواجهه أسفار العهد الجديد في مواجهة متطلبات الحياة الإنسانية ، وهو منع الزواج بأكثر من واحدة كما يفهم من (١ كورنثوس ٧ : ١-٥) ، وهو ما

تجمع عليه الكنائس النصرانية المختلفة ، بينما تشير الإحصائيات إلى زيادة مطردة في أعداد النساء ، ففي انجلترا تزيد النساء على الرجال أربعة ملايين امرأة ، وفي ألمانيا خمسة ملايين ، وفي أمريكا ثمانية ملايين ، فكيف يحل العهد الجديد هذه المشكلة التي ستتفاقم آثارها إذا تابع النصارى قول بولس في الحث على التبتل وترك الزواج « **أقول لغير المتزوجين وللأرامل : إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا** » (١ كورنثوس ٧: ٨-٩) ، إن نتيجة هذا التعليم هي الفضائح التي تهز جنبات الكنيسة وتقرعها كل يوم ، لتثبت أن الفطرة لا تُغلب ، وأن هذا التوجيه ليس من كلمة الله ، لأن الله يعلم ما يصلح عباده ويناسب أحوالهم .

ثالثًا : دور نسخ الشريعة ورفعها في انتشار التحلل والفساد :

ولكن كل ما ذكرناه ليس إلا أسبابًا جانبية للبلاء ، وأما أسّ البلاء الذي تعاني منه المجتمعات النصرانية فيكمن في عقيدة الخلاص والفداء ، والتي تجعل الإيمان بصلب المسيح كافيًا للخلاص ومحررًا من لعنة الناموس والشريعة التي نسخها بولس بأقواله ، لقد نسخ ـ بجرة قلم ـ كل ما قررته الشريعة من تحريم وتجريم وعقوبة من ارتكب الموبقات المختلفة من زنا وشرب للخمور وقتل وفساد ، إذ الإيمان بالمسيح المصلوب نيابة عنا يكفر خطايانا مهما عظمت ، وهكذا يمضي المؤمن بهذه النصوص إلى ضروب الرذيلة وفنونها غير خائف من عقاب الله ودينونته .

لقد سمى بولس شريعة الله التي تهذب السلوك البشري : لعنة ، فقال : « **المسيح افتدانا من لعنة الناموس** » (غلاطية ٣: ١٣) .

وأعلن عن عدم الحاجة إليها بعد صلب المسيح فقال : « **قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان ، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب** » (غلاطية ٣: ٢٤-٢٥) .

وأكد إبطال الناموس بقوله : « **سلامنا الذي جعل الاثنين واحد .. مبطلًا بجسده ناموس الوصايا** » (أفسس ٢: ١٤-٥) .

ويقول أيضًا : « **الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس ، بل بإيمان يسوع ، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** » (غلاطية ٢: ١٦) .

وهؤلاء الذين يصرون على العمل بالناموس يرى بولس أنهم يسيئون للمسيح : « **قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس** » (غلاطية ٥: ٤) .

ويمضي مؤكدًا عدم الحاجة إلى الأعمال الصالحة ، فيقول : « **إن كان بالناموس**

بر ، فالمسيح إذًا مات بلا سبب » (غلاطية ٢: ٢١) .

ويقول : « **أبناموس الأعمال ؟ كلا بل بناموس الإيمان ، إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس** » (رومية ٣: ٢٧-٢٨) .

وجعل بولس الإيمان بالمسيح سبيلًا للبر والنجاة من غير الحاجة للناموس والأعمال : « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع الذي أبطل الموت ، وأنار الحياة والخلود » (٢ تيموثاوس ١: ٩-١٠) .

ويؤكد هذا المعنى الغريب عن أقوال المسيح في نص آخر ، فيقول : « **ظهر لطف فخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس** » (تيطس ٣: ٤-٥) .

ولذلك فإن بولس يعلن إباحته لكل المحرمات من الأطعمة مخالفًا التوراة وأحكامها (انظر التثنية ١٤: ١-٢٤) .

ويقول : « **أنا عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لاشيء نجس في حد ذاته ، ولكنه يكون نجسًا لمن يعتبره نجسًا** » (رومية ١٤: ١٤) .

ويقول بولس ـ وهو يعرض نموذجًا من إباحته المحرمات يقاس عليه كل محرم ـ: « **كل شيء طاهر للأطهار ، وما من شيء طاهر للأنجاس** » (تيطس ١: ١٥) ، «**كل خليقة الله جيدة ، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر** » (١ تيموثاوس ٤: ٤).

ويقول بولس معرفًا البار حسب دينه الجديد : « **المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله ، لإظهار بره في الزمن الحاضر ، ليكون بارًا ، ويبرر من هو من الإيمان بيسوع** » (رومية ٣: ٢٤-٢٥) .

ويقول معددًا الشروط الجديدة للخلاص : « **إن اعترفت بفمك بالرب يسوع ،**

وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات ، خلصت » (رومية ١٠ : ٩) .

ومثله ما جاء في مرقس : « **من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدَن** » (مرقس ١٦ : ١٦) .

وفي موضع آخر تتسع دائرة الخلاص لتشمل كل البشرية وتغريها بالمسيحية التي لا تحرم حرامًا ، فيقول بولس عن المسيح : « **بذله لأجلنا أجمعين** » (رومية ٨ : ٣٢) .

ويوضحه قول يوحنا : « **يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضًا** » (١ يوحنا ٢ : ٢) .

ويؤكده في قوله : « **نشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصًا للعالم** » (يوحنا ٤ : ١٤) فجعل الخلاص عامًا لكل الخطايا وشاملًا لكل البشر ، مهما عملوا من الموبقات والرزايا ، لذا أضحى أهل الجنة ـ وفق المفهوم البولسي هم أراذل الناس وسفلتهم ـ ، إذ من أمِن العقوبة أساء الأدب .

وقد كان لهذه النصوص صدى كبير في النصرانية ونظرتها للشريعة ، فقد فهم رواد النصرانية قبل غيرهم من هذه النصوص أن كل الموبقات قد أضحت حلالًا ، فيقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي : « إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا ، بل بعكس ذلك ، إنه يرفض أعمالنا .. إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدًا ، وأن تكثر عددها » .

ويقول ملانكثون في كتابه (الأماكن اللاهوتية) : « إن كنت سارقًا أو زانيًا أو فاسقًا لا تهتم بذلك ، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة ، وأنه قد سبق

وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد »[1] .

وهكذا تبين لنا أن البلاء والفساد الذي آلت إليه أوربا والغرب النصراني عامة ، إنما كان بسبب هذا الكتاب الذي يصر النصارى على أنه يمثل ـ رغم سلبياته الهائلة ـ كلمة الله الهادية إلى البر والجنة والملكوت .



(١) انظر : الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام ، أميمة الشاهين ، ص (١٤٨) ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص (٣٧٤) .

هل هذا هو المسيح ؟

وآخر ما نختم به جولتنا لإثبات براءة الوحي من أسفار العهد الجديد ، أن نعرض لبعض ما ينسبه كُتّاب العهد الجديد إلى المسيح من أخلاق أو صفات لا يليق أن تصدر من كرام البشر وعقلائهم ، فضلًا عن أن يقع فيها نبي كريم جعله الله قدوة صالحة للعالمين .

وثمة صور كثيرة تسيء للمسيح ، لن يغفرها مدح الأسفار للمسيح في مواطن أخرى ، ومن أهم تلك الصور المزرية التي نسبها الإنجيليون إلى المسيح زورًا وبهتانًا:

* أن متى يتهم المسيح بعدم الحرص على وصول ضعاف الإيمان إلى المغفرة والهداية ، بل يزعم أنه حجب أسبابها عنهم ، يقول : « **ولما كان وحده سأله الذين حوله مع الاثني عشر عن المثل ، قال لهم : قد أُعطي لكم أن تعرفوا سرّ ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء ، لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتُغفر لهم خطاياهم .**

ثم قال لهم : أما تعلمون هذا المثل ، فكيف تعرفون جميع الأمثال .. وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا .. وبدون مثل لم يكن يكلمهم ، وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء » (مرقس ٤ : ١٠-٣٣) ، فقد كان يخص التلاميذ بالبيان والشرح ، ويحرم منه آخرين ممن يتحدث أمامهم بالأمثال فقط « **لكي يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا** » لقد كان يتعمد ذلك إضلالًا لهم « **لئلا يرجعوا ، فتُغفر لهم خطاياهم** »، وقريبـًا من هذا المعنى قال لوقا: «**لكم قد أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله ، وأما للباقين فبأمثال؛ حتى إنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يفهمون**» (لوقا ٨: ١٠).

يقول الأب متى المسكين في تبرير هذا الإضلال المشين: «المسيح غطى مفهوم المثل ليجعله لا يفهم عند غير المدعوين للملكوت، وجعل سر المكوت قاصراً على تلاميذه»[1]، ويقول: «ويلاحظ أن المسيح كان يقول المثل، ولا يشرحه، أو يفسر ما جاء فيه، حتى لا يفهمه إلا الذين أعطوا أسرار الملكوت، وأما الباقين الذين لم يعينوا للملكوت فهم يسمعون ولا يفهمون»[2].

وأما المفسر وليم باركلي فيرى هذه النقطة «من أصعب الفقرات في رواية الإنجيل، وظهورها بنصوص مختلفة في البشائر تبين لنا مدى الصعوبة التي واجهتها الكنيسة الأولى إزاءها، وحيث إن مرقس أقدم البشائر، فمن الطبيعي أن نتوقع أنه يكون أقرب البشيرين إلى ذكر الكلمات الفعلية التي قالها المسيح ... ولو أخذنا بالمعنى الظاهر لهذه الآيات يبدو كأن المسيح يقول أغرب الأشياء، فهو يتكلم بأمثال حتى لا يفهم الذين هم من خارج، ليمنعهم من العودة إلى الله والتوبة ونوال الغفران»[3].

ولم يجد المفسر باركلي ما يدفع به أقوال مرقس، فاتجه إلى دراسة القصة في إنجيل متى الذي عمد إلى تلطيف عبارة مرقس الذي هو بحسب باركلي « أقرب البشيرين إلى ذكر الكلمات الفعلية التي قالها المسيح»، وجعل – أي متى – مسؤولية العمى والضلال على المدعوين أولاً: «**أكلمهم بأمثال، لأنهم مبصرين لا يبصرون، وسامعين لا يسمعون، ولا يفهمون**» (متى ١٣: ١٣-١٧).

---

(١) تفسير إنجيل متى، الأب متى المسكين، ص (٥٤).

(٢) تفسير إنجيل لوقا، الأب متى المسكين، ص (٣٤٤).

(٣) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٢٧٢).

ولأن سفر إشعيا الماسوري المعتمد في طبعات الكتاب المقدس لم يسعف وليم باركلي في حل المعضلة، بل كرسها بقوله: «**فقال [أي الرب]: اذهب، وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعًا ولا تفهموا، وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا ، غلِّظْ قلب هذا الشعب، وثقِّلْ أذنيه، واطمسْ عينيه، لئلا يبصر بعينيه ، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه، ويرجع فيشفى**» (إشعيا ٦: ١٠) فقد جعل إضلالهم من الله الذي غلظ قلوبهم وطمس أعينهم، «وهذا النص يبدو أيضًا كأن الله أراد أن يعمي عيون البشر، ويصم آذانهم، ويغلظ قلوبهم حتى لا يفهموا»، ورغم تعقد المشكلة فإن باركلي لم ييأس، فاستنجد بالنص السبعيني فوجد فيه انفراجة، حيث يقول: «**اذهب، وقل لهذا الشعب ستسمعون سمعًا ولا تفهمون، وستبصرون إبصاراً ولا تنظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ، وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم، لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم، فيرجعوا، فأشفيهم**»، فالترجمة السبعينية «تضع المسؤولية على الإنسان، بدلاً من وضعها على الله»[1].

ولأن باركلي لا يقنع بكفاية الاستدلال بهذه الترجمة فإنه كتب: «هذا يعني بدون مواربة؛ أن الرب يأمر إشعياء أن ينتهج طريقًا في تعليمه يطمس به أذهان الناس فلا تفهم، ولهذا السبب فقد اضطر مترجمو الترجمة السبعينية أن يغيروا النص في ترجمتهم»[2].

لقد كان تحريف الترجمة الوسيلة الوحيدة لتجاوز مشكلة الإضلال الإلهي للشعب، فـ«إننا نعرف يقينًا أيًا كان تفسير هذه الآيات أن المسيح لم يقصد أن يقدم

---

(١) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٢٧٣).

(٢) المصدر السابق، ص (٥٢١).

رسالته بكيفية لا يستطيع الناس أن يفهموها، وهو لم يأتِ ليخفي الحق عن الناس، بل ليعلنه»، فوضع باركلي العربة أمام الحصان، وطلب منا أن نقفز من النص «أياً كان تفسير هذه الآيات»[1].

وأما الدكتور القس إبراهيم سعيد، فرأى أن غموض الأمثال سيزيد ظلام الغشاوة على عيون هؤلاء «**الذين هم من خارج**»، لكنه جزاء مستحق وإضلال مبرر، لأن «أمثاله تحوي نوراً لمن يريد أن يرى، وتنطوي على غموض يزيد الظلام سواداً على من يريد أن يضع على عينيه غشاوة، فالمسيح عظيم فيما يعلن، وبإخفائه يحرض الباحثين على النور لإيجاده»[2].

❋ وذكرت الأناجيل وُصاة المسيح بالأم والأب ، ثم لما كان المسيح في عرس قانا تذكُر أنه أساء لوالدته ، ففي يوحنا أنها طلبت منه تحويل الماء الذي في الجرار إلى خمر يشربه أهل العرس فقال لها : « **مالي ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتي بعد** » (يوحنا ٢: ٤) ، وهي ذات الكلمة التي قالها للزانية التي أتي بها لترجم « **قال لها : يا امرأة** » (يوحنا ٨: ١٠) .

❋ ولما جاء واحد من تلاميذه يخبره أن أمه وإخوته ينتظرونه ليكلموه ، لم يقم لاستقبالها والترحاب بها ، بل قال بجفاء ـ حسب زعم متى ـ : « **من هي أمي ؟ ومن هم إخوتي ؟ ! ثم مدّ يده نحو تلاميذه وقال : ها أمي وإخوتي ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي** » (متى ١٢: ٤٨-٥٠) ، فهل يعقل أن المسيح يتجاهل أمه بهذه الطريقة ؟ ثم ألم تكن الطاهرة البتول التي يتنكر لها ممن

(١) المصدر السابق، ص (٢٧٢- ٢٧٣).

(٢) شرح بشارة لوقا، إبراهيم سعيد، ص (١٨٨).

يصنع مشيئة الله !

ويكذبهم القرآن في ذلك كله ، فما كان للمسيح البار أن يسيء لوالدته ، بل هو كما يقول عن نفسه : ﴿**وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً**﴾ [مريم : ٣٢] .

❋ وفي موطن آخر تتهمه الأناجيل بشرب الخمر ، فتقول بأن المسيح قال لليهود: « **جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب . فيقولون : هوذا إنسان أكول وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة** » (متى ١١ : ١٩) .

هذا ما تذكره الأناجيل ، تسيء به للمسيح وأمه ، فيما نرى القرآن يقول عنها ، عن المرأة الطاهرة التي ينسب إليها يوحنا أمر صنع الخمر ليسكر المدعوون إلى العرس ويثملون ، فيصفها القرآن ويقول : ﴿ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

❋ وقد أكمل بولس المأساة حين دعا لشرب الخمر من غير إسراف في تعاطيه ، فقال : « **لا تكن فيما بعد شراب ماء ، بل استعمل خمرًا قليلًا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة** » (١ثيموثاوس ٢٣: ٥) ، وكان سفر الأمثال التوراتي قد اعتبر شرب الخمر وسيلة لعلاج مشكلات الفقراء ، إذ ينسيهم أتعابهم وآلامهم ، إذ يقول : « **أعطوا مسكرًا لهالك ، وخمرًا لمرّي النفس ، يشرب وينسى فقره ، ولا يذكر تعبه بعد** » (الأمثال ٣١: ٦-٧) .

لكن المجتمعات النصرانية لم تلتزم بالقليل الذي أحله ودعا لشربه بولس ، فتحولت إلى مجتمعات مدمنة بها عشرات الملايين من المدمنين ، إنه أثر آخر من آثار الكتاب المقدس .

❋ وينقل لوقا عن المسيح أمرًا غريبًا قاله للجموع التي تتبعه : « **إن كان أحد يأتي إليّ ، ولا يبغض أباه وأمه وأولاده وإخوانه ، حتى نفسه أيضًا فلا يقدر أن يكون تلميذًا** »

(لوقا ١٤ : ٢٦ ـ ٢٧) ، ثم يتابع لوقا الشروط المستحيلة للتلمذة ، فيقول : « **فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذًا** » (لوقا ١٤ : ٣٣) .

فإضافة إلى كون هذه الشروط للتلمذة غير ملائمة للفطرة ـ كما أسلفنا ـ فإن هذه الشروط مستحيلة ، وأيضًا الأمر ببغض الأقارب غير مقبول من الناحية الأخلاقية ، والمسيح لا يعقل أن يأمر ببغض الآباء والأمهات ومحبة الأعداء بما فيهم الشيطان !

* ومثله لا يصح أن ينسب إلى المسيح ذلك القول المريع الذي ينسبونه إلى نبي المحبة والسلام ، وهو قوله : « **لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض ، ما جئت لألقي سلامًا ، بل سيفًا ، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنّة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته** » (متى١٠ : ٣٤-٣٦) ، فهل جاء المسيح لنشر الفساد والبغضاء ! إنها إساءة كبرى لهذا النبي العظيم ، تدل على كذب الكتبة الذين يزعم النصارى أنهم يكتبون كلمة الله .

ويشبهه قول لوقا : « **جئت لألقي نارًا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت .. أتظنون أني جئت لأعطي سلامًا على الأرض . كلا ، أقول لكم : بل انقسامًا . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ، ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ، ينقسم الأب على الابن ، والابن على الأب ، والأم على البنت ، والبنت على الأم ، والحماة على كنّتها ، والكنّة على حماتها** » (لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣) ، فهل صدق الإنجيليون حين زعموا أن المسيح كان نبي فساد ؟ حاشاه ، فهذا بهتان عظيم .

* وتبع رجل المسيح يريد أن يتشرف باتباعه ، ثم جاءه يستأذنه ليدفن أباه ، فيزعم متى أن المسيح نهاه وقال : « **اتبعني . ودع الموتى يدفنون موتاهم** » (متى ٨ : ٢٢) ، فهل يفعل هذا كرام الناس ؟ وهل هذا من البر بالوالد ؟ وما الأثر الذي يتركه هذا النص على قارئه في القرن الواحد والعشرين ؟ وهل لهذا الأمر الغريب علاقة في الكثير

مما نراه من العقوق والجفاف في المجتمعات الغربية المسيحية ؟

* واستأذنه تلميذ آخر في وداع أهله ، فلم يأذن له ، بل أنَّبه « **وقال آخر أيضًا : أتبعك يا سيد ، ولكن ائذن لي أولًا أن أودع الذين في بيتي ، فقال له يسوع : ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله** » (لوقا ٩ : ٦١-٦٢) ، فهذا التلميذ لا يصلح لملكوت الله لأنه أراد وداع أهله ! أي دين هذا ! وأي تعاليم هذه؟ هل هذا ما تحث عليه كلمة الله ؟

ولا ريب أن هذه النصوص وأمثالها سبب لكثير مما تعانيه أوربا والغرب من تفكك أسري وتقاطع بين الأرحام بل وفي الأنساب .

* ومن الجفاء الذي يتنره عنه المسيح ، بل وكرام البشر ، ما جاء في متى : « **تقدم إليه رجل جاثيًا له ، وقائلًا : يا سيد ارحم ابني ، فإنه يصرع ويتألم شديدًا ، ويقع كثيرًا في النار ، وكثيرًا في الماء . وأحضرته إلى تلاميذك ، فلم يقدروا أن يشفوه . فأجاب يسوع ، وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوي ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى احتملكم ؟ قدموه إليّ ههنا . فانتهره يسوع ، فخرج منه الشيطان ، فشفي الغلام** » (متى ١٧ : ١٤-١٦) ، إذ ليس من مبرر لهذا التبرم من قضاء حوائج الناس .

* ومرة أخرى تبالغ الأناجيل في الإساءة للمسيح في قصة المرأة الكنعانية أو الفينيقية التي جاءت إلى المسيح تطلب منه شفاء ابنتها المجنونة ، وهي تبكي ، وتقول: « **ارحمني يا سيد ، يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جدًا ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدم تلاميذه ، وطلبوا إليه قائلين : اصرفها ، لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد أعني . فأجاب وقال : ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب . فقالت : نعم يا سيد ، والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال**

لها: يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين » (متى ١٥ : ٢٢-٢٨) ، فهو لم يرحم ضعفها ولم يرض بمساعدتها إلا حين ارتضت تشبيهه لها بالكلاب ، فقال لها : « **لأجل هذه الكلمة اذهبي ، قد خرج الشيطان من ابنتك** » (مرقس ٧: ٢٩) .

فمثل هذه الغلظة وهذا الجفاء مع قدرته على شفاء ابنتها لا مبرر له ، كيف لا يشفق ولا يرحم تلك المسكينة ، وكيف يشبهها ، بل وجميع الأمميين من غير اليهود بالكلاب ؟ !

هذا الموقف البائس وأمثاله من الإساءات التي اختص به متَّى المسيحَ دفعت الكاتب الساخر برنارد شو للقول: «لم تكن المناسبة الوحيدة التي يهتبلها متى، ليظهر يسوع – مع سحر وعظه وجمال تعاليمه – شخصًا بمنتهى الفظاظة في علاقاته الشخصية»[١].

وقد عمد المفسر وليم باركلي إلى التخفيف من جفوة النص وعنصريته، فكتب: «والتعبير الذي استخدمه يسوع حين قال: «**الكلاب**» يدل على الكلاب المدللة في البيت، وليس على الكلاب الضالة المتشردة في الشوارع ، وقد كان اليهود يصفون الأمم بأنهم «كلاب» لتحقيرهم والإقلال من شأنهم.. »[٢].

ولست أدري كيف سيفسر باركلي تشبيه غير المؤمنين بالكلاب، والأمميين بالخنازير في نص آخر يوصي فيه يسوع: « **لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا دُرركم قدام الخنازير** » (متى ٧: ٦)، فهل تراه كان يقصد كلاب الشوارع أم البيوت؟.

---

(١) المسيح ليس مسيحيًا، برنارد شو، ص (٥٠).

(٢) تفسير العهد الجديد (متى ومرقس)، وليم باركلي، ص (٣٠٤).

ونذكر هنا بأن علامة العصور الوسطى توما الأكويني قد فسر الكلاب بأنه إشارة إلى «الكفرة»[1] ، بينما يرى المطران يوسف الدبس «يريد بالكلاب: الأمم الذين كان اليهود يدعونهم كلابًا لنجاستهم»[2].

على كل حال ، لا يقبل أن يوصم المسيح ـ الذي يزعمون أنه نزل لخلاص العالم ـ بمثل هذه التفرقة العنصرية البغيضة .

وإذا قيلت تلك الشناعة بحق السيد المسيح وهو الرسول القدوة ، فلا عجب بعد ذلك في انتشار التفرقة العنصرية التي يؤكدها العهد الجديد بقول بولس : « **لكن ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها ، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة ، إذًا أيها الإخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد حرة** » (غلاطية ٤: ٣١) .

كم هو الفرق بين هذه النظرة العنصرية البغيضة وما جاء في القرآن الكريم ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبـًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات : ١٣] .

* ومن عجائب العهد الجديد أنه يعتبر المسيح ملعونًا ، اللعن هو الطرد من رحمة الله ، وهو عقوبة الله للعصاة والمجرمين ، كمن يعبد الأصنام أو يزني بمحارمه أو يستخف بوالديه وغيرهم ممن لا يقيم كلمات ناموس الله . (انظر التثنية ٢٧: ١٥-٢٦) .

لكن بولس لا يجد غضاضة أن يجعل المسيح عليه السلام في زمرة هؤلاء الملعونين من الله ، فيقول : « **المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب : ملعون كل من علّق على خشبة** » (غلاطية ٣: ١٢) ، إذ لم يجد وسيلة يوفق فيها بين

(١) الخلاصة اللاهوتية، توما الأكويني (١/ ٢٤).

(٤) تحفة الجيل، المطران يوسف الدبس، ص (١٨٥).

لعن المصلوب في شريعة موسى وإدعائه صلب المسيح ، فجعله ملعونًا مطرودًا من رحمة الله ، وأسبغ على هذه المهانة للمسيح ثوبًا فلسفيًا ، حين جعل طرد المسيح من رحمة الله ، إنما هي نيابة عنا معاشر الخطاة .

* وينسب يوحنا إلى المسيح عليه السلام الكذب ـ وحاشاه ـ فيذكر يوحنا أن التلاميذ طلبوا من المسيح أن يذهب لليهودية (أورشليم) ويظهر معجزاته في عيد المظال ، فقال لهم : « **اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد ، لأن وقتي لم يكمل بعد ، قال لهم هذا ، ومكث في الجليل ، ولما كان إخوته قد صعدوا ، صعد هو أيضًا إلى العيد ، لا ظاهرًا ، بل كأنه في الخفاء ..** » (يوحنا ٧: ٨-١٠) ، لقد أخبرهم أنه لن يذهب إلى العيد ثم ذهب مختفيًا حتى لا يكتشفوا كذبه ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، وإذا كانت الأسفار قد نسبت الكذب إلى الرب المتجسد ، فماذا عساه ننتظر من البشر ! [1] .

فهذا كذب صريح لا يليق بأن ينسب إلى المسيح ، فإن قرأه النصارى في كتابهم عن المسيح ـ وحاشاه ـ فلا عجب بعد ذلك لو أصيبوا جميعًا بداء الكذب .

* ويعجب المرء لكثرة التعري في الغرب النصراني ، ولكن لا عجب عند من تأمل سوءة أخرى تنسبها الأسفار إلى المسيح عليه السلام ، ألا وهي التعري أمام التلاميذ ، فقد جاء ذلك في قصة غسل المسيح أرجل التلاميذ ، يقول يوحنا : « **قام عن العشاء وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة واتّزر بها ، ثم صبّ ماء في مغسل ، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ، ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرًا بها .. فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ**

---

(١) يبرر القس سمعان كلهون هذا الكذب بدواعي الخوف على النفس ، ويراه صورة من « الحكمة الإلهية التي بها صان حياته من الموت قبل الوقت المعين ، حتى يمكنه أن يقدمها ذبيحة مقبولة في الساعة المناسبة » . انظر اتفاق البشيرين ، القس سمعان كلهون ، ص (٢١٨) .

ثيابه واتكأ أيضًا ، قال لهم : أتفهمون ما قد صنعت بكم » (يوحنا ١٣ : ٤-١٢) .

وبدلاً من الاعتذار عن هذا النص المعيب فإن القديس أمبروسيوس يفاجئنا بالتعليق التالي: «تعال أيها الرب يسوع، ولتخلع ثيابك، هذه التي لبستها من أجلي، لتصر عاريًا، لكي تكسوني برحمتك، لتتزر من أجلنا بمنشفة، لكي تجعلنا نتزر بعطية الخلود، لتسكب ماءً في مغسل، فلا تغسل أقدامنا فحسب، بل ورأسنا، ليس فقط لأجسادنا ، بل ولخطوات نفوسنا»[1].

ومن نسب العري إلى المسيح لن يخجل من وسم رسله وتلاميذه بمثله ، فقد ذهبوا للسباحة في بحيرة طبرية ، وقد وقف سمعان إلى جانب البحر عاريًا حتى من الإزار الذي يغطي عورته ، ولما جاء المسيح لم يعرفه « **فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبه لبطرس : هو الرب . فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب ، اتزر بثوبه ، لأنه كان عريانًا ، وألقى نفسه في البحر** » (يوحنا ٢١ : ٧) .

وعبثًا حاول المفسرون ترقيع هذه الثلمة، فتولى القمص متى المسكين الرد عليهم بقوله: « ويا للخجل الذي يكاد يمسك مني القلم!.... كيف أن ق.يوحنا يظهر متسربلاً بالروح والنعمة والعين المفتوحة ، يقابله في نفس المكان والزمان والمقام القديس بطرس عاريـًا ؟!

وقد حاول الشُرّاح الأجانب أن يهوِّنوا من كلمة ((عريان)) ، وجعلوها أنه خالع ثوبه الخارجي فقط . ولكن الذي يعرف مهنة الصيادين في الشرق ويعاشرهم ، يعلم تمامـًا أن الصياد يضطر لخلع ملابسه الداخلية، ويكون نصفه الأسفل عريانًا تمامًا،

(١) تفسير إنجيل يوحنا، القمص تادرس يعقوب ملطي (٢/ ٨٨٣).

لأنه يضطر إلى النزول في البحر ..كان القديس بطرس في وضع غير طبيعي»[1].

* وتذكر الأناجيل على لسان المسيح الكثير من السباب والشتائم لليهود ، وهم مستحقون لذلك ، غير أن مثل هذا لا يصدر من نبي أرسله ربه ليعلم قومه حميد الأخلاق ، كما لا يصدر ممن يقول : « **باركوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم** » (متى ٥: ٤٤) .

فكيف يقول بعد ذلك لقومه : « **ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون .. ويل لكم أيها القادة العميان .. أيها الجهال والعميان .. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ؟** » (متى ٢٣: ١٣-٣٧).

وهل يعقل أن يقول ذاك الذي أمر بمباركة الأعداء ومحبتهم والإحسان إليهم ، هل يمكن أن يقول لهم : « **يا أغبياء** » (لوقا ١١: ٣٧) ، أو أن يصفهم بأنهم كلاب وخنازير : « **لا تعطوا القدس للكلاب ، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير ، لئلا تدوسها بأرجلها ، وتلتفت فتمزقكم** » (متى ٧: ٦) .

وقد طال السباب المنسوب للمسيح حتى تلاميذه وخاصته ، فقد قال لتلميذيه اللذين لم يعرفاه : « **أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء** » (لوقا ٢٤: ٢٥) ، وقال لبطرس : « **اذهب عني يا شيطان** » (متى ١٦: ٢٣)، وفي موطن آخر قال له: « **يا قليل الإيمان لماذا شككت** » (متى ١٤: ٣١) .

* لكن الداهية الدهياء حين ينسب كُتاب العهد الجديد إلى المسيح سِباب إخوانه من الأنبياء وتشبيههم باللصوص والسراق ، واتهامهم بعدم الحرص على هداية أقوامهم ، فيقول يوحنا : « **قال لهم يسوع أيضًا : الحقَ الحقَ أقول لكم : إني أنا باب الخراف ، جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص . ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو الباب . إن**

(١) تفسير إنجيل يوحنا، الأب متى المسكين (٢/ ١٣٣٧).

دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك .

وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعي الصالح . والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذي هو أجير وليس راعيًا الذي ليست الخراف له ، فيرى الذئب مقبلًا ويترك الخراف ويهرب . فيخطف الذئب الخراف ويبددها » (يوحنا ١٠: ٧-١٢) .

ثم وفي موطن آخر يتوعد بجهنم من قال لأخيه أقل من ذلك ، فيقول : « **ومن قال : يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم** » (متى ٥: ٢٣) .

وقريبًا من هذا السِباب ما يقوله بولس في مواطن كثيرة من رسائله ، منها : « **انظروا الكلاب ، انظروا فعلة الشر** » (فيلبي ٣: ٢) ، ومثله كثير ..

ثم يذكر بولس أن من بين الذين يُحرَمون من الملكوت أولئك الذين يشتمون ، فيقول: «**ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله**» (١ كورنثوس ٦: ١٠)، فهل تراه يقصد نفسه والمسيح أم أن لهما امتيازًا على سائر الشاتمين ، أم هو ضلال البشر حين ينسبون القبائح إلى أحد أكرم المرسلين ، ثم يزعمون أنه كلمة الله ؟

ولا عجب بعد ذلك ما فعل البشر من السباب والقبح والرذيلة .

وقد لحظ المؤرخ وليام ديورانت الصور المزرية بالمسيح العظيم في أسفار العهد الجديد، وابدى استغرابه للتناقض والازدواجية التي تلف شخصه بسبب النصوص الإنجيلية: « إن الإنسان ليجد في الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا توائم قط ما يقال لنا عن المسيح في مواضع أخرى.. وينصحنا بنبل شرف ألا نحكم حتى لا يُحكم علينا، ولكنه يلعن الناس والمدن التي لم تؤمن برسالته ويلعن شجرة التين التي لم تكن تحمل ثمراً ، ولعله كان قاسياً بعض القسوة على أمه .. إن بعضها يبدو لأول

وهلة مجانبًا العدالة ، وإن منها ما يشتمل على السخرية اللاذعة والحقد المرير » [1].

❋ ويستمر الإنجيليون في الإساءة المتعمدة إلى المسيح عليه السلام ، ويصفونه بالمزيد من القبائح وهم يتحدثون عن نسب للمسيح الذي ليس له نسب بشري ، والعجيب أنهم جعلوا نسب يوسف النجار نسبًا للمسيح الذي لا أب له ، وليس ثمة علاقة بينه وبين يوسف النجار ، ولو كان المذكور نسب مريم لكان له وجه ، أما يوسف النجار فلا وألف لا .

وقد ذكر الإنجيليون في مرات عديدة أن النجار هو أب المسيح ، منها ما نسبه لوقا إلى مريم : « **وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما ، إذ ظناه بين الرفقة .. يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين** » (لوقا ٢ : ٤١-٤٨) ، فجعل لوقا النجارَ أبًا للمسيح الذي لا علاقة له به ! [2] .

ونسبة المسيح إلى يوسف النجار علاوة على أنها غير حقيقية ، فإنها تؤكد ماكان اليهود يشيعه عن مريم وابنها ، وما هو موجود في تلمودهم من قولهم على مريم البتول الطاهرة بهتانًا عظيمًا .

وعند التأمل في نسب متى ، فإنا نلحظ أنه ذكر في نسب المسيح أربع جدات للمسيح هن ثامار ، وزوجة داود التي كانت لأوريا الحثي ، وراحاب ، وراعوث . فما السر في ذكر هؤلاء الجدات دون سائرهن ؟ هل كُن نساء فوق العادة حتى خلّدهن

---

(٢) قصة الحضارة، وليام ولديورانت (١١/ ٢١٩، ٢٢٤).

(١) يقول القس سمعان كلهون تعليقًا على هذه الفقرة : « ولا شك أنه تعلم منذ طفولته أن يدعو يوسف أباه ، وأن أمه لم تخبره أن يوسف ليس هو أباه حقيقة .. لم تكن قد كلمته عن ولادته العجيبة » . اتفاق البشيرين ، القس سمعان كلهون ، ص (٧٧-٧٨) .

الإنجيل ؟ هل ثمة درس يعلمنا إياه الكتاب المقدس بخصوص تعظيم المسيح ﷺ ؟

إن لكل واحدة من الأربع سوءة تذكرها التوراة ، فأما ثامار فهي التي ولدت فارص زنًا من والد أزواجها الذين تعاقبوا عليها واحدًا بعد واحد . (انظر قصتها مع يهوذا في التكوين ٣٨: ٢-٣٠) .

وأما بثشبع زوجة أوريا الحثي فهي التي تتهم التوراة ـ زورًا ـ داود بأنه فجَر بها ، وهي زوجة قائده أوريا الحثي ، فحملت ، ثم دفع داود بزوجها إلى الموت ، وتزوجها بعد وفاته ، وكان من أولادها النبي سليمان أحد أجداد المسيح . (انظر القصة في ٢ صموئيل ١١ : ١-٤) .

وأما الجدة راحاب زوجة سلمون ، وأم بوعز ، وكلاهما صارا من أجداد المسيح يسوع ـ حسب متى ـ، فراحاب هي التي قال عنها يشوع : « **امرأة زانية اسمها راحاب** » (يشوع ٢ : ١) ، وذكر قصة زناها في سفره [1].

وأما راعوث فهي راعوث المؤابية زوجة بوعز وأم عوبيد ، والتوراة تقول : « **لا يدخل عموي ولا مؤابي في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر** » (التثنية ٢٣ : ٣) .

ولحسن الحظ هذه المرة فإن المسيح ليس داخلًا في هذا الطرد من جماعة الرب ، إذ هو الجيل الثاني والثلاثون لها .

وهذه الجدة المؤابية ـ على كل حال ـ أفضل من الجدات الثلاث ، إذ لم يذكر الكتاب لها زنى ، فقد اكتفت بإغراء بوعز ، فتزينت ونامت تحت رجليه تنفيذًا لنصيحة

---

(١) ينقل الدكتور وهيب جورجي عن بعض المفسرين بأن كلمة «زانية في اللغة تحمل معنى (صاحبة فندق)». مقدمات العهد القديم، وهيب جورجي، ص (٣٤)، فتأمل حجم المأساة التي سببها النص المقدس لشراحه والمؤمنين به!!

حماتها ، حيث قالت لها : « **فاغتسلي وتدهّني ، والبسي ثيابك ، وانزلي إلى البيدر .. ومتى اضطجع فاعلمي المكان الذي يضطجع فيه ، وادخلي واكشفي ناحية رجليه ، واضطجعي وهو يخبرك بما تعملين .. فنزلت إلى البيدر ، وعملت حسب كل ما أمرتها به حماتها** » (راعوث ٣: ٣-٦) [١].

وهنا يقف المرء حائرًا متسائلًا عن سر الاهتمام بهؤلاء الجدات دون سائر الجدات ، ولا أجد من تفسير إلا أن هناك من يرغب في تلطيخ سمعة الأنبياء والنيل منهم والحط من شرفهم بدءًا من نوح وانتهاء بالمسيح ، عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه .

وفي محاولة يائسة لتبرير هذه السقطة لمتّى وتلك الإساءة الكبرى منه لشخص المسيح ، يقول القمّص تادرس يعقوب ملطي في تفسيره لإنجيل متى : « المسيح وضع على ذاته نسب هذه الطبيعة التي تنجست لكي يطهرها ، أي يريد أن يقول : إن من جاء من أجل الخطاة ولد من خاطئات ليمحو خطايا الجميع » .

وأما الأب متى المسكين فيعتبر الجدات الأربع « أربع جواهر انتزعن من وحل الأمم لتزين صدر المسيح كفادي الخطاة .. وصنّف من أسماء الزانيات عقدًا من اللؤلؤ لا ينعم بمنظره إلا أصحاب العيون المفتوحة والقلوب الكبيرة » [٢] .

وقد تبدى لي أني لست من هؤلاء الذين أعجبهم عقد الجدات الزانيات اللاتي زينت أسماؤهن صدر المسيح ، كما قال الأب المسكين ، ولا أدري إن كان قارئي

---

(١) يرجح جوناثان كيرتش أن قوله: «**واكشفي ناحية رجليه**» كناية عن كشف العورة المغلظة، وأن الكُتاب تعمدوا إخفاء هذا المعنى عن القراء. انظر حكايات محرمة في التوراة، جوناثان كيرتش، ص (١٤).

(٢) الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ص (١٣٥) .

كذلك ؟ أم أنه من أصحاب العيون المفتوحة التي تبصر في أسماء الزواني ما يصلح أن يزين صدر المسيح ، فيالها من زينة !

وكذلك فإن إكليمندس السكندري هرب إلى الأمام وهو يتحدث عن راحاب الزانية، وقال: «إن هذه المرأة لم تكن مؤمنة فحسب، بل نبية!!»[1]، في حين يرى القس سمعان كلهون أن الله أكرم الإنسان يسوع بأجداده وجداته[2].

وأما أجداد المسيح الذكور الذين ذكر متى منهم اثنان وثلاثون أبًا (إلى داود) وذكر لوقا اثنان وأربعون أبًا ، فهؤلاء أيضًا لا يتشرف المسيح بأن يكونوا من آبائه ـ لو كان ما تذكره التوارة عنهم صحيحًا ، وحاشا أن يكون ذلك صحيحًا ـ ، فإن أربعة من هؤلاء الآباء تذكر التوراة أنهم فعلوا الزنا ، وبعضهم كان الزنا المنسوب إليه زنا محارم، وهؤلاء الأربعة هم يهوذا ، وداود ، وسليمان ، ورحبعام .

وأما يهوياقيم بن يوشيا أحد الأجداد المزعومين للمسيح ، فهو اسم آخر يسيء إلى المسيح عليه السلام ، فيهوياقيم ملك فاسد ، عاقبه الله بالحرمان ونسله من بعده ، فقال عنه : « **لا يكون له جالس على كرسي داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهارًا وللبرد ليلًا ، وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم** » (إرميا ٣٦: ٣٠-٣١) .

ويهوياقيم أحد أجداد المسيح الذين أغفل متى ذكرهم ، فقد ذكر أباه يوشيا وابنه يكينيا ، فقال : « **ويوشيا ولد يكنيا وإخوانه عند سبي بابل** » (متى ١ : ١١) .

وهو بذلك تجاهل اسم يهوياقيم ، وقد ذكره سفر أخبار الأيام الأول « **بنو يوشيا: البكر يوحانان ، الثاني يهوياقيم ، الثالث صدقيا ، الرابع شلّوم . وابنا يهوياقيم : يكنيا ابنه،**

---

(١) رسالة إكليمندس، الآباء الرسوليون، ص (٢٨).

(٢) انظر: اتفاق البشيرين، سمعان كلهون، ص (٨٧).

وصدقيا ابنه » (١ أخبار ٣: ١٤-١٥) ، فيهوياقيم اسم أسقطه متى من نسبه للمسيح ، بين يوشيا وحفيده يكنيا .

ولن يخفى على فطنة القارئ سبب إسقاطه لاسم هذا الملك الفاسق المحروم وذريته من الجلوس على كرسي داود، إذ أن ذلك الوعيد ليهوياقيم يتعارض مع زعم النصارى أن المسيح سيرث كرسي داود ، فإن لوقا في أعمال الرسل : « **من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد، ليجلس على كرسيه** » (أعمال ٢: ٣٠) ويقول : «**الرب الإله يعطيه كرسي داود أبيه** » (لوقا ١: ٣٢) ، فلم يجد متى من سبيل لإزالة التعارض إلا أن يسقط اسم يهوياقيم من سلسلة أجداد المسيح ، ولعله ظن أن صنيعه سيُذهل القارئ عن هذا العيب الكبير، الذي يحرم المسيح من أحد أعظم نبوءات وبشارات الكتاب المقدس .

ولست أدع القارئ يحزن لما يرى من إسفاف بحق المسيح عليه السلام ، الرسول العظيم الذي لم يكن كذلك أبدًا ، وحتى يتعزى فإني أنقل له شهادة الفيلسوف الشهير إرنست رينان في كتابه الكبير عن المسيح المسمى (حياة يسوع) (ص : ١٥) ، حيث يقول : « لو أننا اقتصرنا في الكتابة عن حياة يسوع على الأشياء المؤكدة ؛ فعلينا أن نكتفي ببضعة أسطر»[1]، ومن المؤكد أن هذه الأسطر القليلة لن تحمل تلك الصفحات المشينة التي تسيء إلى المسيح عليه السلام .

إنا لنرجو أن يشاركنا القارئ المنصف في أن هذه الإساءت من الإنجيليين إلى المسيح عليه السلام دليل آخر يشهد ببراءة وحي الله عن مثل هذا الذي يتنزه عنه أنبياء الله الكرام ، الهداة الدعاة ، ملح الأرض وزينتها ، ومنهم سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام .

---

(١) نقلًا عن موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (٢٤١) .

إنجيل برنابا

كثيرًا ما يتردد على الألسنة ذكر هذا الإنجيل المثير ، والذي ينسب إلى أحد أخص تلاميذ المسيح ، وهو برنابا .

وتأتي أهمية هذا الإنجيل في مخالفته للأناجيل الأربعة في أمور جوهرية ، منها نقضه لدعوى ألوهية المسيح ، وتأكيده نجاة المسيح من الصلب ، وتنديده ببولس ، ورفضه لتبشيره ، وكذا تصريحه ببشارة عيسى عليه السلام بالنبي محمد ﷺ في مرات عديدة .

من هو برنابا ؟

برنابا هو أحد حواريي المسيح ، واسمه يوسف بن لاوي بن إبراهيم ، يهودي من سبط لاوي من قبرص ، باع حقله وجاء ووضعه عند أرجل تلاميذ المسيح . (انظر أعمال ٤ : ٣٦-٣٧) ، عرف بصلاحه وتقواه ، ويسميه سفر الأعمال « **يوسف الذي دعي من الرسل برنابا** » (أعمال ٤ : ٣٦) .

ولما ادعى بولس أنه رأى المسيح وعاد إلى أورشليم يتقرب إلى التلاميذ تولى برنابا تقديمه إلى التلاميذ (انظر أعمال ٩ : ٢٧) ، وقد ذهب برنابا للدعوة في أنطاكية وكان داعية ناجحًا « **ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب ، لأنه كان رجلًا صالحًا وممتلئًا في الروح القدس والإيمان ، فانضم إلى الرب جمع غفير** » (أعمال ١١ : ٢٢-٢٤).

ثم خرج إلى طرسوس ودعا فيها مع شاول (بولس) سنة كاملة . (انظر أعمال ١١ : ٢٥-٢٦) ، ثم تشاجر مع بولس وافترقا . (انظر أعمال ١٥ : ٢٩) وبعد هذا الشجار اختفى ذكر برنابا من العهد الجديد .

وذكر المؤرخون أن وفاته كانت سنة ٦١م في قبرص ، حيث قتله الوثنيون رجمًا

بالحجارة ودفنه ابن أخته مرقس الإنجيلي [١] .

ثبوت وجود رسائل وإنجيل منسوب لبرنابا :

وتنسب المصادر التاريخية إلى برنابا إنجيلًا ورسالة وكتابًا عن رحلات وتعاليم الرسل ، وقد عثر العالم الألماني تشندروف (١٨٥٩م) على رسالة برنابا ضمن المخطوطة السينائية التي عثر عليها ، مما يشير إلى اعتبارها رسالة مقدسة فترة من الزمن .

لكن أيًا من رسائله وكتاباته لم تعتبرها الكنيسة كتبًا مقدسة ، وهنا نعجب كيف اعتبرت رسائل بولس ولوقا اللذين لم يريا المسيح ؟ ولم تعتبر أقوال برنابا الذي سبقهم بالإيمان وبصحبة المسيح !!

وقد صدر عام ٣٦٦م أمر من البابا دماسس بعدم مطالعة إنجيل برنابا ، ومثله مجلس الكنائس الغربية عام ٣٨٢م ، كما صدر مثله عن البابا أنوسنت ٤٦٥م ، كما وقد حرّم البابا جلاسيوس الأول عام ٤٩٦م مطالعة بعض الأناجيل ، فكان منها إنجيل برنابا [٢] .

العثور على نسخة من إنجيل برنابا :

واختفى ذكر إنجيل برنابا قرونًا طويلة حتى عثر الراهب الإيطالي فرامينو في أواخر القرن السادس عشر على نسخة منه في مكتبة البابا سكتس الخامس في الفاتيكان، فأخفاها ، وخرج بها ثم أسلم ، وانقطع ذكر هذه النسخة .

وفي عام ١٧٠٩م عثر كريمر أحد مستشاري ملك روسيا على النسخة الوحيدة

---

(١) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الدين الأعظمي ، ص (٣٥٣-٣٥٦) .

(٢) انظر : الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة ، محمد عوض ، ص (٦٠-٦١) ، الأناجيل ، أحمد طاهر ، ص (١٨٤-١٨٥) .

الموجودة اليوم من إنجيل برنابا والتي استقرت عام ١٧٣٨م في البلاط الملكي في فيينا، وتقع في ٢٢٥ صحيفة سميكة مجلة بصحيفتين ومكتوبة بالإيطالية .

وقد ترجمت إلى العربية في مطلع هذا القرن على يد الأستاذ خليل سعادة ، وقدم للترجمة بمقدمة نستعين بها في معرفة أصول هذه النسخة ، وقد ذكر وجود ترجمة أسبانية تناقلها عدد من المستشرقين في أوائل القرن الثامن عشر ، وانتهت إلى يد الدكتور هوايت الذي ذكر بأنها مترجمة عن نسخة البلاط الملكي الإيطالية ، وأن مترجمها للأسبانية مسلم يدعى مصطفى العرندي ، واختفت هذه النسخة المترجمة عند الدكتور هوايت .

فمن هو كاتب نسخة البلاط الملكي الوحيدة ؟ ومن هو كاتب الإنجيل ؟

وصف المخطوطة الوحيدة للإنجيل :

أما بخصوص النسخة الوحيدة فإنها كما يصفها خليل سعادة مجلدة بصحيفتين عليهما نقوش ذهبية .. ويرى المحققون أن ناسخ هذه المخطوطة من أهالي البندقية في القرن ١٥-١٦ أو أوائل القرن السابع عشر ، وأنه أخذها من نسخة توسكانية أو بلغة البندقية ، وتطرقت إليها اصطلاحات توسكانية .

ويذهب الكاتبان (لو تسدال) و (لو راواغ) إلى أن النسخ تم عام ١٥٧٥م تقريبًا ، وأنه من المحتمل أن يكون الناسخ فرامينو الراهب .

ويوجد على هوامش النسخة ألفاظ وجمل عربية ، بعضها صحيح العبارة ، وبعضها ركيك لا يتصور سعادة أن « يفعله كاتب عربي تحت الشمس » .

ويرجح سعادة أن الكاتب لهذه الهوامش واحد ، وأنه عربي ، وأن الناسخ بدل وغيّر في النسخة ، فنتج هذا الاضطراب في العبارات العربية ، ويجزم سعادة أن هذه

النسخة نسخة منقولة عن أصل آخر لها .

من هو مؤلف هذا الإنجيل؟

وبخصوص كاتب الإنجيل ، أراد النصارى إلصاق هذا الإنجيل بالمسلمين ، من غير أن يكون لديهم دليل واحد يثبت ذلك ، أو يحدد اسم هذا المسلم الألمعي العارف باليهودية وكتبها .

وبعد قراءة سعادة للإنجيل رجح ـ من غير أن يقدم أدلة شافية ـ أن كاتبه « يهودي أندلسي اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى ، وعندي (أي : سعادة) أن هذا الحل هو أقرب إلى الصواب من غيره » .

واستند في زعمه إلى أمور :

١- أن للكاتب إلمامًا عجيبًا بأسفار العهد القديم « لاتكاد تجد له مثيلًا بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين .. والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلعون بالعربية .. فيكون مثلهم في الاطلاع على القرآن والأحاديث النبوية » .

٢- أن الإنجيل يؤكد على أهمية الختان وغيره من الأحكام التوراتية ، وفيه من الكلام الجارح ما يستحيل صدوره من نصراني ، كما يتضمن تقاليد تلمودية يتعذر على غير اليهودي معرفتها .

ويتضمن أيضًا أساطير وقصص عربية مما يتناقله العامة في البيئة العربية ، فدل ذلك على أنه يعيش في البيئة العربية .

٣- أن هذا الإنجيل يوافق القرآن والسنة في مواضع عدة أهمها إنكار ألوهية المسيح أو أنه ابن الله ، وإنكار صلب المسيح ، والقول بصلب يهوذا ، وكذا يصرح

الإنجيل ، كما يؤكد على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق ، ويذكر أن محمدًا ﷺ هو المسيّا المنتظر في بضعة عشر موضعًا .

٤- أن هذا الإنجيل يباين الأناجيل الأربعة بما فيه من أدب راقٍ ومسائل فلسفية وعلمية .

واستدل لذلك بما في الإنجيل من مباحث فلسفية تشبه فلسفة أرسطو طاليس التي كانت شائعة في القرون الوسطى ، كما يحوي الإنجيل تشبيهات واستعارات أدبية تشبه ما نقل عن الشاعر دانتي في العصور الوسطى .

والنتيجة : أن النصارى لا يعترفون بصحة نسبة الإنجيل إلى برنابا ، ويؤكدون أنه منحول ، وأن كاتبه مسلم في القرون الوسطى .

وقد صدرت في ذلك كتابات نصرانية أكدت أن الإنجيل مزور مستدلة بما سبق وبأمور أخرى أقل أهمية مثل مخالفة الإنجيل لبعض حقائق الجغرافيا والتاريخ ، وأيضًا أنه حوى أمورًا تكذبه بها الأناجيل الأربعة ومنها قوله : « **أن الله اعتبر الكذب في سبيل الحمد فضيلة** » (برنابا ١٦١: ٦٠) ، ومنها أن قوله بصلب يهوذا بدلًا عن المسيح فكرة غير ناضجة ، لأن الله لو أراد إنقاذ المسيح لأنقذه بمعجزة ، وليس عن طريق الغش والخداع الذي يلجأ إليه الضعفاء .

موقف المسلمين من إنجيل برنابا :

على الرغم من موافقة إنجيل برنابا لمعتقدات المسلمين في الجملة ، فإن أحدًا من المسلمين لا يعتبره الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح ..

ولم يلجأ المسلمون إلى الاستشهاد بهذا الإنجيل إلا نادرًا ، وكان استشهادهم به أقرب إلى الاستئناس منه إلى الاستدلال ، فالمسلمون لا يرون في هذا الإنجيل إنجيل المسيح ، لكنه أقرب إلى طبيعة دعوة المسيح وتلاميذه من سائر الأناجيل .

ورفض المسلمون نسبة هذا الإنجيل إلى المسلمين ، فلقد وُجد في بيئة مسيحية صرفة كما سبق بيانه ، وقد سبق ذكره قبل الإسلام بقرون عدة ، مما يدل على براءة المسلمين منه .

وأما التعليقات العربية الموجود على نسخته الإيطالية فهي من عمل الناسخ عن الأصل أو قارئ للنسخة لا يجيد العربية ، ولعله فرامينو الراهب الذي أسلم ، وتكون حينذاك هذه النسخة هي التي عثر عليها في مكتبة البابا .

ثم من ذا المسلم الذي سيؤلف هذا الإنجيل ، ولا يستشهد به هو ولا من بعده في مناظرة النصارى؟ وكيف له أن يوصله إلى مكتبة البابا بالفاتيكان ؟ فجهل المسلمين به وعدم استشهادهم به دليل براءتهم منه .

وأما تصريحه باسم النبي ﷺ واعتباره دليلًا على أنه من وضع المسلمين ، وأن المؤلف المنتحل ـ كما يقول سعادة ـ : « بالغ وجاوز في الغرض ، ولو أشار من غير تصريح باسم النبي لكان ذلك أبلغ » .

فهذا نراه دليلًا على صحة نسبة الإنجيل إلى التلميذ برنابا وبراءة المسلمين منه، إذ لا يمكن أن يفوت كاتب الإنجيل ـ وهو الذي يصفه سعادة بالذكاء البارع ـ مثل هذه الأمر ، فلو كان منتحلًا لأشار للنبي ولم يصرح باسمه ، فتصريح صاحب الإنجيل باسمه ﷺ مع ذكائه وبراعته دليل أصالته .

وأما تكذيب الإنجيل لألوهية المسيح ، وتشنيعه الشديد على من ترك الختان فهو دليل على نصرانية كاتبه لا يهوديته ، إذ ترك الختان ليس من دين المسيح ، بل هو من تغيير بولس بعد المسيح ، ومثله القول بألوهية المسيح .

وقد كتب برنابا إنجيله ليكشف ما صنعه بولس كما جاء في مقدمته « **إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم**

والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم معه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته .. » (برنابا : مقدمة : ٢-٨).

مخالفة الإنجيل لمعتقدات المسلمين :

ومما يدل على براءة المسلمين من هذا الإنجيل اختلافه في طريقة صياغته وأسلوبه عن طريقة العرب وأسلوبهم ، فليس في المسلمين من يذكر الله ولا يثني عليه، أو يذكر الأنبياء ولا يصلي عليهم .

كما يخالف إنجيل برنابا المعتقدات الإسلامية في مسائل منها قوله بأن الجحيم للخطاة السبعة : المتكبر والحسود والطماع والزاني والكسلان والنَهِم والغضِب المستشيط . (انظر برنابا ١٣٥: ٤-٤٤) وقد ترك ذنوبًا أكبر كالشرك والقتل ، كما أن الكسِل والنهِم لا يستحقان النار .

ومثله قوله : « **دعوا الخوف للذي لم يقطع غرلته ، لأنه محروم من الفردوس** » (برنابا ٢٣: ١٧) ، فمثل هذا لا يوافقه عليه مسلم .

ومثله تسمية الله « **العجيب** » (برنابا ٢١٦: ٣) ، وهو ليس من أسماء الله الحسنى، وأسماء الله عند المسلمين توقيفية ، لا يجوز لأحد أن يزيد عليها .

وكذا قوله عن الله : « **إن الله روح** » (برنابا ٨٢: ٦) والأرواح عندنا مخلوقة .

ويتحدث عن الله ، فيصفه أنه « **المبارَك** » (برنابا ٧١: ١٦) ، ولا يمكن لمسلم أن يقول عن الله ذلك ، إذ هو الذي يبارِك ، ومن ذا الذي يبارك الله جل وعلا **!!** فتبارك الله أحسن الخالقين .

ومما يرد أيضًا انتحال مسلم لإنجيل برنابا قوله : « **أقول لكم إذًا : إن السماوات تسع** » (برنابا ١٠٥ : ٣) ، ولا يقول بهذا مسلم قرأ القرآن .

وأيضًا يذكر برنابا تسميات للملائكة لم يقل بها المسلمون ، وفي ذلك ذكر اسم رفائيل وأوريل في قوله : « **أمر جبريل وميخائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم .. فجاء الملائكة الأطهار** » (برنابا ٢١٥ : ٤-٥) .

ثم قد ورد اسم الرسول « محمد » خمس عشرة مرة في إنجيل برنابا ، ولم يرد اسمه « أحمد » مرة واحدة ، ولو كان الكاتب مسلمًا لعمد إلى كتابته - ولو مرة واحدة ليحقق التوافق الحرفي مع ما جاء في سورة الصف ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف : ٦] .

ثم لو كان كاتبه مسلمًا لكتب معجزة كلام المسيح في المهد التي ذكرها القرآن وأغفلتها الأناجيل ، وغير ذلك من المسائل التي تثور في وجه من يقول بانتحال مسلم لهذا الإنجيل .

وحين يدفع المسلمون القول بأن إنجيل برنابا منحول ، ليس لجزمهم بصحة نسبة الإنجيل إلى برنابا ، بل لجزمهم بأن هذا الإنجيل لا يقل حاله بحال من الأحوال عن سائر أسفار العهد القديم والجديد .

ويوافق المسلمون النصارى في اعتراضهم على هذا الإنجيل ، ودعواهم بأنه لم يصل بطريق موثق ، وأنه لا يعلم أصله ، لكن الحال الذي ينكرونه في إنجيل برنابا هو حال كل صحيفة من صحائف الكتاب المقدس .

بل إن لإنجيل برنابا مزية على سائر الأناجيل ، فقد صرح فيه الكاتب أنه برنابا ، ويقول عن نفسه في سائر صفحات الإنجيل : فقال لي برنابا ، وقلت للمسيح .. ، بينما لا تجد مثله في سائر الأناجيل (انظر متى ٩ : ٩) و (يوحنا ٢١ : ٢٤) .

وأما عن أخطاء الإنجيل التاريخية أو ذكره تسمية « **جبل طابور** » (برنابا ٤٢ : ٢٠) وهي تسمية غير معهودة أيام المسيح ، فهذا لا يختلف أبدًا عن ذكر حبرون في عهد موسى ، وقد سميت بعده (انظر التكوين ١٣ : ١٨) .

ولعل هذه التسمية الجديدة ـ إن صحت جدتها ـ من عمل الناسخ أو مترجمه للإيطالية، فهذا من تدخله في النص .

ثم إن أسلوب الكاتب ومعلومات الإنجيل يؤكدان بأن الكاتب ضليع في علوم الكتاب المقدس ، متصف بعمق واسع يليق ببرنابا داعية النصرانية في الجيل الأول ، فليس بمستغرب أن يكون قد كتب إنجيلًا ، ومنع قراءته دليل وجوده بل واشتهاره .

وأما مخالفة الإنجيل للحقائق التاريخية فلكونه عملًا بشريًا ، ولا حرج في ذلك، إذ أن النصارى ينسبون مثل هذه المخالفات إلى أسفار الوحي .

وقول برنابا : « **الكذب فضيلة** » لا يختلف كثيرًا عن قول بولس عن نفسه بأنه روماني كذبًا (انظر أعمال ٢٣: ٢٥) ، ثم قوله : « **فإنه إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده** » (رومية ٣: ٧) ، فصدور هذا الاعتراض من النصارى لا يقبل .

وأما التشابه بين أقوال الشاعر دانتي وإنجيل برنابا فهو لا يعني جزمًا بأن كاتب الإنجيل كان بعد دانتي ، بل قد يكون دانتي هو المستفيد من برنابا .

ثم إن التشابه لا يعني بالضرورة نقل اللاحق عن السابق دائمًا ، وإلا لزم أن نقول بأن أسفار التوارة التشريعية منقولة عن قوانين حمورابي للتشابه الكبير بينهما .

وأخيرًا ، فإنه لو كان كاتب الإنجيل في العصور الوسطى لما وقع بتلك الأخطاء في الإحالة إلى أسفار التوارة ، ولكان أيضًا قد اهتم بالتنديد بالأناجيل الأخرى ، ولكنه لم يصنع لسبب بسيط ، وهو أنه كتب إنجيله قبل انتشار هذه الأناجيل .

ولو كان الإنجيل منحولًا لندد مؤلفه بالتثليث وكتب في إبطاله ، لكنه لم يتحدث عنه ، فدل ذلك على أن زمن الكتابة سابق على دعوى التثليث التي ظهرت في القرن الميلادي الرابع .

وهكذا نرى أن إنجيل برنابا لا يختلف من ناحية الإسناد كثيرًا عن الأناجيل الأربعة ، لكنه الإنجيل الوحيد الذي صرح فيه كاتبه باسمه وبأنه شاهد لما يكتب ، وأما متنه فكان أكثر اتساقًا من جميع الأناجيل ، متميزًا بترابطه وجمال أسلوبه ومعرفته الكبيرة بالعهد القديم وأسفاره ، وهو ما يليق حقًا بداعية النصرانية في الصدر الأول : برنابا .

وقد كانت مضامين هذا الإنجيل متفقة إلى حد بعيد مع ما يعهد في رسالات الله إلى أنبيائه ، وحُقَّ لتولاند ١٧١٨م في كتابه (الناصري) أن يقول عند ظهور هذا الإنجيل : « أقول على النصرانية السلام » . وكذا قوله : « إن مد النصرانية قد وقف من ذلك اليوم .. إن المسيحية ستتلاشى تدريجيًا حتى تنمحي من الوجود »[١] .



(١) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص (٦٢-٦٣) .

خاتمة

نختم بعد هذه الجولة الطويلة فنقول بأننا نؤمن بالإنجيل الذي أنزله الله على المسيح ﷺ هدى ونورًا للبشرية ، ومبشرًا برسالة نبينا ﷺ ، وقد أضاعه النصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَارَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة : ١٤].

وأما ما تسطره رسائل العهد الجديد زاعمة أنه وحي الله من غير دليل ولا حجة، فقد تبين لنا بطلانه وتحريفه ، وعليه سقط الاستدلال به على ما تزعمه النصارى من عقائد فاسدة لسقوط الدليل .

وقد ثبت لدينا وبالأدلة المتكاثرة أن العهد الجديد ليس كلمة الله ، بل هو كتابات لمجهولين لا تصح نسبتها إلى الحواريين ، وقد اقتبس الكتاب المجهولون رواياتهم من الوثنيات القديمة . ورأينا كيف نقل بعضهم عن بعض دون التزام الأمانة العلمية في النقل، وكيف تلاعب النساخ بالنصوص التي بين أيديهم، فأحدث تدخلهم آلاف القراءات المختلفة بما يفوق عدد صفحات الكتاب، وكما يلخص ولديورانت الحالة: « وملاك القول أن ثمة تناقضـًا كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطـًا تاريخية مشكوكـًا في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس من

طقوسها .. ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب، ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح» [1].

وثبت لدينا بتفحص أسفار العهد الجديد أن كتبتها ليسوا بملهمين لكثرة ما وقعوا فيه من أخطاء وتناقضات لا تستقيم مع دعوى النبوة والعصمة التي لم يزعموها لأنفسهم ، وقد نسبهم إليها آباء الكنيسة ومجامعهم .

وبقرار هؤلاء الآباء أضحت هذه الكتابات دون غيرها من كتابات القرن الميلادي الأول كتابات مقدسة تحمل وحي الله ، فيما أصبح قراءة غيرها مستوجبًا للقتل ثم للنار والطرد من رحمة الله .

وتتابع إخفاق العهد الجديد حتى في الأمور الأخلاقية ، حيث قدم مُثل وأخلاقيات تبأس معها الحياة البشرية وتتوقف عند تطبيقها الحضارات الإنسانية ، وفي مقابل ذلك نسبت الأسفار الكثير من القبائح إلى المسيح ﵇ ، لتدلل من الجديد أنها ليست كلمة الله.

وصدق الله إذ يقول : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ [البقرة : ٧٩] .

إن هذه النتيجة التي قادتنا إليها هذه الدراسة قد وصل إليها الكثيرون من قبل ممن تساموا على روح التعصب وانقادوا للدليل والبرهان ، ومن هؤلاء يقول فيلسيان شالي الذي يقول : « وقلّما تكون الكتابات الكنسية صورة أصلية ، لما كتبه من تعزى إليه ، وهي أغلب الأحيان أعمال خليطة مشوهة أو محرفة أو مغيرة بتحريفات كثيرًا ما

---

(١) قصة الحضارة، وليام ديورانت (١١/ ٢١٠).

تكون متباعدة ، وعلى كل حال ، فإنها أعمال إنسانية ، ومن المستحيل اعتبارها كلام الله » [١] .

وفي الختام لا يسعني وأنا أشكر القارئ الكريم على قراءته لهذه السطور إلا أن أتوجه إليه بدعوة مخلصة لقراءة الحلقة التالية من حلقات سلسلة الهدى والنور ، وهي بعنوان : **الله جل جلاله ، واحد أم ثلاثة ؟**

واللهَ نسأل أن يشرح صدورنا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه . إنه ولي ذلك والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (٢٣٤) .

المصادر والمراجع

✸القرآن الكريم .

✸ الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة البروتستانتية) .

✸ الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة الأرثوذكسية الكاثوليكية) .

✸ الكتاب المقدس . طبعة : الرهبانية اليسوعية (نسخة كاثوليكية أصدرها الآباء اليسوعيون) . توزيع جمعيات الكتاب المقدس في المشرق . بيروت .

✸ الترجمة العربية المشتركة ، (أصدرها علماء ولاهوتيون كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، (الطبعة الرابعة للعهد القديم ، الطبعة الثلاثون للعهد الجديد) .

✸ الكتاب المقدس . (الأسفار المقدسة اليونانية) . ترجمة العالم الجديد لجماعة شهود يهوه .

✸ إنجيل برنابا . ترجمة : خليل سعادة . ط . دار الوثائق . الكويت ، ١٤٠٦ هـ .

✸ اتفاق البشيرين ، القس سمعان كلهون ، الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة ، القاهرة .

✸ إسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة . أحمد عبد الوهاب . ط١ .مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٩٧٢م .

✸ الأسفار المقدسة قبل الإسلام . صابر طعيمة . عالم الكتب . ط١ . بيروت ، ١٤٠٦هـ .

✸ إظهار الحق . رحمة الله الهندي . تحقيق : محمد أحمد ملكاوي . ط١ . دار الحديث . القاهرة ، ١٤٠٤هـ .

✸ الإنجيل بحسب القديس لوقا (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ط١ ، مطبعة دير القديس أنبا مقار ، ١٩٩٨م .

✸ الإنجيل بحسب القديس متى (دراسة وتفسير وشرح) ، الأب متى المسكين ، ط١ ، مطبعة دير القديس أنبا مقار ، ١٩٩٩م .

✸ البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين . أحمد عبد الوهاب . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .

✸ تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ترجمة القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .

✸ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، مجموعة من العلماء اللاهوتيين ، القاهرة .

✸ تفسير العهد الجديد ، وليم باركلي ، تعريب القس : منيس عبد النور ، ط٣ ، دار الثقافة المسيحية ، ١٩٨٤م .

✸ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكاي . ترجمة : حسن خالد . ط٢ . المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٤١٠هـ .

✸ حول موثوقية التوراة والأناجيل . محمد السعدي . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . طرابلس . ليبيا ، ١٤٠٦هـ .

✸ دراسة عن التوراة والإنجيل . كامل سعفان . دار الفضيلة . القاهرة .

✸ دعوة الحق بين المسيحية والإسلام . منصور حسين عبد العزيز . ط٢ . مكتبة علاء الدين . الإسكندرية ، ١٩٧٢م .

✸ شرح بشارة لوقا ، القس الدكتور إبراهيم سعيد ، ط٤ ، دار الثقافة المسيحية ، ١٩٨٦م .

✸ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . محمد طاهر . محمد المجذوب . دار الشواف ، ١٩٩٢م .

✸ الفارق بين الخالق والمخلوق . عبد الرحمن البغدادي . ضبط وتعليق : عصام فارس الحرستاني . ط١ . مكتبة دار عمار . عمان ، ١٤٠٩هـ .

✸ قراءات في الكتاب المقدس . عبد الرحيم محمد . (بدون معلومات نشر) .

✸ القرآن الكريم والكتاب المقدس . أيهما كلمة الله ؟أحمد ديدات .

✸ قصة الحضارة، وليام ولديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت □ لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

✸ الكتاب المقدس في الميزان . عبد السلام محمد . ط١ . دار الوفاء ، ١٤١٢هـ .

✸ الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم . محمد علي البار . ط . دار القلم . دمشق ، ١٤١٠هـ .

✸ مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ترجمة : نجيب إلياس ، ط١ ، دار الثقافة .

✸ المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح . علاء أبو بكر . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤١٨هـ .

✸ المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان . أحمد ديدات . جمع وترتيب : أحمد السقا . ط١ . مكتبة زهرة ، ١٤٠٨هـ .

✸ مناظرة العصر . أحمد ديدات و القس أنيس شروش . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .

✸ مناظرتان في استكهولم . أحمد ديدات والقس شوبرج . دار الفضيلة .

✸ هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات . ترجمة : نورة النومان . دار الهجرة . دمشق ، ١٤٠٨هـ .

فهرس الموضوعات